الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

مخبر التوطين: الدّراسات اللّغوية والأدبية

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث

ميدان اللّغة والأدب العربي شعبة الدّراسات اللّغوية

اختصاص لسانيات عامة.

المغالطات الحجاجية في خطاب المشركين في القرآن الكريم
"دراسة تداولية في نماذج مختارة"

إعداد الطالبة: نوال بوعمرة

تاريخ المناقشة: 2024/6/26

لجنة المناقشة

الاسم واللّقب	الرّتبة	الجامعة	الصّفة
صويلح قاشي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة 8 ماي 1945 – قالمة	رئيسا
وليد بركاني	أستاذ محاضر (أ)	جامعة 8 ماي 1945 – قالمة	مشرفا ومقرّرا
مقران فصيح	أستاذ التعليم العالي	جامعة باجي مختار عنابة	مناقشا
رشيد حليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشاذلي بن جديد الطارف	مناقشا
عبد الرحمان جودي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة 8 ماي 1945 – قالمة	مناقشا
نبيلة قريني	أستاذ محاضر (أ)	جامعة 8 ماي 1945 – قالمة	مناقشا

السنة الجامعية: 2024/2023

الإهداء

إلى والديّ الكريمين أطال الله عمرهما

إلى سندي في الحياة وشريك العمر زوجي العزيز (رضوان)

إلى فلذات كبدي (أريام، سند، قدس) حفظهم الله

إلى إخوتي وأخواتي الأعزّاء

إلى كلّ من سَانَدني من قريب أو من بعيد

إلى أرواح شهداء فلسطين الأبرار

أهدي ثمرة هذا العمل...

مقدّمة

مقدِّمة:

تهدف التّداولية –في مفهومها العامّ– إلى دراسة علاقة اللّغة بمُستعمليها من خلال دراسة التّعامل اللّغوي بعدِّهِ جزءًا من التّعامل الاجتماعي وبِعدِّ اللّغة فعلاً كلاميا. ومن المباحث الّتي استقطبت اهتمام التّداولية –بشكل كبير– الحجاجُ، الّذي يهدف في جوهره إلى الإقناع، حيث يستخدمُ المخاطِبُ الحججَ لدعم مواقفه، ومع ذلك فإنّ الحجج المستقيمة قد لا تُحقّق أهدافه دومًا، ممّا يدفعه إلى تجاوز قواعد الخطاب وشروطه، واعتماد أساليب التّمويه والتّضليل لتحويل مسار الحديث إلى ما يُعرف بـ "المغالطة."

أنزل الله القرآن على رسوله محمّد (صلّى الله عليه وسلّم)، وجعله خطابًا عامًا شاملًا للوجود كلّه، حيث اتّخذ من أساليب الحجاج والاستدلال والجدال والإقناع أدوات لمخاطبة عقول النّاس في كلّ زمان ومكان، وقد ذكر القرآن العديد من أصناف النّاس في عصر التّنزيل وقبله الّذين عارضوا الحق وحاولوا تشويه الحقائق، وذلك من خلال استخدامهم التّمويهَ والتّضليلَ سواءً من المشركين من عبدة الأوثان، أو من المنافقين الذين أظهروا الإيمان بألسنتهم وأخفوا الكفر في قلوبهم، أو أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين جعلوا لله شركاءً. وبِعَدِّ النّص القرآني خطابا حجاجيا بامتيازٍ–لأنّه جاء ردًّا على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة– فقد اشتمل على قواعد ومبادئ تمكّنه من ردّ مغالطات هؤلاء، وتعصمه من الوقوع في الضلال، حيث تمكّن القرآن الكريم من مواجهة كلّ مغالطة، وردّ على كلّ منها باستخدام أساليب ومناهج متنوّعة تتناسب مع نوع المغالطة المطروحة، وبالتّالي أصبح من الضروري بالنّسبة للمسلمين في العصر الحالي، وخاصة في ظلّ وجود الفتن والتّمويه أن يتعرّفوا على الأساليب التي اعتمدها القرآن في إثبات الحق وإزهاق الباطل والردّ على أنواع المغالطات.

ومن هذا المنطلق جاء اختيارنا لموضوع هذه الدّراسة الموسومة بـ **"المغالطات الحجاجية في خطاب المشركين في القرآن الكريم: دراسة تداولية في نماذج مختارة"**، بهدف استكشاف مغالطات المشركين في القرآن الكريم وكيف واجهها هذا الأخير، ونشير هنا إلى أنّ المقصود بلفظة المشركين في هذا البحث

كلّ طائفة جعلت لله شريكًا، أو صرفت العبادة لغيره، وهم المشركون، والمنافقون، وأهل الكتاب من اليهود والنّصارى، وقد اعتمدنا على مدوّنة تمثّلت في نماذج من القرآن الكريم وليس على سورة بعينها وهذا تبعًا لأصناف المغالِطين ولطوائفهم ومواقفهم المنتشرة في سور كثيرة. حيث لم يُذكر هؤلاء الأشخاص في سورة واحدة بل جاء ذكرهم متفرّقًا في عدّة سور، نظرًا لوجودهم عبر عصور متعدّدة ومدى تأثيرهم على مجتمعاتهم. وكان المنافقون أشدّ هذه الأصناف عنادًا وحقدًا، كما توسّع القرآن في ذكر مواقف جحود أهل الكتاب، وذكر صنف المشركين الذين جحدوا الإسلام ولكنّهم أظهروا مودّة المسلمين.

وقد ركّزنا في دراستنا على التعريف بأساليب هؤلاء المغالطين وأنواع مغالطاتهم والتعرّف على الردّود والحجج التي اعتمدها القرآن في دحض تلك المغالطات بجميع أنواعها. ومن هذا المنطلق، صغنا إشكالية بحثنا في السؤال الآتي:

ما المغالطات الحجاجية في خطابات المشركين في القرآن الكريم، وكيف كان ردّ القرآن عليها؟

وقد تفرّعت عن هذا السؤال أسئلة جزئية، تمثّلت في:

1. ما مغالطات المشركين الحجاجية في القرآن الكريم؟
2. كيف يمكن الكشف عن البعد التداولي في الخطاب القرآني من خلال الحجّة المغالطية بِعدِّها ظاهرة خطابية؟
3. ما الأساليب التي اعتمدها القرآن الكريم في الرّد عليهم ودحض حججهم؟

وقد اعتمدنا في هذه الدّراسة بشكل أساس على المقاربة التداولية لبيان آليات المغالطات الحجاجية عند المشركين في القرآن الكريم. والوقوف على الدّلالات الخفية والأقوال المضمرة في خطابات المغالطة للمشركين والمنافقين وأهل الكتاب.

أمّا عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فتكمن فيما يلي:

-قلّة الدّراسات المتعلّقة بالحجاج المغالط المتعلّقة منها بكتاب الله المبين؛ لأنّ أغلب الدّراسات اتّجهت صوب الخطابات السّياسية والبرامج الإذاعية ....

-التعرّف على آليات الحجاج المغالط الموظّفة في القرآن من طرف المشركين بغرض التّأثير والاستمالة وبيان مناهج القرآن في الرّد على هذه المغالطات.

تفترض الدّراسة وجود بعد تداولي مكثّف في الخطاب القرآني، ومن ثمّ تسعى الدّراسة لرفع الستار عنه، ورصد القضايا التّداولية المتعلّقة بظاهرة المغالطة، واستخراج المعاني الضمنية والأقوال المضمرة وأفعال الكلام والاستلزام الحواري في الآيات القرآنية التي وردت فيها مغالطات الطوائف الثلاثة وكشف زيفها وفضح دسائسهم ومؤامراتهم.

كما تفترض أنّ للسّياق دورًا كبيرًا في تشكّل المغالطة، حيث يستغلُّ المغالِط جلّ المعطيات السّياقية التي أتاحتها مقامات التّواصل حتّى يُوقع خصمه في الفخّ.

قد جسّدنا دراستنا هذه في خطّة عامّة تشمل أربعة فصول، تسبقها مقدّمة وتليها خاتمة، ويُذيّلها قائمة المصادر والمراجع، وفهرس عام.

استعرضنا في الفصل الأوّل المعنون بـ (**المغالطات الحجاجية**)، مفهوم المغالطة لغة واصطلاحا والفرق بين الغلط والمغالطة ومفهوم الحجاج المغالط، وأساليبه وأنواعه، وكذا تاريخ المغالطة الحجاجية في الثّقافات القديمة والتراث العربي والغربي، وكذلك في الدّراسات العربية والغربية المعاصرة.

أمّا الفصل الثّاني الموسوم بـ (**المغالطات الحجاجية عند المنافقين**)، فاستعرضنا فيه المفاهيم التداولية والتي اعتمدنا عليها في الجانب التطبيقي، وتناولنا المغالطات الحجاجية عند المنافقين مستعينين بآيات من القرآن الكريم من سور متنوّعة: (البقرة، آل عمران، النّساء، محمد، التوبة، الحشر، المنافقون،

الأحزاب) وناقشنا الخصائص التداولية لخطاب هذا الصّنف من المغالطين، وأنواع هذه المغالطات، وكيفية ردّها من قبل القرآن.

وفي الفصل الثّالث المعنون بـ (**المغالطات الحجاجية عند أهل الكتاب**) خصصناه للخصائص التداولية لمغالطات أهل الكتاب، والتي اخترنا فيها آيات من سور: (آل عمران، البقرة، القصص، المائدة، الرعد، النّساء، يونس)، أنواع هذه المغالطات، ردّ القرآن عليها.

وختامنا بالفصل الرابع المعنون بـ (**المغالطات الحجاجية عند المشركين**) الذي درسنا فيه الخصائص التداولية لمغالطات المشركين من خلال آيات من سور: (الأعراف، المائدة، هود، القصص، الأنفال، الفرقان، السجدة، الأنعام، النّحل، يس، الإسراء، العنكبوت، إبراهيم)، أنواعها، ردّ القرآن عليها.

وفي الأخير خاتمة تضمّ جملة النتائج المستنتجة مع توصيات، تليها قائمة المصادر والمراجع والفهرس.

أمّا عن الدّراسات السّابقة في ما يخصّ المغالطة فلم يتوفّر بين أيدينا إلّا رسالة ماجستير للطالبة فاطمة يحي بعنوان استراتيجية المغالطة في التراث الأدبي العربي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2016، تناولت الباحثة فيه مدوّنة تراثية لقصص العرب وأخبارهم منها (العقد الفريد لابن عبد ربّه، ونماذج من جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت، وموسوعة قصص العرب لإبراهيم شمس الدّين وآخرين..) وكشفت ما فيها من مغالطات. حيث ركّزت فيها صاحبتها على آليات فعل التغليط من سوء النيّة والإضمار واعتبرهما من أهمّ الركائز في تشكيل أيّ مغالطة، ثمّ عرضت الآليات الحجاجية التي أسهمت في تحقيق المغالطة، وتختلف دراستنا عن هذه الدّراسة في أنّها كشفت ما في خطاب المشركين من مغالطات ومن ثمّة تصنيفها وذكر ردود القرآن الكريم على هذه المغالطات، كما بيّنا كيفية اشتغال المغالطة في الخطاب القرآني باعتماد المقاربة التداولية في التحليل والكشف عن الخصائص الخطابية للنّص القرآني ودور السّياق وعلاقته بتشكّل المقاصد التغليطية.

استندت هذه الدّراسة إلى مجموعة من المراجع التي ساهمت في إثراء البحث، نذكر منها كتب التفاسير: تفسير الطاهر بن عاشور (التحرير والتّنوير) لأهميّته اللّغوية والبلاغية ناهيك عن التحليل، وكذلك تفسير الألوسي (روح المعاني)، ....

ومن كتب التداولية نذكر: (الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار) لرشيد الراضي، و(المغالطات المنطقية) لعادل مصطفى، و(استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية) للشّهري...

ومن كتب الفلسفة اليونانية نذكر: عزت قرني، الفلسفة اليونانية حتّى أفلاطون، يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ...

أمّا المراجع الغربية: فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، إم. نيل براون، ستيوارت إم. كيلي، توجيه الأسئلة الصحيحة...

وفي الختام نرجو أن نكون قد ألممنا ببعض جوانب هذه الظاهرة الخطابية في خطاب المشركين وأهل الكتاب والمنافقين في القرآن الكريم ونكون قد كشفنا عن أهمّ خصائصها التداولية، وبذلك نُقدّم للقارئ فكرة عن المغالطات الحجاجية التي أصبحت أهمّ المظاهر الخطابية التي وجب أن تُولى لها العناية بالدّراسة والتّحليل والكشف عن المزيد من آلياتها، لما لها من تأثير على الفاعلية الحوارية لأنّها لا تكاد تخلو من حواراتنا اليومية، حيث يلجأ إليها كلّ من فشل في إقناع محاوره، فهي مسلكه الوحيد للوصول إلى ما ينوي فعله، كما يلجأ إليها السياسيون في خطبهم لكسب النّاس واستمالة عقولهم، وهي أيضا وسيلة أصحاب المنتوجات يروّجون بها لمنتوجاتهم ليحقّقوا من خلالها أرباحا كثيرة، فهي موجودة في حواراتنا اليومية، وفي برامجنا الإذاعية، وفي كتبنا التراثية، وفي الخطاب القرآني على لسان الكفّار، حيث كانت وسيلتهم من أجل التّمويه والتّضليل وردّ النّاس عن الإسلام.

وفي الختام، أتوجّه بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف وليد بركاني الذي تولّى متابعة هذا البحث، فكان خير موجّه وخير دليل، والشّكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة الّذين تجسّموا عناء قراءة وتمحيص وتقييم هذا العمل، وأشكر كلّ من قدّم لنا يد العون من قريب أو بعيد.

الفصـــــــل الأول:

المغالطـــــــات الحجـــاجيـــــة

الفصل الأوّل: المغالطات الحجاجيّة

1-1 تعريف المغالطة:

أ- لغة:

وردت مادة غلط في المعاجم العربية القديمة، فجاء في لسان العرب في باب الغين لابن منظور (ت711هـ): غَلَطَ، الغَلَطُ: أَنْ تَعْيَا بِالشَّيءِ فَلَا تَعْرِفَ وَجْهَ الصَّوَابِ فِيهِ، وَقَدْ غَلِطَ فِي الأَمْرِ يَغْلَطُ غَلَطًا، وَأَغْلَطَهُ غَيْرُهُ. وقَالَ اللَّيْثُ: الغَلَطُ كُلُّ شَيءٍ يَعْيَا الإِنْسَانُ عَنْ جِهَةِ صَوَابِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ. وَقَدْ غَالَطَهُ مُغَالَطَةً. والمِغْلَطَةُ والأُغْلُوطَةُ: الكلام الذي يُغْلَطُ فيه ويُغَالَطُ به... والمِغْلَطَةُ والأُغْلُوطَةُ: مَا يُغَالَطُ به من المسائل. والجمع الأَغَالِيطُ".[1]

وجاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت 817هـ) في باب الطاء فصل الغين، "الغَلَطُ، محرَّكة: أن تَعْيَا بالشَّيءِ فلا تعرف وجه الصَّوَابِ فِيهِ، ...والمغْلَطَةُ: الكَلَامُ يغلط فيه، ويُغَالَطُ بِهِ".[2]

وجاء في المعجم الوسيط: (غَلِطَ) – غَلَطًا: أَخْطَأَ وَجْهِ الصَّوَابِ.[3]

انطلاقا من المفاهيم الواردة في المعاجم الآنفة الذّكر نلحظ أنّ المغالطة في اللّغة: تعني الابتعاد عن جهة الصواب ومخالفته، وهي ما يغالط به من الكلام وغيره، وتُضيف بعض المعاجم أنّ الغلط يكون في المنطق بينما الغلت في الحساب.

أمّا المصطلح اليوناني (sophisme) يقابله في اللّغة الفرنسية (paralogisme) والتي أخذها فريق الترجمة الفرنسية من اليونانية (paralogsmos) والتي تتكوّن من جزئين: (para) وتعني جانب خاطئ و(logismos) وتعني حجاجا خاطئا، وقد أضافت المعاجم الحديثة فكرة حسن النيّة

[1] أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، ط3، 10 (لبنان: دار إحياء التراث العربي، 1999)، ص101. 102، (مادة غ ل ط).

[2] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط1، 2 (لبنان: دار الكتب العلمية، 1995)، ص571.

[3] مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، (مكتبة الشروق الدولية، 2004)، ص658.

ممّا يجعل من تعريف البرالوجيسم فيها حجاجا خاطئا عن حسن نيّة ويكون بذلك مقابلا لمفهوم (sophisme).

ويقابله في الإنجليزية (fallacy) وهو مصطلح من الأصل اللاتيني (fallacia) يعني: المغالطة والمكر والخداع والحيلة.[1]

وجاء في معجم تحليل الخطاب لباتريك شارودو ودومنيك منغنو "الـ(sophisme) من وجهة نظر تفاعلية خطاب مُحرج، كاذب، تلاعبيّ ومخطر....والسفسطائية قياس مغالطيّ يخدم مصالح صاحبه وأهوائه،"[2] فالسوفيسم خطاب كاذب مضلّل يهدف إلى تغليط الخصم وإسكاته لحاجة في نفس المخاطِب.

ويربط حافظ اسماعيل علوي بين المصطلحات السابقة في تعريف واحد للمغالطة، يقول "تعرّف المغالطة (sophisme, fallacy, paralogisme) بأنّها استدلال فاسد أو غير صحيح يبدو كأنّه صحيح لأنّه مقنع سيكولوجيا لا منطقيا على الرّغم ممّا به من غلط مقصود".[3]

نفهم ممّا سبق أنّ الحجّة المغالطة تتخذ مظهر الحجّة السليمة لكنّها في الحقيقة حجّة غير سليمة لأنّ المخاطِب يقصد الاستدلال بها ليضلّ من يُحاوره.

[1] محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخل لنقد الحجاج، في كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمّود. (تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، د.ت)، ص406.

[2] باتريك شارودو ودومنيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، (تونس: دار سيناترا، 2008)، ص522.

[3] محمد أسيداه، اللسانيات والحجاج (الحجاج المغالط) نحو مقاربة لسانية وظيفية، في الحجاج مفهومه ومجالاته، 3 (الأردن: عالم الكتب، 2010)، ص373.

ب- اصطلاحا:

يبقى من الصعب جدّا تحديد مفهوم للمغالطة، يقول هنري مارو(Henri Marrou) في هذا الصدد: "إنّ أيّ تأريخ للفلسفة أو العلوم يجد نفسه مضطرا لتخصيص فصل للسفسطائيين: هذا الفصل الذي من العسير كتابته، نادرا ما يكون شافيا".[1]

ومن الصعب أيضا تقديم صورة أمينة عن السّفسطائية نظرا للصورة السلبية والسوداوية التي ألفيناها في المصادر المؤرّخة للفلسفة اليونانية، بحيث أصبح السّفسطائي نعتا قدحيا وأصبحت السّفسطة مرادفا للاستدلال الخاطئ، بالإضافة إلى ندرة ما وصلنا من نصوصهم، فهي عبارة عن أجزاء مقطوعة في الغالب عن سياقاتها، وأغلبها يضمّ سطورا معدودة. فلم يصلنا من نصوصهم إلّا النّزر القليل الّذي نقله خَلَفهم المباشرون، خصوصا أفلاطون وأرسطو،[2] وذلك لأنّ السّفسطائيين كانوا يُلقون خطاباتهم شفويا أمام الملأ، ولم يبالوا بتوثيقها كتابةً لحمايتها من الضياع.[3] بالإضافة إلى هذه الصورة السلبية المرتبطة بهم هناك جوانب إيجابية أخرى متعلّقة بهم، فقد كانت نجاحاتهم البارزة وقدرتهم الفائقة على الإقناع والجدل سببًا في جذب الشباب الأثيني إليهم ليستفيدوا من فنون الخطاب والقول.

وعلى الرّغم من الصورة السلبية التي رسمها أفلاطون وأرسطو لهؤلاء الفلاسفة، إلا أنّ هذه الصورة لم تمنع انتشار حركتهم الفلسفية في أوساط اليونان، حيث انتشر صيتهم بسرعة وأصبحت معروفة بين الناس بفضل براعتهم في الخطاب والقول وقدرتهم الاستثنائية على الإقناع في مختلف المواضيع.[4]

---

[1] الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ط1، (دار الكتب الجديدة، 2014)، ص80.

[2] الحسين بنو هاشم، ص81.

[3] أحمد يوسف، البلاغة السوفسطائية وفاتحة الحجاج، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ط1، 2 (الأردن: عالم الكتب الحديثة، 2010)، ص4.

[4] مجدي كيلاني، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون (كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، 2009)، ص147.

وعلى الرّغم من تطوّر الدّراسات والتّعريفات حول مفهوم المغالطة، إلّا أنّ التّعريف الأرسطي للمغالطة لا يزال يُشَّكل مرجعاً أساسياً للعديد من الباحثين والطلاب؛ حيث يعدّ هذا التّعريف نقطة انطلاق لفهم السّفسطة والمغالطة والتبكيت في سياق المنطق، فقد قدّم أرسطو تعريفاً واضحاً يصف المغالطة بأنّها "استدلال صحيح في الظاهر معتلّ في الحقيقة"،[1] وهذا يعني أنّ من يعرض فكرته على غيره وينوي من خلالها تضليل مُحاوره بأيّ ثمن، ويستدلّ عليها بحجج تظهر للعيان أنّها صحيحة، إلّا أنّ استدلاله على دعواه قائم على خطأ مقصود ومخفي، يسمّى حينئذٍ مُغالِطًا، وكلامه مغالطة.

وفيما يلي تعريفات مجموعة من الباحثين منهم: عادل مصطفى في كتابه "المغالطات المنطقية" الّذي يرى فيه أنّ المغالطة هي "تلك الأنماط من الحجج الباطلة التي تتخذ مظهر الحجج الصحيحة."[2]

وأمّا رشيد الرّاضي فقد استعمل مصطلح "السّفسطة" في كتابه "الحجاج والمغالطة"، ويرى أنّها "استدلال صحيح في الظاهر معتلّ في الحقيقة؛ أي أنّها نوع من العمليات الاستدلالية التي يقوم بها المتكلّم، وتكون منطوية على فساد في المضمون أو الصّورة، إمّا بقصد، أو دون قصد."[3]

المغالطة إذًا نمط من أنماط الحجاج، يوهم بأنّه صحيح لأنّ استدلالاته تبدو صحيحة في الظاهر، ولكنّها تفتقر للصّحة، وهي حجج باطلة تسعى للتّضليل وتمويه الخصم.

---

[1] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ط1، (دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2010)، ص13.

[2] عادل مصطفى، المغالطات المنطقية (فصول في المنطق غير الصوري)، ط1، (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة)، 2007، ص17.

[3] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص13.

ويحصر حسان الباهي هدف الخطاب المغالط في "الإيقاع بالخصم باستخدام مختلف الحيل التي ننوي من خلالها صرفه عن الهدف الحقيقي، وهذا يجعل المغالط سائلا كان أم مُجيبا شخصًا يُظهر خِلاف ما يُبطن."[1]

على العموم، فالهدف من استخدام المخاطِب المغالطات هو التفوّق على الخصم، وإبطال دعوى المخاطَب ممّا يجعله غير قادر على التمييز بين الصواب والخطأ، متسلّحا في ذلك بكلّ ما يحمله التغليط من معاني المكر والخداع والتعتيم والكذب والتحريف والتّضليل والتّمويه .... وغيرها من السُّبل التي تُيسّر للشّخص الطريق للنّيل من خصمه.

وأمّا محمد النويري فيعرّفها بأنّها: "قياسٌ سليمٌ دون أن يكون كذلك. يصدر عن إنسان يبدو حكيمًا، ويتظاهر بها من دون أن يكون كذلك. وهكذا يبدو للبرالوجيسم مظهرا وكينونة. أمّا المظهر فيُوهم بالصّحة والسّلامة كإيهام الذّهب المزيّف بأنّه حقيقيّ وأمّا كينونته فهي تقوم على الخطأ والاختلال ويُدركها العارف بالأمور."[2]

نفهم من هذا التّعريف أنّ للمغالطة وجهان: ظاهر وباطن، الظاهر يُوهم بالصّحة والسلامة والباطن قائم على الخطأ والتّضليل، فالمغالط ينطلق من مقدّمات خاطئة من أجل الإطاحة بالخصم ومحاولة تضليله ليبتعد عن هدف الحوار الحقيقي، وهذا ينجرّ عنه –ممّا لا يترك مجالا للشّك– الوصول إلى نتائج خاطئة ومغلوطة.

[1] حسان الباهي، المغالطات في الخطاب اليومي، ضمن التداوليات علم استعمال اللغة، تق حافظ اسماعيل علوي، ط2، (الأردن، عالم الكتب الحديثة، 2014)، ص380.

[2] النويري، الأساليب المغالطية مدخل لنقد الحجاج، ص409.

ويعرّفها جميل حمداوي: "السّفسطة حجّة تتألّف من مقدّمات وهمية كاذبة أو شبيهة بالحق، وهي في الحقيقة تقوم على المغالطة والتّمويه والتّضليل لإبطال الحقّ."[1]

نستنتج ممّا سبق أنّ التّعريفات السّابقة لهؤلاء الباحثين قريبة إلى حدّ ما من التّعريف الأرسطي لها، وإنّما يكمن الاختلاف في كيفية صياغة كلّ منهم لمفهوم المغالطة بأسلوبه، وتصب كلّها في كون المغالطة نمطًا حجاجيًّا ينطلق فيه المخاطِب من مقدّمات خاطئة، فيلجأ إلى حجج مضلّلة واهية، كما يلجأ لأساليب المكر والخداع من أجل تمويه المخاطَب وتضليله، لكنّ المخاطِب لا يُظهر هذا صراحة، وإنّما يُضمره ويُبدي عكسه، وهذا الخطأ لا يُدركه إلّا من كان مُلمًّا بأنواع المغالطات.

1 – 2 بين الغلط والمغالطة:

القصد (النّية) هو الفيصل في الحكم على الحجّة إن كانت غلطية أو مغالطية – وهذا باتّفاق الباحثين وأهل الاختصاص– فإن كانت نيّة المحاور حسنة، وكانت حججه سليمة، ولا يسعى من ورائها إلى تغليط محاوره أو تضليله، ووقع المحاور في الغلط دون قصد، فيسمّى الحجاج هنا غلطا ويُمكن تصحيحه، وأمّا إذا كانت نيّته خبيثة، واستعمل في هذا حججا واهية وخادعة، وكان يتعمّد الإطاحة بخصمه وإسكاته، وصرفه عن الهدف الحقيقي للحوار، فالحجاج هنا مغالطيّ، وهذا العوج في الحجّة في كلتا الحالتين عيب يُزري بالفعالية الحجاجية، ويُعطّل طاقتها في إنتاج المعقولية.[2]

الحجّة المعوجّة في الخطاب تقابل الحجّة السليمة، هذه الأخيرة التي تهدف إلى إقناع المخاطَب دون اللّجوء إلى الحيل والألاعيب القولية، وفيها يسعى المخاطِب من وراء حججه تفنيد الطرف الآخر لآرائه وأفكاره واقتناعه بها.

[1] جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، د.ط، (المغرب، مكتبة الأدب العربي، 2020)، ص18.

[2] رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات العاصرة، مجلة عالم الفكر، المجلّد 36، ع4، 1 أفريل2008، ص7.

ويرى محمد العمري أنّ المغالطة درجات من الخفاء والانكشاف "منها ما يلتبس بالأقيسة المنطقية، لا ينكشف زيفه إلا بالنّظر السديد العميق، ومنها ما هو فجٌّ ظاهرُ العطبِ يقوم على الاستخفاف بالمتلقّي، وهو أقرب إلى الإعنات"[1]، فالعمري يرى أنّ المغالطة مبنية على الخفاء والتّدليس والتّضليل والتّمويه، من أجل التغلّب على الخصم وإفحامه، ولا نستطيع كشفها إلا بالتمعّن والتعمّق، أمّا الغلط فظاهرٌ ويسهُل كشفهُ.

ويُؤيّد جميل حمداوي العمري في هذا الرأي قائلا: "والهدف الّذي يرومه الحجاج المغالط هو تغليط المخاطب بمجموعة من الحجج والبراهين التي تبدو أنّها صحيحة ويقينية على مستوى الاستدلال الظاهري، ولكنّها واهية ومضلّلة على مستوى الفحص والتأمّل والاستقراء من جهة، وعلى مستوى تقويم المنطلقات الفكرية والمنطقية من جهة أخرى."[2]

إذا لنكشف نوايا المتكلّم السيّئة وجب علينا التأمّل المعمّق، والتمعّن الجيّد فيما يقوله، وفحص كلامه فحصا دقيقا، حتّى نميّز صحيحه من كاذبه.

إنّ البحث عن المغالطة في علم المنطق على صلة وثيقة بموضوع القياس باعتبار هذا الأخير مطلب من مطالب الاستدلال، لذا كان الغلط في المنطق هو الخطأ غير المقصود في عدم مراعاة شروط القياس وقواعده، بينما المغالطة في المنطق تعني استخدام قواعد القياس وشروطه لإيقاع الآخرين بالخطأ والتّمويه عليهم وتضليلهم.[3]

1محمد العمري، دائرة الحوار ومزالق العنف، د. ط، (المغرب: أفريقيا الشّرق، 2002)، ص30.

[2] جميل حمداوي، أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة، ط1، المغرب: مطبعة Rive تطوان، 2020، ص30. 31.

[3] زمخشري بن حسب الله طيّب، عصام التيجاني محمد إبراهيم، المغالطة ومنهج القرآن في الردّ عليها، مجلّة الإسلام في آسيا، المجلّد 11، العدد2، ديسمبر2014، ص120.

ويُقسّم عبد الرحمان بدوي الخطأ من النّاحية النّفسية إلى خطأ غير مقصود ويسمّى حينئذ غلطا (paralogisme) أو يكون مقصودا للتّمويه على الخصم ويسمّى مغالطة (sophisme) أو أغلوطة. وفي نفس السّياق وجدناه يُرجع مصدر المغالطة إلى الأخلاق ومصدر الغلط إلى العقل، ويرى أنّ المغالطة لا تتصل بالمنطق إنّما بالأخلاق وهي مثال للتحيّز وعدم الاكتراث للوصول إلى الحق،[1] لأنّ المغالط يضع نصب عينيه هدفا واحدا هو تغليط محاوره بشتّى الطرق ومهما كلّفه الأمر، فيسلك كل سبيل يجعله يصل لهدفه حتّى وإن كان مخالفا لأخلاقه وعقيدته، فهو لا يكترث لشيء ولا تهمّه الحقيقة بقدر اهتمامه بتضليل وتمويه خصمه والفوز عليه.

1 – 3 – تعريف الحجاج المغالط:

تكمن الوظيفة الأساسية للحجاج في إقناع المخاطَب بما يُعرض عليه من خلال الخطاب الحجاجي، وهذا الخطاب انطلاقا من مقّدماته يعتمد نوعين من الحجج، فإمّا أن يستخدم المخاطب في حواره حججا سليمة من أجل إقناع مُحاوره والتأثير فيه والهدف هنا هو الوصول إلى الحقيقة، وهذا ما يسمّى بالحجّة المستقيمة أو السليمة، وإمّا أن ينتهك المحاور قواعد الحوار ويستخدم حججا كاذبة أو تبدو كأنّها صادقة أو مشهورة دون أن تكون كذلك، ليُوهم محاوره ويوقعه في الغلط، أو يلتجأ إلى أساليب الخداع والحيلة من أجل إقناع محاوره والفوز عليه بأيّ ثمن، هذا ما يسمّى بالحجّة المغالطة.

حدّد أرسطو خمسة مقاصد رئيسة للحجاج المغالط، ذكرها ابن رشد في كتابه "تلخيص السفسطة": "إمّا تبكيت المخاطب، وإمّا أن يلزمه شنعة وأمرا هو في المشهور، وإمّا أن يشكّكه، وإمّا أن يصيّره بحيث يأتي بكلام مستحيل المفهوم."[2]

[1] عبد الرحمان بدوي، المنطق الصوري و الرياضي، ط4 (بيروت، لبنان: دار القلم، 1977)، ص241.

[2] ابن رشد، تلخيص السفسطة، تح محمد سليم سالم، د. ط، (القاهرة، مطبعة دار الكتب، 1973)، ص13.

ويعني هذا أنّ الحجاج المغالط ينطوي على أمور رئيسة هي:

- تبكيت(تغليط) الخصم وغلبته بالحجة من أجل إفحامه.

- إيهامه بأنّ الأمر من المشهورات دون أن يكون كذلك، فيلزمه عليه.

- تشكيكه في الأمر فيجعله بين وبين، فيوقعه في الغلط ويبعده عن الحقيقة، ويجعله عاجزا عن تحديد مكمنها.

- أن يدخل الشّك في نفس محاوره حتى يجعله في حيرة من أمره، فيشوّش ذهنه ويبتعد عن مقصود الخطاب.

- وإمّا يجعله يُدلي بكلام غامض صعب الفهم.

وتكمن غاية الحجاج المغالط في إقناع أحد أطراف الحوار للطرف الآخر، فيسعى المحاور إلى هذه الغاية متّبعًا كلّ الطرق التي توصله لهدفه.

2– المغالطة الحجاجية عند الأمم السابقة:

حاولنا في هذا العنصر تتبّع مسار المغالطة الحجاجية منذ نشأتها في اليونان والعوامل التي أسهمت في ظهورها، وأشرنا بإيجاز لأشهر السفسطائيين وفلسفتهم وأهدافهم التي سعوا للوصول إليها من خلال "السّفسطة".

2– 1 – المغالطة الحجاجية في المرحلة الأثينية:

ظهر هذا التيار الفكري في القرن الخامس قبل الميلاد في العالم الإغريقي، وازدهرت هذه الفئة في أثينا "وهذا المصطلح اليوناني الأصل (sophia) كان يُطلق على الرّجل أو الحكيم ذي الكفاءة المتميّزة في كلّ شيء"،[1] ثمّ تغيّر مدلولها في النّصف الثاني من القرن الخامس وصارت تطلق على جماعة من المعلّمين المتنقّلين الذين يعلّمون النّاس الخطابة وفنون الإقناع. متّبعين أساليب الخداع والتضليل من أجل الفوز على خصومهم.[2] وهؤلاء هم السفسطائيون.

أسهمت عوامل عدّة في ظهور هذه الحركة السفسطائية، ومن أبرزها **العامل الفكريّ** الّذي يتمثّل في اهتمام فلاسفة اليونان الأوائل بالمسائل الكونية مثل طبيعة العالم الخارجي وتكوينه، فراحوا يتساءلون عن كيفية حدوث الأشياء والقوانين التي تتحكّم في صيرورتها وتحوّلها، ثمّ سرعان ما تحوّل انشغالهم في فترة لاحقة إلى موضوع آخر وهو العالم الداخلي أو الإنسان والبحث عن المشاكل والحلول التي تمتّ بصلة إلى حياته العملية، في التربية والسياسة وسواهما،[3] وصاحب الفضل في هذا هو أب فلاسفة اليونان (سقراط)، الّذي غيّر مجرى الفلسفة من الاهتمام بمسائل الكون وأصل الوجود وحقيقة

[1] هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، في أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، حمادي صمود (تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، د.ت. ص54.

[2] عزت قرني، الفلسفة اليونانية حتى افلاطون، د. ط، (جامعة الكويت، 1993)، ص85.

[3] ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقلس، (بيروت، لبنان، دار العلم، 1991)، ص53.

انبثاق الكون إلى أمور الأرض وكلّ ما يتعلّق بالإنسان، هذا النّهج الجديد ساهم في نبوغ فئة منهم من العلماء والشّعراء والمؤرّخين والأطباء والصنّاع، وشجّع على تعزيز الديمقراطية في المدن اليونانية، فزادت النّزاعات والجدالات القضائية والسّياسية، ممّا أدّى إلى ارتفاع الطلب على مهارات الخطابة وفنون المحاجّة واستمالة الجمهور، فاستغلت فئة من المثقفين هذه الفرصة وتحوّلوا إلى معلمين للبيان، وأصبحوا معروفين باسم السفسطائيين.[1]

وأمّا **العامل الدّيني** يتمثّل في زعزعة ثقة النّاس بمفهوم الدّولة الإلهية، وبالتّالي بالقوى الإلهية التي كان يستخدمها البعض لإخضاع الأغلبية، والسبب في ذلك الحروب الكثيرة التي شهدتها اليونان، فقد رأى السّفسطائيون أنّ الإيمان بالآلهة ما هو إلّا حيلة من صُنع السّاسة يُخفون وراءها جرائمهم. فتفطّنوا إلى أنّ الإنسان وليس الآلهة المقياس، لهذا نجد (بروتاجوراس) وهو من أشهر السّفسطائيين يذهب إلى أنّه لا يمكن للإنسان أن يعرف ما إذا كانت الآلهة موجودة أو غير موجودة بسبب الغموض المحيط بالمسألة وقصر الحياة.[2]

وأمّا من **النّاحية الاجتماعية**، فبعد انتصار أثينا على الفرس صارت مدينة وسوقا وميناء كبيرا يقصدها النّاس من مختلف الأجناس، وبمختلف العادات والتقاليد والعقائد، وهذا ما كان سببا للشّك فيها، ودفع السّفسطائيين إلى القول بنسبية الأخلاق مادامت العادات والتقاليد نسبية؛ بحيث ما يصلح لمجتمع لا يصلح بالضرورة لغيره.

وأمّا **العامل السياسيّ** فيتمثّل في بلوغ أثينا ذروة الديمقراطية، فكان لابدّ أن يتمتّع رجال السياسة بالقدرة الفائقة على الجدل والحوار ومنازلة الخصوم والقدرة على إثبات الشيء ونقيضه في آن واحد، وهنا ظهر السّفسطائيون ولعلّ من أبرز ما قدّموا في هذا المجال هو "نظرية الحق للأقوى" التي تقول إنّ

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، د. ط (شركة كلمات عربية للترجمة والنشر، 2012)، ص61.
[2] مجدي كيلاني، ص152.

الطبيعة إنّما خلقت القويّ لكي يسيطر على الضعيف، وأنّ الأخلاق والقوانين من صنع الضعفاء الذين يمثّلون غالبية المجتمع.[1]

ويعتبر هذا العامل الأقوى من بين العوامل الأخرى لظهور السّفسطة لأنّ براعتهم في الجدل جعلتهم يكسبون عددًا كبيرا من النّاس لصالحهم ويتقلّدون مناصب عليا في الدّولة.

لم يكوّن السّفسطائيون مدرسة واحدة لها أعضاء، فقد كان لكلّ واحد منهم أسلوب يختلف عن الآخر، كما تنوّعت مشاربهم البحثية فمنهم من كرّس نفسه للبحث في اللّغة والنّحو والأسلوبية والخطابة، ومنهم من كتب رسائل في هذه الموضوعات، ومنهم من جعل أحد هذه العلوم تخصصّا له، لكنّ تخصّصهم العام كان السياسة. فكان هدفهم تكوين مواطن، أو بالأصح تكوين قادة المدينة. وتأكيدهم على السياسة كان بالضرورة على حساب الأخلاق، لأنّ هدفهم كان النّجاح، وهكذا ولأوّل مرّة في اليونان، ظهرت التربية باعتبارها ضرورة سياسية. وكان هؤلاء المعلّمون يتقاضون أجورا مقابل الدّروس التّي يقدّمونها لأثرياء شباب اليونان، ويُعتبرون أوّل من حدّد أجرا لدروسهم، على خلاف عادة حكماء اليونان، الّذين كانوا يقدّمون حكمتهم مجانا وكانوا يُعيبُون عليهم هذا الأمر وعلى رأسهم (سقراط). كما كانوا يتجوّلون من مدينة إلى أخرى من أجل هذه الغاية.[2]

يقول (جان فوالكا) عن السّفسطائي (بروديكوس دو سيوس): "كان يطلب خمسين دراخمة* للدّرس الكامل عن ملاءمة المصطلحات في الأسلوب، ودراخمة واحدة للدروس المعدّة للاستخدام الشعبي العام... لم يكن عالما ولا فيلسوفا. لقد اكتفى أن يكون بارعا في فن الكلام عن معرفة في الكثير

[1] مجدي كيلاني، ص153.

[2] عزت قرني، ص86، 96.

*دراخمة: هي عملة اليونان قبل اعتماد اليورو كعملة رسمية عام 2001 وأقدم عملة في العالم، إذ يعود تاريخها إلى 1100 عام قبل الميلاد، وهي كلمة أشتقت منها كلمة درهم. Ar.m.wikipedia.org

من المواضيع، لقد اتخذ تخصّصا في مسائل المفردات والنّحو، وهي جزء مهم من البلاغة التي كان يعلّمها."[1]

يمكن أن نلخّص الأهداف التي سعى السفسطائيون إلى الوصول إليها من خلال ما سبق في النّقاط التالية:

- نقل الفلسفة إلى العمل والابتعاد عن المسائل الطبيعية (الميتافيزيقية).

- تحصيل ثروات مالية.

- الوصول بتلامذتهم إلى النّجاح في حياتهم السياسية والوصول إلى السلطة.

- النجاح على حساب الحقيقة والأخلاق.

2-2 - الخطابة والسفسطة عند السفسطائيين:

إنّ ارتباط الحجاج بالخطابة عند اليونان هو ما ساعد على ظهور مجموعة من الفلاسفة اتّخذوا الخطاب وسيلة لهم لتحقيق النّجاح وكسب الأرباح وخدمة مصالحهم وأهوائهم، وهؤلاء هم السّفسطائيون الّذين برعوا في فنون القول والقدرة على الإقناع والتأثير في جمهورهم باستخدام حجج ومقدّمات كاذبة، فكانت ذريعتهم في ذلك الخطابة أو الجدل لأنّ الخطابة كما يعرّفها (أرسطو) قديما هي الكشف عن طرق الإقناع الممكنة في أيّ موضوع،[2] لكن مع ظهور الفلاسفة العقليين بدأ الهجوم على هذه الفئة، لأنّهم-حسب رأيهم- يزرعون الظنّ والشكّ، ولا يسعون للوصول للحقيقة، إنّما أهدافهم عملية تتجلّى في الحصول على مناصب في الدّولة والنّجاح على حساب الحقيقة والسياسة على حساب

[1] فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر محمد صالح ناجي الغامدي، ط1، (مركز النشر العلمي،2011)، ص24.

[2] رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات العاصرة، ص129.

الأخلاق، فأجازوا كلّ ممنوع من أجل تحقيق مصلحة شخصية، وهم بذلك قد تنصّلوا من كلّ ما له علاقة بالأخلاق والسلوك.

إنّ نشأة السّفسطة في حضن الخطابة جعلها تحظى باهتمام السفسطائيين، وتنال مكانا مهمّا في نشاطهم؛ لأنّها أداتهم الأولى للتأثير في الجماهير، فاتّخذوا تعليم الخطابة مهنة لهم، واهتموا بتهيئة تلامذتهم للعمل السياسيّ من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الخطابة ترتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم الإقناع الذي اهتم به السّفسطائيون،[1] بل جعلوا "الخطابة" في صدر الصنائع الإنسانية، فقد ذكر "فرجياس" لسقراط أن حصون أثينا وموانيها، أي العناصر الحيوية للاقتصاد والسلطة، قد بنيت بفضل السلطة القائمة على القول، وليس بفعل العمل الحِرفي أو الصناعي.[2]

هذا الكلام أكبر دليل على أنّ الخطاب والحجاج اكتسبا مكانة كبيرة لدى السّفسطائيين، نظرا لقدرتهما الفعّالة على الإقناع والتأثير خاصّة في العمل السياسي. والدّليل على هذا ما ورد عن (أفلاطون) في محاورة (جورجياس): "في جدال حول الغذاء يدور أمام جمهور من الأطفال، فإنّ الحلواني كفيل بأن يهزم الطبيب. وفي جدال أمام جمهور من الكبار، فإنّ سياسيا تسلّح بالقدرة الخطابية وحيل الإقناع كفيل بأن يهزم أيّ مهندس أو عسكري حتّى لو كان موضوع الجدال هو من تخصّص هذين الأخيرين."[3]

ومن الفلاسفة السّفسطائيين: جورجياس وكاليكيس، وبروتاغوراس، هبياس، بروديقوس، الذين صارت بعض أسمائهم عناوين لمحاورات أفلاطون على لسان سقراط.

2-3 – أشهر السفسطائيين وفلسفتهم:

[1] عزت قرني، الفلسفة اليونانية حتى افلاطون، ص87.

[2] هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص55.

[3] عادل مصطفى، المغالطات المنطقية – فصول في المنطق غير الصوري، ص14.

لقد ظهرت بوادر الشّك مع السفسطائيين، فهم من أذاع الشّك والظنّ في مكان العقل، وأنكروا قدرة العقل على إدراك الحقيقة، وكما علمنا سابقا أنّ السّفسطائيين لم يكوّنوا مدرسة أو مذهبا خاصّا بهم لهم مبادئ مشتركة وفكر مشترك، وهذا ما يجعلنا نعرض بعض الشّخصيات، وأهمّها على الإطلاق:

أ – بروتاجوراس (Protagoras):

واحد من أوائل السفسطائيين وأبرزهم، عاش في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد. وفقًا لتقرير ديوجينيس كان بروتاجوراس (protagoras) أوّل من أدرك أنّ كل قضية تحتوي على وجهين متضادين، وأنّ الخطيب الماهر يستطيع الدّفاع على صحّة كلّ منهما.[1] يعني هذا أنّ السفسطائي يمتلك القدرة على إقناع الآخرين بصحة وجهة نظر معينة في قضية ما ونقيضها في نفس الوقت، ويثبت صحة كلّ منهما باستناده إلى أدلّة واهية.

وأشهر نظرياته هي نظريته النّسبية في الأخلاق والتي تعدّ الإنسان مقياس كلّ شيء. يقول" الإنسان هو مقياس كلّ الأشياء التي لها ماهية لها وجود، وتلك التي ليس لها ماهية ليس لها وجود."[2]

إنّ نظرية النّسبية في الأخلاق من أحد أهمّ المبادئ التي اعتنقتها هذه الفئة، وانطلقت منها في تفسير نظرتها للوجود، هذه الأخيرة الّتي جعلت الإنسان ومصالحه في مقدّمة اهتماماتها، فهي تعدّ النّسبية في كلّ شيء في الحقيقة، وفي الأخلاق، في العادات والتقاليد، فليس هناك شيء ثابت بالنّسبة لها، لأنّ ذلك متوقّف على الإنسان فهو الذّي يُحدّد إن كان هذا السلوك أخلاقيّا أم غير أخلاقيّ بحسب ما يخدم مصلحته، فما يصلح لشخص لا يصلح بالضرورة للآخر.

[1] ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقلس، ص54.

[2] فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص23.

فبروتاجوراس يُنكر وجود الحقيقة الموضوعية، ما يراه الإنسان صحيحا فهو صحيح في مقياسه وخاطئ لدى غيره، ولا يوجد معيار ثابت يمكن الرجوع إليه لتصحيح المعرفة، ... فما يبدو موجودا فهو موجود وما لا يبدو كذلك لا يكون موجودا، فالحقيقة متغيّرة ونسبية.[1]

السّفسطائيون يُخالفون في هذه النقطة الفلسفة اليونانية التي تقول إنّ المعرفة (الحقيقة) مطلقة وثابتة وليست نسبية ومتغيّرة كما زعمت الفلسفة السّفسطائية، فهذه الأخيرة تنظر في مصلحة الإنسان ورغباته؛ لأنّه مصدر الحقيقة، ومن ثمّة وجب عليه أن يتعلّم فن الإقناع ليتمكّن من كسب النّاس لمصلحته.

ب – جورجياس (Gorgias):

أحد أبرز الفلاسفة الذين تبنّوا المذهب السفسطائي، وُلد في بداية القرن الخامس قبل الميلاد، تقريبًا عام 490 ق.م. اشتهر جورجياس بمهاراته في الخطابة. ويُصوَّره أفلاطون في محاورته التي تُعرف باسم "جورجياس" يفاخر بقدرته الفائقة على الردّ على أي سؤال يُطرح عليه،[2] ألّف كتابا عنوانه "في اللّاوجود"، يعتمد على ثلاث قضايا أساسية هي:

أوّلا: لا يوجد شيء. وثانيا: وإذا كان هناك شيء، فالإنسان قاصر عن إدراكه. وثالثا: إذا فرضنا أنّ إنسانا أدركه، فلن يستطيع أن يوصله إلى غيره من النّاس.[3]

فالسّفسطائيين أغفلوا قدرة العقل على اكتشاف الحقيقة، والكشف عن أسرار الظواهر، وجعلوا الإنسان مقياس كلّ شيء، فما نسمّيه حقيقة في عرفهم ليس إلّا وهمًا "لأنّنا إذا نظرنا في واقع الأمر نجد

[1] أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، د.ت، (القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر، 1998)، ص121.
[2] مجدي كيلاني، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، ص156.
[3] جميل حمداوي، أنواع الحجاج ومقوّماته، ص 38.

أنّ كلّ فرد له حقيقته الخاصّة به، ومادام الأمر على هذه الحال، فلا بأس حسب هذا التصوّر في مخاطبة الجمهور بالحقائق التي تروقه، لأنّ ذلك أدعى إلى كسب تأييده."[1]

وقد كان مسعى (جورجياس) هو تأهيل السّياسيين والخطباء والبلاغيين من أجل الوصول إلى أعلى المناصب في الدولة، ويُعبّر(جورجياس) عن ذلك قائلًا: "إنّني أتحدّث عن القدرة على إقناع القضاة في المحاكم وأعضاء المجلس في مجلس المدينة، ومجموع المواطنين في مجلس الشعب، بفضل الخطب، باختصار، القدرة على الإقناع في أيّ جمع للمواطنين كيفما كان"،[2] فالخطابة هي وسيلتهم للإقناع في شتّى المجالس والمناسبات مهما كان المستوى الثّقافي لجمهور السامعين.

ج – هيباس (Hippas):

ولد في 460 ق. م في إليس(Elis) ولا يُعرف تاريخ وفاته. وقد ذاع صيته كسفسطائي وازدهر في 399ق. م. كان شديد الثّقة بعلمه وبنفسه فزعم أنّه أستاذ عصره، وتضمّنت أعماله تعاليم وكتابات في الموسيقى والتراجيديا والنّحت والرسم والأخلاق والتاريخ والخطابة والفلك والهندسة والحساب.[3]

أفرد له أفلاطون محاورة تُوسم بـ (هيباس الكبرى)، في هذه المحاورة يتم تصوير السفسطائي (هيباس) بطريقة ساخرة، وذلك لادّعائه أنّه قادر على التكلّم على أيّ موضوع بمهارة ولا يمكن أن يضاهيه فيه أحد.[4]

[1] رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات العاصرة، ص131.

[2] جميل حمداوي، أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة، ص38.

[3] مجدي كيلاني، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، ص160.

[4] ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقلس، ص61.

نفهم ممّا سبق أنّ السّفسطائيين خالفوا الفلاسفة في ثلاثة مباحث (الوجودية، الحقيقة، الأخلاق) وهي ما جعلت أفلاطون وأرسطو يشنّان الحرب عليهم، فقد تناقضت آراؤهم في هذه المباحث.

ويمكن أن نلخّص كلّ ما سبق الحديث عنه في قول باربارا كاسان: "من مجموع محاورات أفلاطون تنبثق الصورة التي ستصبح منذئذ سائدة عن السّفسطائية. إنّها فاقدة للاعتبار على جميع الأصعدة، فعلى صعيد مبحث الوجودية لا يهتم السّفسطائي بالوجود، بل يلجأ إلى العدم والعَرَض. وفي المنطق لا يبحث عن الحقيقة أو الصرامة الجدلية، بل عن الرأي والترابط المنطقي الظاهري والإقناع والغلبة في المقارعات الخطابية فقط، وفي علم الأخلاق والتربية والسياسة لا يضع نُصب عينيه الحكمة والفضيلة، بل يسعى للسلطة الشّخصية والمال، وهو فاقد للاعتبار على صعيد الأدب، مادامت الوجوه البلاغية المستعمَلة في أسلوبه ليست سوى تصنّعٍ فارغٍ معرفيًّا."[1]

ويمكننا توضيح الفروق بينهما في الجدول الآتي:

السفسطائي	الفلسفة
الحقيقة نسبية ومتغيّرة.	الحقيقة مطلقة وثابتة.
يسعى للسلطة الشخصية وتحقيق النجاح في الحياة العملية والمال على حساب الأخلاق.	تسعى للوصول إلى الحقيقة.
لا يهتم بالوجودية(تهتم بمصلحة الإنسان).	تهتم بالوجودية.

[1] الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، ص81.

3- أساليب المغالطات الحجاجية وأنواعها:

يعدّ أرسطو أوّل من قسّم المغالطات إلى نوعين رئيسيين (لفظية ومعنوية)، المغالطات اللّفظية مصدرها اللّغة، في حين أنّ المغالطات المعنوية غير مرتبطة باللّغة. وظلّ تقسيمه عماد المناطقة منذ عهده حتّى الفلسفة الحديثة، وعلى الرّغم من المحاولات المتكرّرة لتقسيم جديد للمغالطة إلّا أنّ تقسيم أرسطو هو أفضل ما تمّ الوصول إليه إلى اليوم، والدليل على ذلك أنّ كتب المنطق لا زالت إلى يومنا هذا تأخذ بما وضعه المعلّم الأوّل، وتستعمل الاصطلاحات التي وضعها.

النّوع الأوّل من المغالطات على **مستوى الألفاظ** (أغاليط لفظية) وعددها ست: الاشتراك في اللّفظ، المماراة، والتّركيب، والتقسيم، والإعجام، شكل اللّفظ.

والنّوع الثاني على **مستوى المعنى** (أغاليط معنوية) وهي: ما بالعرض، سوء اعتبار الحمل، قلة العلم بالتبكيت، المصادرة على المطلوب، إيهام عكس اللّوازم، جعل ما ليس بعلّة علّة، جمع المسائل الكثيرة في مسألة واحدة.[1]

3-1 - المغالطة اللّغوية:

في هذا النّوع يستخدم المغالط اللّغة بطريقة تؤدّي إلى فهم يُخالف المقصود، يمكن أن يكون ذلك نتيجة للنبّرة، الإعجام، التّخفيف أو التّشديد، وقد يغيّر من إعراب اللّفظ ليتغيّر مفهومه أو يحوّل التّشديد إلى تخفيف أو المدّ إلى القصر...والمغالطات داخل القول هي:

أ- الألفاظ المشتركة (fallacy of cognqtes): أن يجعل المغالط الكلام خفي الدّلالة على المعنى المراد به، وبطريقة تجعل المخاطَب عاجزا عن تفصيل المعاني التي يتوّفر عليها اللّفظ الواحد، بمعنى أنّ اللّفظ الواحد قد يدلّ على أكثر من معنى، حيث يلعب المغالِط على تعدّد المعاني المحتملة للفظ

[1] ابن سينا، ص17، 18.

الواحد لتضليل المخاطَب، وجعله يظن أنّ المتحدّث يقصد أمورًا محدّدة، وذلك بالطريقة التي تخدم مقاصدهم،[1] وغاية المغالط من استخدام لفظ مشترك يهدف إلى إثارة الشك والتردد في نفوس الخصوم، مما يجعلهم يترددون في استخدام اللفظ المناسب للمعنى المقصود، فاللّفظ المشترك يحمل معنيين على الأقلّ، الأوّل هو المفهوم والثّاني هو المقصود. والمغالط في هذا النّوع يجعل المفهوم يُغاير المقصود، فيُوهم بذلك مخاطبه بأنّ الأمر يهمّ المقصود وغير المقصود معًا، ليردّ عليه التّسليم بأقوالٍ مثل: "لم أقصد ما تدعيه، أو أنت عاجز عن فهم قصدي."[2]

والمثال على هذا النّوع من التغليط اللّغويّ ما أخذناه عن ابن رشد: "بعض الشرّ واجب، والواجب خير، فبعض الشرّ خير"، والمغالطة هنا ناتجة عن اشتراك لفظ "الواجب"، فهو يدلّ في قوله" بعض الشرّ واجب" على ما نعبّر عنه بِـ "الضروري"، ويدلّ في قوله "والواجب خير" على الواجب بمعناه الأخلاقي أي ما ينبغي أن يكون.[3]

ب – إفراد القول المركّب (fallacy of singling out the composite statement)

statement): وذلك أنّ القول المركّب إذا أسند إلى شيء يدلّ على أمر، وإذا أفرد دلّت مفرداته على أمر آخر إذا أسندت إلى الشيء ذاته، فيعمد المغالط إلى إسناد هذه المفردات إلى هذا الشيء، موهمًا بأنّ ذلك لازم عن صدق إسناد مركّبها إليه. ومثاله قول القائل: زيد عبد حر، إذن فزيد عبد وحر.[4]

[1] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص66.

[2] حسان الباهي، ص383.

[3] ابن رشد، تلخيص السفسطة، ص17.

[4] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص67.

ج- الاشتراك في التركيب (Syntactic ambigiguity): وفيه تكون الألفاظ محدودة ولكن معنى الجملة يتغيّر مع بقاء الألفاظ هي هي،[1] فاللّفظ واحد والمعنى متعدّد، كأن يقول عن الذهب: "هذا عين" ويعتبرها مقدّمة صغرى، ثمّ يقول في المقدّمة الكبرى" وكلّ عين زينة للوجوه، ويقصد بالعين هنا عين البصر، ثمّ يستنتج نتيجة فيقول: "فهذا زينة للوجوه". وظاهر أنّ فساد هذا القياس ناشئ عن انعدام الحدّ الأوسط فيه.[2]

د- النبرة والإعجام (fallacy of accent): تعود المغالطات من هذا القبيل إلى النبرة والإعجام، كأن نغيّر إعراب اللّفظ فيتغيّر مفهومه. فقدرة المتكلّم على النطق الصحيح وإخراج الحروف والأداء البلاغي الفصيح وحسن النغمة تلعب دورا أساسيا في كلّ تفاعل خطابي. هناك أصوات تشدّ السّامع أكثر من أصوات أخرى. فحتّى لو أخذنا نفس المضمون، فقد يعبّر عنه شخص بشكل يجلب معه انتباه السامع، في الوقت الّذي تنفر من صوت شخص آخر.[3]

هـ – شكل اللّفظ (form fallacy): ومن أمثلة التحريف في حركات الكلمة، مغالطة الملاحدة في قوله تعالى: "إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماء"، فلفظ الجلالة في النّص مفعول به، ويكون فاعل الخشية هم العلماء.

فيأتي المغالطون فيقومون بتحريف النّص وقراءته على أنّ الله يخشى من العلماء، ويجعلون ذلك مقدّمة فاسدة في دليل باطل يسوقونه[4]، فيتلاعبون باللّفظ حتّى يغيّروا المعنى.

---

[1] عبد الرحمان بدوي، المنطق الصوري و الرياضي، ص248.

[2] عبد الرحمان حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط4 (دمشق: دار القلم، 199ب.م.)، ص305.

[3] حسان الباهي، المغالطات في الخطاب اليومي، ص384.

[4] عبد الرحمان حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص311.

و– التّقسيم (Division): يستخدم المغالط مسالك غير مشروعة ليوهمنا بأنّ الخاصية التي يتوفّر عليها الكلّ تتوفّر عليها الأجزاء المكوّنة له منفصلة. فهو يدّعي أنّ الخاصية التي يتمتّع بها الكلّ تنتقل بالضرورة إلى الأجزاء المشكّلة له. فمتى اتّصف الكلّ بخاصية معيّنة أو صدقت عليه أوصاف محدّدة سعى المغالط إلى أن يوهم منازعه بأنّ هذه الخصائص أو الأوصاف تنطبق كذلك على الأجزاء موزّعة.[1]

ومثاله أن نقول: إذا كان صحيحا أنّ مجموع ثلاثة زائد اثنان هو خمسة، ومن الصادق أنّ 2 عدد زوجي و3 عدد فردي، فمن الكذب أن يكون جمعهما عددًا زوجيا وفرديا في نفس الآن؛ لأنّ في ذلك إيهام بأنّ صحّة العناصر في حال الإفراد تنسحب على حال التركيب.[2]

3–2 – المغالطات غير اللّغوية:

وفيها يعتمد المغالط سبل التّرغيب والتّرهيب والوعد والوعيد لتمرير موقف ما. كما يستخدم أساليب العصا والسلطة والتهجّم على الشّخص وإثارة العواطف، وغيرها من العوامل الحافة بالنّص.[3]

والمغالطات خارج القول هي:

أ– المصادرة على المطلوب (Circular Reasoning): هي أن يجعل المغالط النّتيجة التي يريدها في المقدّمة نفسها، فهو لا يبرهن عليها، بل يفترض صحتها بإعادة صياغتها في النتيجة بطريق توهمنا بأنّنا حصلنا عليها كنتيجة للمقدّمة،[4] وقد يكون ذلك بشكل ظاهر أو ضمني بكيفية تجعل قبول المقدّمة يستدعي البدء بقبول النتيجة.[5]

---

[1] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص386.

[2] النويري، الأساليب المغالطية مدخل لنقد الحجاج، ص444.

[3] النويري، ص381.

[4] أحمد دعدوش، المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام، ط1، (دار ناشري للنّشر الإلكتروني، 2014)، ص9.

[5] حسان الباهي، المغالطات في الخطاب اليومي، 392.

ففي هذا النّوع يُشير العارضُ إلى النّتيجة ضمن مقدّمات الاستدلال صراحةً أو ضمنًا، لكنّ هذا لا يعني أنّ نتيجة القضية المعروضة صادقة بمجرّد أنّها ذُكرت في مقدّمات الاستدلال، فهي ليست صادقة مادام المخاطب لم يقدّم الدليل الذي يثبت صدقها، ونحن بذلك نوهم المخاطب بصحة المقدّمة لنجعله يسلّم بها لكنّها في حقيقة الأمر واهية وكاذبة، فجعلنا النتيجة مقدّمة.

من الأمثلة على المصادرة على المطلوب: تقديم الدليل على أنّ الأرض كروية بقولنا:

لو لم تكن الأرض كروية لكانت منبسطة.

لكن الأرض ليست بمنبسطة.

فالأرض كروية.

ففي هذا الدليل مصادرة على المطلوب، لأنّ يشتمل على مقدّمات يتوقّف ثبوتها على ثبوت المدّعى، لأنّنا لا نعرف كون الأرض غير منبسطة حتّى نعرف بأنّها كروية.[1]

ب– التعميم المتسّرع (Hasty Generalization): تُعرف بأسماء أخرى منها التعميم الخاطئ، أو الاحصاءات غير الكافية، أو العيّنة غير الكافية، أو الاستقراء المتسرّع، ويحدث عندما نستنتج خصائص فئة كلية من خصائص عيّنة من هذه الفئة، أو عندما نستخلص نتيجة حول جميع أعضاء مجموعة ما استنادا إلى ملاحظات عن بعض أعضاءها فقط.[2] في هذا النّوع من المغالطات نبرّر النّتيجة اعتمادا على عيّنات غير كافية، ونُقرّر الحكم النّهائي انطلاقا من النتائج المتوصّل إليها من تلك العيّنات.

[1] عبد الرحمان حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص312.

[2] عادل مصطفى، المغالطات المنطقية – فصول في المنطق غير الصوري، ص52.

ووجه التغليط هنا أنّنا لا نستطيع تعميم الحكم على الكلّ من خلال الجزء، فالأجزاء كلّها ليست متشابهة، وما ينطبق على الجزء ليس بالضرورة ينطبق على الكلّ، "ومن أمثلتها: اعتبار فرويد سلوك الإنسان كلّه من مظاهر الدافع الجنسي لديه"[1]. فهو هنا عمّم هذا الحكم على سلوك الإنسان كلّه، استنادا على ما درسه من حالات شّاذة عالج فيها بعض المرضى.

ج– مغالطة الشّخصنة (حجة تجريح الشّخص ad hominem fallacy): تهدف هذه الحجّة إلى تجريح شخص المتكلّم عن طريق الإشارة إلى عيب يخدش شخصيته أو أفكاره. وبناءً على هذا العيب يتم رفض الفكرة المقدّمة لا على أساس مضمونها، بل على أساس عيب الشخص نفسه.[2]

وفي هذه المغالطة تحديد صحّة الحجّة وصوابها أمر لا علاقة له بشخص المتكلّم وخصاله، وإنّما بالفكرة ذاتها، وعلى المخاطب أن يصرف النّظر عن كلّ الأمور التي لا علاقة لها بموضوع الحوار.

ومن الأمثلة التي توضّح هذا النّوع من المغالطات:

محمّد–صلّى الله عليه وسلّم– مجنون، ساحر، يبحث عن ملكٍ وجاهٍ، فما يقوله عن آلهتنا باطل لا أساس له،[3] ووجه المغالطة هنا هو الطعن في شخص محمد–صلّى الله عليه وسلّم– ووصفه بصفات تخدش شخصه، بدل مواجهته بالحجّة.

[1] عبد الرحمان حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ص309.

[2] جميل حمداوي، أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة، ص47.

[3] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص20.

د- الاحتكام إلى السلطة (ad verecundiam appeal to authority): يقع الشّخص في هذه المغالطة عندما يعتقد بصدق قضية أو فكرة لا لشيء إلّا لأنّها صدرت عن سلطة ما في مجال معيّن، وتكمن المغالطة في اعتبار السلطة بديلا عن البيّنة، أو اتّخاذها هي في حدّ ذاتها البيّنة.[1]

وتقع المغالطة في هذا النّوع حين نجزم بصدق القضية لمجرد أنّها صدرت من قبل سلطة علمية أو سياسية أو شخصية مشهورة، فعوض الإدلاء بقول جازم يستند إلى دليل قاطع، يلجأ المغالط إلى هذا النّوع من الحيل.

كما قد تكون هذه المغالطة بذكر اسم خبير في مجال ما أثناء دفاعنا عن الفكرة مدّعين أنّه من بين المناصرين لها أيضا، مع أنّه لا علاقة له بمجال المحاورة.[2]

إنّ الاستنجاد برأي خبير في مجال ما كحجّة أثناء حوارنا أمر لا غبار عليه، لكن إن جعلنا استنجادنا برأي خبير من أجل تغليط السامع ودفعه للاقتناع غير جائز.

هـ- الاحتكام إلى سلطة الآباء والتقاليد (Ad antiquitatem, ad traditio): في هذا النّوع من المغالطة يستدلّ المغالط بأنّ هذه العادة أو هذا السلوك وُرّثت من آبائهم وأجدادهم، أو أنها تقليد مقدّس لا يستطيعون العزوف عنها، بدل الإتيان بدليل منطقي يفسّر هذا التقليد الأعمى، وقد أوضح القرآن الكريم أنّ السبب المشترك في ضلال الأمم هو تقليد الآباء، إذ تقول الآية الكريمة:

[1] عادل مصطفى، المغالطات المنطقية – فصول في المنطق غير الصوري، ص85.

[2] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص23.

﴿وَكَذلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ(23)﴾ [الزخرف: 23][1]

و- سفسطة التراثي (Appeal to Tradition): بدل التّدليل على صحة القضية بالأدلة العقلية المقبولة يتم في هذا الأسلوب الحِجَاج لها بقيمتها التراثية وأصالتها وقدمها.

وصورتها كما يلي: (س) أمر تراثي – قديم – عتيق.

- إذن (س) صحيح أو (س) هو الأفضل.[2]

إنّ الحجّة التي تتأسّس على التراث حجّة واهية، لأنّ قِدَمَ الشيء وعَراقته ليس دليلا على صحة الشيء دائما.

ز- مغالطة الرنجة الحمراء (red herring): تُعبّر عن كلّ محاولة لتحويل انتباه الجمهور عن المسألة الرئيسية في النّقاش، وذلك بإدخال تفصيلات غير ضرورية، أو بإدخال موضوع ثانوي لا صلة له بالموضوع الرئيسيّ، ممّا يُشتّت انتباه الخصم ويُخرجه عن موضوع النّقاش.[3]

في هذا النّوع من المغالطة يتعمّد المغالط تشتيت انتباه محاوره وصرف انتباهه إلى موضوع آخر يثير به انتباهه حتّى يجعله لا يذكر موضوع الحوار، ليغطّي عن قضيته الّتي عجز عن اثباتها، فينتقل للحديث عن قضية مغايرة ليثير المشاعر.

[1] أحمد دعدوش، المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام، ص26.

[2] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص41.

[3] عادل مصطفى، المغالطات المنطقية – فصول في المنطق غير الصوري، ص63.

ح– مغالطة تجاهل المطلوب (الحيد عن المسألة ignorato elenchi): أن نتجاهل ما يستوجب البرهنة عليه، لنبرهن على شيء آخر؛ مموّهين في نفس الوقت أنّنا أجبنا على المطلوب. بذلك تتسم الحجّة بسمتين: أنّها انحرفت عن الهدف المسطّر لها، وأنّها اتّجهت مباشرة إلى نتيجة أخرى.

في هذا النّوع يتهرّب المغالط من السؤال المطروح عليه، فيجيب عن غير السؤال الّذي طُرح عليه فيبرهن على شيء آخر موهما أنّه أجاب عليه ليُحيد خصمه عن الجواب المطلوب.

يكون تسلسل المغالطة في هذه الحالة كما يلي:

أ– الموضوع(أ) يكون قيد المناقشة، ب– يتم تقديم الموضوع(ب) كما لو أنّه ذو صلة بالموضوع(أ) ولكنه ليس كذلك، ج– يتم إهمال الموضوع(أ).[1]

ط– الاحتكام إلى عامة النّاس (ad populu): تتضمّن هذه المغالطة الاحتكام إلى النّاس بدلا من الاحتكام إلى العقل، ومحاولة استمالتهم لتصديق فكرة معيّنة من خلال استثارة مشاعرهم وعواطفهم دون تقديم حجّة منطقية مقنعة.[2]

ي– مغالطة المنشأ (genetic fallay): تقوم هذه المغالطة على الحكم بصحة أو خطأ القضية استنادا إلى أصلها ومصدرها (منشئها)، فإذا كان هناك رأي قد صدر عن جهة يبغضها يُسارع الفرد إلى الحكم ببطلانه، والعكس صحيح.[3]

[1] إم.كيلي، ستيوارت، ص84.

[2] عادل مصطفى، المغالطات المنطقية – فصول في المنطق غير الصوري، ص98.

[3] دعدوش، المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام، ص28.

وفي هذا النّوع من المغالطات يستخدم المتكلّم مصدر اعتقاده دليلًا على صحة هذا الاعتقاد، حيث يقبل أو يرفض الأمور بناءً على أصلها ومصدرها.

ومن الأمثلة على هذا النّوع من المغالطات:

-"كيف تسمح لنفسك أن تتخذ خاتم زواج (دبلة) وأنت تعلم أنّ هذا الرمز يعود إلى أصول بدائية همجية، عندما كانت المرأة تسلسل من أعقابها بعقال، كالدواب المملوكة، حتّى لا تفر من زوجها".[1]

ك- الاحتكام إلى الجهل (المحاجة بالتجهيل ad ignorantiam): يقوم المغالط في هذه الحالة بالادّعاء بأنّ القضية صحيحة طالما لم يبرهن خصمه على بطلانها، حيث يعتمد على جهل الخصم بالدليل، كما يمكن أن يعكس المعادلة ويزعم أنّ قضية ما خاطئة طالما عجز خصمه عن إثباتها.[2] فالمتكلّم يبني حجته على افتراض يقول: إذا لم تُدْلِ بما ينفي حجّتي، فحجّتي صحيحة، وهذا التصوّر يتنافى مع قواعد البحث العلمي، فعدم توفر دليل للمحاجج ينفي حجّة خصمه لحظة الحوار لا يعني بالضرورة أنّ الحجّة صحيحة، وصورتها كما يلي:

- لا يوجد دليل ضدّ الفرضية ف.

- إذن ف صحيحة.[3]

ل- مغالطة مناشدة العواطف (ad misericordiam): هي استخدام اللّغة المشحونة عاطفيا لإلهاء القرّاء والمستمعين عن الأسباب والأدلّة ذات الصّلة. العواطف الشّائعة التي تتم مناشدتها هي

[1] عادل مصطفى، ص44.

[2] دعدوش، المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام، ص33.

[3] النويري، الأساليب المغالطية مدخل لنقد الحجاج، ص433، 434.

الخوف، والأمل، وحب الوطن، والشفقة، والتعاطف.[1] ففي هذا النّوع من المغالطات تأخذ الشفقة مأخذ الحجّة.

والمثال على ذلك:

– لابد أنّ الحلّ الّذي توصّلت إليه لهذه المسألة الرّياضية هو حلّ صحيح: لقد توصّلت إليه بعد عناء خمس ساعات من اعتصار الفكر والتركيز المتصل،[2] ووجه التغليط هنا أنّ الفكرة الخاطئة خاطئة سواء كانت نتاج خمس ساعات أو أكثر من التّفكير، ولا علاقة لها بالزمن الّذي أستغرق ولا الجهد الّذي بُذل فيها، فهي ليست سببا يجعلنا نجزم بأنّ النّتيجة صائبة، إنّما هي محاولة إثارة هذا الشّخص شفقة النّاس وحكمه بصحة المسألة الرياضية ليس لسبب إلّا أنّه أمضى خمس ساعات للتفكير والتركيز فيها.

هذا النّوع من التغليط أكثر ما نجده في الخطابات الدعائية بجميع أصنافها السّياسية والمذهبية والتجارية..... يخاطب فيها المتكلّم عاطفة النّاس لا عقولهم، وذلك لحملهم على الاعتقاد بصحة الفكرة، فليس الهدف من الحوار تهييج عواطف الناس واستثارة أحاسيسهم، بل تزويدهم بالأدلّة العقلية التي تخاطب الحسّ السّليم، بالتّالي فحين يُستبدل العقل بالعاطفة، نكون أمام هذا الضرب من السّفسطة.

والمثال على هذه السّفسطة:

[1] إم.كيلي، ستيوارت، ص81.

[2] عادل مصطفى، المغالطات المنطقية – فصول في المنطق غير الصوري، ص94.

– المنتوج (س) هو الحلّ الأكيد لجميع مشاكلك، استعمله وسترى الحياة بنظرة جديدة، ينبغي أن تعلم أنّ (س) طريقك نحو الحياة السعيدة.[1]

م– مغالطة العصا أو التخويف (Appeal to Fear): يلجأ المحاجج إلى آليات التّخويف والتّرهيب، واستعمال العنف المادي والمعنوي من أجل التأثير في الغير وإفحامه،[2] وفي هذا النّوع يكون استسلام المخاطب وانصياعه هو أولى اهتمامات المخاطب ثمّ يأتي الإقناع في مرحلة ثانية، فلا يهمّه ما يعتقده أو يفكّر فيه الطرف الآخر، ولا يهمّه إن اقتنع أو لا بقدر اهتمامه بتحقيق مطلوبه.[3]

ومن الأمثلة على ذلك:

– يلزمك الموافقة على السّياسة الجديدة للشّركة؛ هذا إن كنت تريد أن تحتفظ بوظيفتك.[4]

ووجه البطلان في هذا الأسلوب الاستدلالي أنّ تخويف الشّخص المراد محاورته ليس وسيلة لإثبات صدق القضية.

ن– سفسطة السّخرية (Appeal to Ridicule): وفي هذه السّفسطة عوض التدليل بالحجاج القويم يتم اللّجوء إلى أسلوب السّخرية والاستهزاء.

إنّ أسلوب السّخرية في المحاورات أمر غير لائق ومُحرج للطرف الآخر، والاستهزاء بأفكار الآخرين وتصوير دعاويهم بصورة تبعث على السّخرية، لا يعني أنّ هذه الأفكار باطلة، ومن أمثلة هذا الأسلوب:

[1] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، 28، 29.
[2] جميل حمداوي، أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة، 48
[3] النويري، الأساليب المغالطية مدخل لنقد الحجاج، ص426.
[4] عادل مصطفى، المغالطات المنطقية – فصول في المنطق غير الصوري، ص426.

- كلّما تكلّم زيد إلّا وتنتابني موجة من الضّحك، تصوّر إنّه يعتقد أنّ النّظام الاشتراكي لا زال قابلا للتطبيق في الوقت الراهن...ألا ما أتفه هذا الرأي.[1]

س- مغالطة رجل القش (Straw man fallacy): تهدف هذه الحجّة إلى "تهوين الرأي الّذي تتمّ محاورته، بإعادة بنائه على نحو يصير من اليسير نقضه وبيان تهافته."[2]

يهدف فيها المغالط إلى تزييف الحقائق وإفحام خصمه بشكل مباشر، فيسعى المخاطب إلى تشويه وجهة نظر خصمه حتى يسهل عليه مهاجمته.

ع- سفسطة الحداثي (Appeal to Novelty): يتمّ فيها الحكم بصدق أمر ما لمجرّد أنّه حديث أو يرتبط بالحداثة على نحو من الأنحاء. والصّورة العامة لهذه السّفسطة كما يلي:

- (س) أمر حداثي

- إذن(س) صحيح أو (س) هو الأفضل.

ففي هذا النّوع يحاول المغالِط إجبار خصمه على الاقتناع بفكرته وجعله يتوهم أنّه متخلّف عن ركب الحضارة والحداثة، ويكفيه أن يُخبره بأنّ رأيه هو الأحدث، ووجه البطلان في ذلك جِدَّة الشّيء وحداثته لا يلزم عنها بالضّرورة أنّ هذا الشّيء صحيح، والحقّ لا يرتبط بالقِدم أو الحداثة.

والمثال على ذلك:

زيد: النّظرية التوليدية في اللّسانيات هي أفضل النّظريات وأصحّها على الإطلاق.

[1] رشيد الراضي، ص30.

[2] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص33.

عمرو: ما دليلك على ذلك؟

زيد: إنّها أحدث ما أنتجته الدّراسات اللّغوية المعاصرة.[1]

ف- سفسطة المنحدر الزلّاق (Slope Slippery): وفي هذه السّفسطة يدّعي الفرد لزوم وقوع حدث ما كنتيجة لحدث آخر دون تقديم حجج مقبولة تدعم هذا الادّعاء، ويصل هذا النّوع من السّفسطات حدوده القصوى حين يوهم المحاور بأنّ هناك سلسلة من النتائج المتتالية المترتبة على حدث ما وصورتها العامة:

- وقوع الحدث(ج).

- إذن لاشكّ أنّ الحدث (د) سيقع.

وقد يضاف إلى ذلك: ومادام الحدث(د) قد وقع، فلا شك في أنّ الحدث(ن) سيقع...[2]

ص-جمع المسائل في مسألة واحدة (the fallacy of combining multiple issues into one issue): يشير أرسطو في التبكيتات السّفسطائية إلى المغالطات التي تقوم على جمع مسائل متعدّدة في مسألة واحدة فيقول: "تتحقق المغالطات التي تتولّد عن جمع المسائل المتعدّدة في واحدة عندما يعار الجمع اهتماما فنقدّم جوابا واحدا وكأنّنا إزاء مسألة واحدة."[3]

ومن ذلك السّؤال التّالي: هل هذه المسألة كلّها جيّدة أم لا؟

---

[1] رشيد الراضي، ص40.

[2] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص44.

[3] النويري، الأساليب المغالطية مدخل لنقد الحجاج، ص440.

إنّه سؤال ينطوي على ضمّ مسائل مختلفة في قضية واحدة، ممّا يتطلّب جوابا شاملا يُعالج كلّ الجوانب المعنية، وكلّ جواب على هذا السّؤال بنعم أو لا قد يسفر عن مغالطة، إنّه سؤال فخ يسعى إلى الإيقاع بالمخاطب، لأنّ صاحبه لا يطلب جوابا وإنّما يريد إحراج المخاطب.[1]

قد يعمد المغالط تغليط خصمه فيطرح عليه سؤالا يجمع في مضمونه عدّة مسائل، فيوهم غيره أنّ الأمر يتعلّق بسؤال واحد، وعندما يحاول خصمه الإجابة بجواب واحد فيقع في مغالطة.

ق- تسميم الآبار (the well poisoning): تعود هذه المغالطة إلى القرون الوسطى، حين اعتقد أن وباء الطاعون ناتج عن تسميم الآبار؛ ومن ثم، وجب أخذ الاحتياطات اللّازمة. على هذا، تتعلّق هذه المغالطة بتزويد شخص أو جهة ما بمعلومات تخصّ شخصا أو جهة معيّنة حتّى يتمكّن من أخذ الاحتياطات اللّازمة. وتشمل الحالة التي نزوّد فيها أحد الطرفين بمعلومات تهمّ الطرف الآخر، والتي قد يستغلها الطرف الذي زودناه بها ضدّ خصمه.[2]

ر- العلّة الفاسدة أو أخذ ما ليس بعلّة علة (falce cause): والوقوع فيها يتم بعدّة طرق، فإمّا أن يكون ذلك بسبب الجهل بالعلل الحقيقية للأشياء. ولكنّ هذا في الواقع غلط وليس أغلوطة، ومن الأمثلة على ذلك تفسير ظاهرة الضّغط الجوّي. فمثلا كان يفسّر انكسار الإناء المملوء ماء حينما يتجمّد الماء بقولهم إنّ الماء ينكمش، فيترك حينئذ فراغا لا تستطيع الطبيعة احتماله، فينضم زجاج الإناء إلى الماء المتجمّد فينكسر.[3]

ش- الإحراج الكاذب (الأبيض أو الأسود False Dilemma): وتحضر في الحالة التي يُفضي فيها المتكلّم إلى وضع المخاطب أمام خيارات محصورة، بالرّغم من وجود خيارات أخرى غير تلك

[1] عبد الرحمان بدوي، المنطق الصوري و الرياضي، ص247.

[2] حسان الباهي، المغالطات في الخطاب اليومي، ص395.

[3] عبد الرحمان بدوي، المنطق الصوري و الرياضي، ص245.

المحدّدة، وغالبا ما يوضع المستهدف أمام خيارين لا ثالث لهما، لنجبره على الاختيار بين هذا وذاك. وهنا يقع ضحية التغليط بمجرد ما يضع الخيارين في تقابل، ويسلّم بأنّ أحدهما لابدّ أن يكون صحيحا.[1]

ت– سفسطة المآل (Consequences of belief): يقوم هذا النّوع من المغالطات على تقديم الحكم على صحة الفكرة استنادا إلى النّظر في النتائج المترتبة عليها، وعليه تقبل الفكرة إذا كانت النتائج إيجابيّة وتُرفض إذا كانت نتيجتها سلبية ونعتبرها كاذبة[2]. ووجه السّفسطة هنا أنّ الحكم على صحة قضية ما أو كذبها انطلاقا من نتائجها أمر غير صائب، فقد تكون قضية ما صائبة والنتائج المترتبة عنها سلبية، والعكس صحيح، فهذه الحجّة لا تُعتبر معيارا للحكم على مصداقية قضية ما أو كذبها.

إنّ هذا التقسيم للمغالطات ليس نهائيا، فالمغالطات لا يُمكن إحصاؤها احصاءً تامّا، وقد توّسع المناطقة المتأخّرون في تفريع أنواع المغالطات التي لمسوها في حوارات النّاس اليومية، بل إنّ هناك من أوصلها إلى ستّين مغالطة مستوحاة من واقعنا اليومي وهو توماس إدوارد دامر في كتابه (الردّ على الاستدلال بالمغالطة)، فالمغالطة في حالة تجدّد مادام هناك متكلّم ومستمع ومخاطب أو كاتب وقارئ أو آمر ومأمور.[3]

1 – 3 – **التغليط العائد إلى مسالك التدليل**: وفيه يستغل المغالط الآليات المنطقية للتّمويه مخلا بالشّروط التي يقتضيها الخطاب، فيغالط باستخدام صور فاسدة تمكّنه من أن يظهر الفاسد

[1] حسان الباهي، المغالطات في الخطاب اليومي، ص386.

[2] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص26.

[3] زمخشري بن حسب الله طيّب، عصام التيجاني محمد إبراهيم، المغالطة ومنهج القرآن في الردّ عليها، ص7.

صحيحا والكاذب صادقا. وقد يكون المضمون صادقا، لكنّ طريقة التّدليل عليه تفضي به إلى الكذب.[1]

4- الحجاج المغالط عند العرب

تناول العرب القدامى في تراثهم مصطلح السفسطة في مختلف الميادين، كما كانت هذه الظاهرة الخطابية محل اهتمام الباحثين في دراساتهم الحديثة والمعاصرة وهو ما سنتناوله فيما يلي.

4-1- المغالطة الحجاجية في التراث العربي:

تُرجم مصطلح السّفسطة إلى اللّغة العربية بعدّة ترجمات من بينها المغالطة، الحجة المعوجّة، السّفسطة، التضليلات، ... وكان مصطلح (السّفسطة) متداولا في التراث العربي في شتّى فروع المعرفة من فلسفة ومنطق وبلاغة ولغة. ولكنّها جاءت بلفظ السّفسطة كما ورد في كتاب (الشّفاء) لابن سينا، وكتاب (تلخيص السّفسطة) لابن رشد اللّذين شرحا منطق أرسطو، على حين (الفارابي) وضع جزءا من كتاب المنطق سمّاه (الأمكنة المغلطة)، وهناك من تحدّث عنها بمفاهيم ترمي إليها كـ(القرطاجني) و(الجاحظ)....

أ-في الدّرس الفلسفي: تناول الفلاسفة العرب القدامى السّفسطة وأنواعها في كتبهم ونذكر منهم:

- الفارابي (ت339 هـ): تمثّل اسهامات الفارابي الموقف الفلسفي الإسلامي العربي القديم من الغلط والتغليط، فقد قسّم (الفارابي) هذا المبحث في كتاب الأمكنة المغلطة الذي يكون جزءا من كتاب (الفارابي) في المنطق إلى ثلاثة أقسام:

[1] حسان الباهي، المغالطات في الخطاب اليومي، ص381.

الفصل الأوّل في صدر الكتاب.

الفصل الثاني في إحصاء الأمكنة المغلطة من الألفاظ.

الفصل الثالث في إحصاء الأمكنة المغلطة من المعاني.

يتحدّث (الفارابي) عن المغالطة قائلا: "نقول عن الأمكنة التي فيها يغلط الناظر في الشّيء وفي الأمور التي من شأنها أن تزول الذهن عن الصواب من كل ما يُطلب إدراكه ويُحيل الباطل في صورة الحق، وتُلبس على الإنسان مواضع الباطل فيما يقصد علمه فيقع فيه من حيث لا يشعر. وهذه بأعيانها هي التي بها يمكن أن يغالط الإنسان من يخاطبه حتّى إن كان مطالبا أو ملزما أوهم أنّه طالب وتسلّم، من غير أن يكون طالب وتسلّم....."[1]

فلا يبتعد تعريف الفارابي للمغالطة عن تعريف أرسطو والغربيين؛ فهي بالنّسبة إليه تبعد الذهن عن الصواب وتوهم بالصحة، وتُظهر عكس ما تُبطن، فتُظهر الباطل في صورة الحق، أو الحق في صورة الباطل.

وأمّا تقسيمه للمغالطات فقد قسّمها إلى: المغلِطَات التي هي ألفاظ والمغلِطَات التي هي معان، وأمّا القسم الأوّل فمنه الاسم المشترك، والاسم المستعار، والألفاظ التي تُقال على الشّيء مجازا، والقول المشترك، والتركيب المتواطئ الأجزاء، وتغيير لفظ إلى لفظ، تغيير تركيب إلى أفراد، وتغيير أفراد إلى تركيب، تغيير تركيب إلى تركيب، تغيير الشّكل، تغيير الإعراب، تغيير التصاريف، تغيير ترتيب أجزاء القول...وكان في كلّ قسم يستدل بمثال توضيحيّ.

[1] الفارابي، كتاب المنطق عند الفارابي، ج2، د.ت، ص132.

وأمّا المغلطات من المعاني فمنها التي تقال بالعرض، ومنها أن يغلط في تركيب الأشياء التي تقال فُرادى على شيء واحد فيتوهّم أنّها تتركب فيغلط، ومنها أن تُؤخذ المسألة المنظور فيها وهي في الحقيقة مقدّمات كثيرة على أنّها مسألة واحدة، ومنها المصادرة على المطلوب، ومنها أن يؤخذ ما ليس بسبب للزوم النتيجة على أنّه سبب له،....[1].

– ابن سينا (ت 427هـ):

قسّم كتابه السّفسطة الذي هو جزء من كتاب الشِّفاء إلى مقالتين، يندرج ضمن المقالة الأولى أربعة فصول عرّف خلالها السّفسطة وأنواعها، وأمّا المقالة الثّانية فتحوي ستة فصول.

استخدم مصطلح سفسطة وتبكيت، معرّفا إيّاه "التبكيت مصدر من الفعل الثلاثي "بَكَتَ" محرّكة، أو من الرباعي "بكّت" مشدّدة. فالتبكيت محركة، أي غلبه بالحجّة، والمباكتة مغالبة الخصم بالحجّة وإفحامه."[2] ويُعرّفها في موضع آخر بأنّها:" قياس مناقض للحق، ونتيجته نقيض الحق."[3]

– أبو حامد الغزالي(ت505هـ):

تحدّث عن الأغاليط في كتابه (معيار العلم في المنطق) في قسم المغلطات في القياس، وقسّمها إلى سبعة أنواع، وشرح كلّ واحد منها بمثال حتّى يتيسّر الاحتراز منها، وهي: الخروج عن الأشكال (المشترك اللّفظي)، والخروج عن الضروب المنتجة، وعدم التّمايز في الحدود، وعدم التّمايز في المقدّمات، إدراج النّتيجة في المقدّمة (المصادرة على المطلوب)، تقدّم العلم بالنّتيجة على العلم بالمقدّمات، وأن لا

[1] للاطّلاع أكثر ينظر الفارابي، المنطق عند الفارابي، ج2، د.ت، ص133، 136، 137.
[2] ابن سينا، الشفاء، ط2 (منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفي، 2012)، ص5.
[3] ابن سينا، ص3.

تكون المقدّمة أعرف من النّتيجة.[1] وهذا التقسيم اعتمده عبد الرحمان حنبكة الميداني في كتابه "ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة."

وأشار لها في موضع آخر في المقدّمات التي ليست يقينية ولا تصلح للبراهين، من بين هذه المقدّمات هناك ما يصلح فقط للتلبيس والمغالطة وهي المشبّهات، وأحد أقسامها الأغاليط الواقعة إمّا من لفظ المغلط، أو من معنى اللّفظ.[2]

– **أبو الوليد ابن رشد(ت595هـ)**: أبدى اهتماما بموضوع المغالطات، حيث شرح آثار أرسطو، يعرّف ابن رشد المغالطة على أنّها: "القياس الذي يلزم عنه نتيجة هي نقيض النّتيجة التي وضعها المخاطَب."[3]

لم يضع ابن رشد عناوين في تلخيصه، ولم يقسّمه إلى فصول أو مقالات، إلّا أنّ النسّاخ وضعوا عنوانين واضحين هما: القول في المغلطات من المعاني، والقول في النّقض.

كما تحدّث ابن رشد عن السّفسطائية ضمن أجناس المخاطبات الصناعية الأربعة معرّفا كونها: "مخاطبة مشاغبية تُوهم أنّها مخاطبة جدلية من مقدّمات محمودة من غير أن تكون كذلك في الحقيقة."[4]

دقّق ابن رشد مسألة المصطلح فاعتبر المغالطة "سفسطائية" إن تشبّه بالفيلسوف، و"مشاغبية" إن تشبّه بالجدليّ، كما أقرّ بأنّ هناك نوعين من القياسات، منها القياس الحقيقي، ومنه ما يغلط فيظنّ

[1] أبو حامد الغزالي، معيار العلم في المنطق، ط 2 (بيروت: دار الكتب العلمية، 2013)، ص199-207.
[2] أبو حامد الغزالي، ص192.
[3] ابن رشد، تلخيص السفسطة، ص5.
[4] ابن رشد، ص5،12.

به أنّه قياس دون أن يكون كذلك في الحقيقة، ثمّ عزّز كلامه هذا بأمثلة بالعابد وبالذهب والفضة، فالنّاس منهم من هو عابد في الحقيقة، ومنهم من يظن به أنه عابد، والأمر سيّان بالنسبة للذهب والفضة فمنها ما هو حقيقي ومنها ما يوهم أنّه حقيقي.[1]

نستنتج ممّا سبق أنّ إسهامات الفلاسفة العرب القدامى لم تخرج عن الإطار المنطقي الذي سنّه المعلّم الأوّل، لأنّ كتبهم كانت شروحات لآثار أرسطو كما هو الحال عند الفارابي وابن رشد، كما أنّ تقسيماتهم للمغالطة وإن لم تكن مفصّلة لا تكاد تختلف عن تقسيم أرسطو الذي قسّمها إلى أغاليط لفظية وأغاليط معنوية.

ب – في الدّرس البلاغيّ:

اهتم البلاغيون العرب القدامى ببعض مسائل الحجاج منذ الجاحظ إلى حازم القرطاجني، ومن بين هذه المسائل(المغالطة)، فقد نظّروا لهذا المبحث، فوجدناه في طيّات حديثهم عن القول، فأوردوا تعريفات لها تصب في مفهوم المغالطة الحجاجية، فالقرطاجني ربطه بالتمويهات والاستدراجات في القول، وابن الأثير أشار إليه في باب الاستدراج إلى مخادعات الأقوال، أمّا الجاحظ فأشار إليه في طيّ حديثه عن البلاغة.

– القرطاجني (ت684 هـ): ميّز القرطاجني في نظريته العامّة في (التّخييل والإقناع) بين جهتين للكلام (ما يحتمل الصّدق والكذب) ويميّز بين طريقتين للإقناع هما (التمويهات والاستدراجات).

[1] ابن رشد، تلخيص السفسطة، ص2، 3.

وأمّا تمييزه بين ما يحتمل الصّدق والكذب، فيقول "كلّ كلام يحتمل الصّدق والكذب إمّا أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإمّا أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال".[1] فإذا كان قصد المتكلّم الإخبار عن الشّيء ولم يكن كلامه في حاجة إلى دليل فهو صادق، وأمّا إذا احتاج للاستدلال من أجل تقوية الظنّ بالقضية المطروحة فهي كاذبة.

وأمّا تمييزه بين التمويهات والاستدراجات، فيقول "إنّما يصير القول الكاذب مقنعا، وموهما أنّه حق بتمويهات واستدراجات ترجع إلى القول أو المقول له، وتلك التّمويهات والاستدراجات قد توجد في كثير من النّاس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما أنّه في غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدرّب في احتذائها."[2]

ربط القرطاجني المغالطة بالتمويهات والاستدراجات، فهما من الوسائل الحجاجية التي تساعد المتكلّم على التّمويه بالمتلقّي واستدراجه بشتّى الطرق لإيهامه والتّأثير فيه واقناعه، بالإضافة إلى أنّ هاتين الوسيلتين تُكتسبان بالخبرة فتصبحان طبعا وحنكة لدى المتكلّم أو الخطيب في تقوية الظنون.

ويبيّن حازم القرطاجني وسائل التّمويهات والاستدراجات" التّمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلّم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالة المخاطب واستلطافه بتزكيته وتقريظه، وإحراجه على خصمه، حتّى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول."[3]

[1] أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، المكتبة المفتوحة، د.ت، ص62.

[2] أبو الحسن حازم القرطاجني، ص63.

[3] أبو الحسن حازم القرطاجني، ص64.

إذا لقد ميّز القرطاجني بين طريقتين لإقناع الخصم، وهما التّمويهات والاستدراجات، ووسيلة التمويه هي القول، وأمّا الاستدراج فيكون باستعداد المتكلّم من خلال هيئته وإيحاءاته واستمالة المتلقي لصالحه حتّى يستدرجه بالكلام ويجعله يُصدّقه ويقبل دعواه.

– **الجاحظ(ت255هـ)**: جاء على لسان الجاحظ في حديثه عن البلاغة "فإن أردت اللّسان الذي يروق الألسنة، ويفوق كلّ خطيب، فإظهار ما غَمُض من الحقّ، وتصوير الباطل في صورة الحقّ."[1]

إنّ هذا التعريف للبلاغة يصب في مفهوم المغالطة، لأنّ المغالط هو الذي يغطّي على الحقيقة، وله القدرة على تصوير الباطل في صورة الحقّ، أو العكس.

– **ابن الأثير(ت637هـ)**: يشير في كتابه "المثل السائر" في باب "الاستدراج" إلى مخادعات الأقوال، وهي ما يمثّل المغالطة، حيث يقول: "...وهو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال... الغرض ذكر ما تضمّنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم"[2]

فابن الأثير لم يذكر مصطلح المغالطة، وإنّما مخادعات الأقوال ورأى أنّها تعمل عمل الخداع بالفعل، وهذا ما يثبت فاعليتها وقوّتها، كما حصر الغرض منها في الإذعان والتسليم.

– **الجرجاني (816هـ –1413هـ)**: في معجمه التعريفات فنجده قد أورد تعريفا لكلمة (المغالطة) ومرادفها (السفسطة) بنفس المفهوم تقريبا، حيث جاء في باب السين (السفسطة) هي" قياس مركّب من الوهميات، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته."[3]

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين مجلد، ط7، 1 (القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي، 1998)، ص113.

[2] ضياء الدّين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ط2 ، 2 (دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ت)، ص250.

[3] علي بن محمد السيّد الشريف الجرجاني، *التعريفات* – (القاهرة: دار الفضيلة، د.ت)، ص102.

كما جاء في باب الميم: "المغالطة: قياس فاسد إمّا من جهة الصورة، أومن جهة المادة...وقيل المغالطة مركّبة من مقدّمات شبيهة بالحقّ ولا يكون حقّا، ويسمّى سَفْسَطة أو شبيهة بالمقدّمات المشهورة وتُسمَّى مشاغبة. ...وهي أيضا قول مؤلّف من قضايا شبيهة بالقطعية أو بالظنية أو بالمشهورة".[1]

إنّ المفاهيم التي وضعها العلماء العرب القدامى للمغالطة، هي عبارة عن إشارات متفرّقة في كتبهم، حالها حال باقي العلوم التي نجدها في تراثهم، فهم ينظّرون لها بإعطائها مفاهيم، لكنّهم لا يضعون لها مسمّيات. كما ورد مفهوم المغالطة عندهم بألفاظ مختلفة (التمويهات والاستدراجات، مخادعات الأقوال...لكنّها تصبّ كلّها في مفهوم المغالطة الحجاجية.

4-2 – المغالطة الحجاجية في الدّراسات العربية الحديثة والمعاصرة:

تمثّلت جهود العرب في موضوع الحجاج في أعمال ثلّة من الباحثين في المغرب العربي، نتيجة انفتاحهم على الغرب واطّلاعهم على جديدهم في البحث الحجاجي، هذا ما فتح النوافذ أمام المفكّرين العرب الّذين استفادوا ممّا أنتجه الغرب في هذا المجال (الحجاج)، بالإضافة إلى ما يزخر به تراثنا من شروحات لكتاب أرسطو فقد اطّلعوا على أمهات الكتب في تراثنا العربي ونظّروا لهذا المبحث في الحجاج، مثل كتاب ابن سينا وابن رشد، والفارابي، والغزالي...الّذين تناولوا هذا المبحث بالشّرح فقد استعانوا بالقديم، كما أنّهم لم يغفلوا عن الجديد خاصّة مع ظهور المنطق غير الصوري.

من أهمّ هذه الأعمال– على سبيل المثال لا الحصر– لمؤلفين عرب نذكر حافظ اسماعيل علوي، وحسان الباهي، ورشيد الراضي، وحمو النّقاري، وجميل حمداوي، ومحمد العمري وغيرهم ممن خاضوا في موضوع الحجاج وخصّصوا جزءا من كتبهم للحديث عن نوع من أنواعه وهو المغالطة، ومنهم من وضع

[1] علي بن محمد السيّد الشريف الجرجاني، التعريفات – (القاهرة: دار الفضيلة، د.ت)، ص187.

مصنّفا خاص بهذا المبحث وحملت المغالطة عناوين لكتبهم فعرّفوا هذا المبحث وفصّلوا في أنواعه كرشيد الراضي في كتابه الحجاج والمغالطة ومصطفى عادل في كتابه المغاطات المنطقية....

ومن أهمّ من كَتَبَ في المغالطة نذكر:

– **حافظ اسماعيل علوي**: باحث مغربي، وأحد أعلام اللّسانيات، له العديد من المؤلفات في الحجاج وأنواعه، وأهمّها "كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته"، والّذي هو كتاب جماعي جاء في خمسة مجلّدات، تناول فيه الحجاج (تعريفه ومدارسه وأعلامه وأنواعه ومن بينها الحجاج المغالط).

كما له كتاب جماعي آخر أشرف على تنسيقه وتقديمه بعنوان (التداوليات علم استعمال اللّغة).

– **حسان الباهي**: الكاتب المغربي من أكثر الكتّاب العرب الذين خاضوا في مجال المغالطات وأنواعها ومن أهمّ مؤلفاته في هذا المبحث كتاب "الحوار ومنهجية التفكير النقديّ" الذي عرّف فيه الحجاج المغالط ومقاصد الحجاج المغالط أساليبه، وأنواع المغالطات، ...

كما شارك في كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة) بموضوع "المغالطات في الخطاب اليومي: مقاربة تداولية.

– **عادل مصطفى**: من الذين فصّلوا في الحديث عن أنواع المغالطة مع أمثلة شارحة، حيث قسّم كتابه (المغالطات المنطقية طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي) إلى ثلاثين فصل وجعل كل فصل لنوع من أنواع المغالطة.

– **رشيد الراضي**: صاحب كتاب (الحجاج والمغالطة) ولكنّه آثر استعمال كلمة سفسطة في متن الكتاب الّذي خصّصه للحديث عن الأصل اللّغوي للسّفسطة وجذورها التاريخية وأمّهات السّفسطات

في المحاورات وفصّل الحديث في أنواع السّفسطات مع تدعيمها بالشّواهد الشّارحة، كما دعانا إلى ضرورة التحرّز منها وتنبيه غيرنا إن انحرف قصده لأنّها –على قوله– تُزري بالفاعلية الحجاجية وتعطّل طاقتها في إنتاج المعقولية. كما أنّه ترجم المقال الشهير "السّفسطات من منظور تداولي جدلي" ونشر دراسة عنه بعنوان" السّفسطات في المنطقيات المعاصرة: التوجّه التداولي الجدلي أنموذجا".

– **جميل حمداوي**: كان من السّباقين في الحديث عن الحجاج وأنواعه بما فيها الحجاج المغالطي حيث وجدناه في كتابه الحجاج أنواعه ومقوّماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة يعرّف الحجاج وأنواعه والتي من بينها حجاج التغليط وجذوره التاريخية وآلياته.

– **محمد العمري**: من أبرز البلاغيين العرب له كتاب بعنوان (دائرة الحوار ومزالق العنف)، كشف أساليب الإعنات والمغالطة" وكتاب (في بلاغة الخطاب الإقناعي).

– **عمرو صالح يس**: صاحب كتاب التفكير النقدي (المحاجة وأنواعها) هذا الكتاب ذو الطبيعة الفلسفية الذي اعتمد فيه منهج الحوار، وتطرّق فيه إلى تعريف الحجاج، والتّفكير النّقدي. ف (يس) يرى أنّ المنطق الصوري رياضي لدرجة كبيرة جدّا، ولا يمنحنا طرقا تمكّننا من تعاطى التعامل مع الأفكار.

5- الحجاج المغالط عند الغرب:

كان مبحث المغالطة محل اهتمام الفلاسفة والباحثين الغربيين منذ سقراط إلى يومنا هذا، لما له من أهمية في حياتنا اليومية؛ لأنّنا بإزاء مبحث قد نكون نحن ضحايا له ونقع في فخِّه إن لم نحترز منه، وهذا الاحتراز لا يكون إلا إذا كُنّا على اطّلاع شامل بأنواع المغالطات حتّى نستطيع تجنّبها، والردّ على صاحبها ردّا يجعله على معرفة أنّ خصمه على علم بنواياه السيّئة حتّى لا يُواصل خداعه. يقول (مالبرانش) في هذا الصّدد: "لا يكفي أن يقال إنّ العقل قاصر، بل لابدّ من إشعاره بما هو عليه من قصور؛ ولا يكفي أن يُقال إنّه عُرضة للخطأ، بل يجب أن نكشف له عن حقيقة هذا الخطأ"،[1] فلابدّ أن نكشف للخصم أين يقع الغلط، حتى نُميّز الصّواب من الخطأ، ونُظهر إن كان الحق معه أو عليه.

5-1 الحجاج المغالط في المنجز اليوناني:

حمل كلّ من سقراط وأفلاطون وأرسطو كبار فلاسفة اليونان لواء الدّفاع عن الفلسفة اليونانية، وذلك من خلال جهودهم لتعيين مختلف السّفسطات، وسعوا لكشف طبيعتها وتحديد طرق التعامل معها لحماية المخاطبين من فخّ الخطاب السّفسطائي وأفكاره المضلّلة، ووقفوا ضدّ السّفسطائيين ونقدوهم، وفيما يلي عرض موجز لفلاسفة اليونان الثالوث المعروف، ونظرة كلّ منهم للسّفسطائيين، وطريقة كلّ منهم في مواجهتهم.

أ – سقراط: الفيلسوف اليوناني الشّهير، ولد بأثينا عام 470 ق.م. من الأوائل الّذين واجهوا الحجاج السّفسطائي بالجدل المفاهيمي، واستخدموا الحوار التهكّمي، بالاعتماد على البيان والنّقد التّوليدي،[2]

[1] عبد الرحمان بدوي، المنطق الصوري والرياضي، ص241.

[2] جميل حمداوي، أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة، ص44.

وهما عبارة عن مرحلتين: في المرحلة الأولى يتظاهر سقراط بالجهل ويُبدي تسليمه لأقوال مُحدّثيه، ثم يطرح الأسئلة ويعرض الشّكوك شأن من يطلب العلم والاستفادة ممّا يدفعهم للانتقال من أقوالهم إلى أقوال أخرى لازمة منها، لكنّهم لا يسلّمونها ممّا يوقعهم في التناقض ويحملهم على الاعتراف بالجهل. يُطلق على الأسلوب اسم **التهكّم** السقراطي أي السّؤال مع تصنّع الجهل، وكان الهدف منه تحرير العقول من العلم السّفسطائي وإعدادها لقبول الحقّ، في المرحلة الثّانية يستخدم سقراط الأسئلة والاعتراضات مرتّبة ترتيبا منطقيا ليُساعد مُحدّثيه على الوصول إلى الحقيقة التي اعترفوا بجهلهم لها، ويتوصلون إليها دون أن يُدركوا أنّهم استكشفوها بأنفسهم. هذا المنهج يُعرف بـ **(التّوليد)** أي استخراج الحق من النّفس.[1]

تغيّر مجرى الفلسفة بفضل الفيلسوف (سقراط)، فقد كانت الفلسفة قبله تُعنى بأمور الطّبيعة (الميتافيزيقا) واستكشاف حقيقة انبثاق الكون، لتتحوّل وِجهتها إلى أمور الأرض وقضايا الإنسان، وبالتّحديد جانبي الأخلاق والسّياسة، فبالرّغم من معارضته لهم في أفكارهم إلا أنّه نحى نحوهم في تغيير وِجهة الفلسفة من دراسة طبيعة الكون إلى الاهتمام بالإنسان.

قاد سقراط حملة فلسفية ضدّ السّفسطائيين لأنّهم اتّبعوا مسالك الشكّ والظنّ من أجل التّغليط، فهو يرى بأنّ الحقيقة لا يمكن الوصول إليها بالظنّ والشّك والفكر السّفسطائي المغالطي، بدلا من ذلك يؤمن بأنّ الوصول إلى الحقيقة يتم من خلال استخدام العقل والحوار الجدليّ التوليديّ، واستخدام العقل والمنطق،[2] فقد دافع عن الفلسفة لأنّها المسلك الصحيح للوصول إلى الحقيقة.

[1] محمد عقيل بن علي المهدلي، تمهيد لدراسة المنطق الصوري (القديم) – القسم الأول1997، ص18.

[2] جميل حمداوي، أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة، ص36، 37.

ب– أفلاطون (ت 348ق.م):

بعد سقراط تسلّم الراية للدِّفاع عن الفلسفة تلميذه أفلاطون ليتمّ رسالة معلّمه، قسّم أفلاطون العالم الأنطولوجي إلى قسمين: العالم المثالي والعالم المادي، والعالم الحقيقي بالنّسبة إليه هو عالم المثُل، ففلسفته فلسفة مثالية ترى أنّ العالم الأصلي هو عالم المثل يمكن إدراكه عن طريق التأمّل العقلي والتفلسف، بينما العالم المادّي فيراه متغيّرا ونسبي ومحسوس واستشهد هنا بأسطورة الكهف ليبيّن بأنّ العالم الذي يعيش فيه الإنسان غير حقيقي.[1]

فحاول من خلال نظريته في المثُل الوقوف ضد التيار السّفسطائي لكونه يقوم على مفاهيم ضارّة بالقيم والأخلاق واليقين والإيمان، تلك القضايا الأربع التي احتلت مكانة في البلاغة والفلسفة الأفلوطنيتين.[2]

لذلك نرى أفلاطون في محاوراته يتساءل عن معنى السّفسطائي، وذلك حينما يسأل الغريب (ثياتيتوس) عن معنى هذا الاسم، فنعته بأنّه الصيّاد الجشع الّذي يصطاد فريسته، لكنّ هذا الصّياد يصطاد البشر، واختار أن تكون فريسته الشباب الأثيني، ونخصّ بالذّكر أغنياءهم. يقول أفلاطون "السّفستي هو صيّاد شبّان أغنياء، ذو طمع وجشع."[3]

[1] جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة (المغرب: مكتبة الأدب العربي)، 2023، ص15.

[2] محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1 (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، د.ت)، ص26.

[3] أفلاطون، السفسطائي (دمشق: شبكة كتب الشيعة، 2014)، ص15.

وصف أفلاطون الاتّجاهات السّفسطائية بأنّها عديمة الفائدة والكفاءة، وأنّ أصحابها انتحلوا الفلسفة، وأفسدوا أكثر ممّا أصلحوا، وتراثهم عبارة عن أكاذيب ومغالطات وترّهات، لأنّه يرى أنّ الحقيقة هي الثبات لا التّغيير، وقد أثار أفلاطون تلك الإشكالات عبر محاوراته مع كلّ من بروتوغوراس وغورغياس في محاوراته الوهمية.[1]

اختار أفلاطون أن يكون الحوار أسلوبه في عرض آرائه وأفكاره مقتديا في ذلك بأستاذه سقراط، وقد ألصق بهم صفة قدحية حيث صار اسمهم مرادفا للنّقاش الفارغ وغير المجدي، وقد أفرد أفلاطون لمواجهة تلك الممارسات الحجاجية محاورتين هما (جورجياس) و(فيدر)، نقد فيهما البلاغة السّفسطائية بصورة عامّة، وكشف القناع عن أغاليطهم ومزاعمهم وتلاعباتهم اللّغويّة. وفي ضوء مقابلته بين العلم والظنّ في محاورة جورجياس نجده يؤكّد أنّ الإقناع نوعان: إقناع يعتمد العلم وإقناع يعتمد الظنّ، وهذا النّوع الثّاني هو موضوع الخطابة السّفسطائية في رأيه، فهو يرى أنّ ما قدّمه السّفسطائيون ليس سوى نتائج يغلب عليها الظّن وهي بعيدة عن الحقيقة، وأنّ الإقناع في خطاباتهم غير مفيد ولا يكتسب منه الإنسان معرفة بل ينشئ لديه اعتقاد، وسحب أفلاطون هذا التصوّر على الخطابة حيث اعتبرها وسيلة تمويهية تحقق اللّذة لا الفضيلة، وفوق هذا كلّه جعلها صناعة من صناعات التملّق.[2]

ج– أرسطو:

[1] عبد الرحمن غالب عواجي، السفسطائية وأثرها في نشأة الشك، ص61.

[2] محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص27.

بعد موت أفلاطون استأنف تلميذه أرسطو مهمّة أستاذه، إلّا أنّ أرسطو خالف أستاذه أفلاطون في فلسفته، فهو يذهب إلى أنّ العالم الحقيقي هو العالم الواقعي المادّي، وأمّا العالم المثالي، فهو غير موجود، وأنّ الحقيقة لا توجد سوى في العالم الّذي نعيش فيه.[1]

خصّص أرسطو لهذا الغرض كتابًا مستقلا من مدوّنته المنطقية المشهورة باسم "الأورغانون" وهو كتاب "السّفسطة أو التبكيتات السّفسطائية" Refutations Sophistique، تحدّث فيه عن السّفسطائيين، وسخر منهم حيث قال بأنّهم يدّعون الحكمة وهم ليسوا أهلا لها، فهم يوهمون النّاس بأنّهم حكماء، ولكنّهم في الحقيقة ليسوا كذلك، وحتّى يستحق إنسان لقب (الحكيم) لابدّ أن يَصدُقَ إذا تحدّث، وأن يميّز الكذب من الصواب إذا سمع حديث غيره.[2]

وقد حذّرنا أرسطو من خداعهم، ودعانا إلى التحرّز من تضليل مغالطاتهم وتجنّبها، وذلك بعد أن شرح منهجهم وأبان فيه عن مغالطاتهم على مستوى الألفاظ والمعاني.

وفي انتقاد أرسطو للسّفسطائيين نجده يركّز على إنتاج الحجاج عندهم، وما يتعلّق به من آليات، وخاصة الشّراك القولية التي كانوا ينصبونها للإيقاع بخصومهم، فقد ذكر أنّ لحجاجهم خمسة أهداف: التبكيت، والإيقاع في الخطأ، والدّفع إلى مخالفة المشهور، واستعمال صيغ لغويّة غير مألوفة، وأخيرا دفع المجيب إلى الكلام الفارغ، وذلك بجعله يكرّر كلامه عديد المرات.[3]

[1] جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص24.

[2] ابن رشد، تلخيص السفسطة، ص8، 9.

[3] محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص34.

تسلّح أرسطو بالمنطق المعياري بغية إفحام الخصوم من السّفسطائيين الذين كانوا يعتمدون على المنهج المغالطيّ الّذي ينطلق من مقدّمات خاطئة للوصول إلى نتائج خاطئة.[1]

إنّ أصحاب النّزعة العقلية الثالوث المعروف أرسطو وسقراط وأفلاطون كانوا سببا في زعزعة أركان الحركة السّفسطائية وتراجع شهرتها ومكانتها، فذهبوا إلى أنّ الحقيقة ثابتة وغير متغيّرة، بينما نجد السّفسطائيين يقولون بنسبيّة الحقيقة، فما يراه الفرد حقيقة فهو كذلك بالنّسبة له، كما أعطوا انطباعا بأنّ السّفسطائيين كانوا أعداء للعقل والحقيقة؛ لأنّهم جعلوا الإنسان مقياسا لكلّ شيء، وهكذا أصبح مصطلح السفسطة مُرتبطًا بكلّ أشكال التفكير المعوجّ والمخادع، وأصبح يُطلق على كلّ من يُحاول تمرير أفكاره الزائفة وحججه المغلوطة على المخاطبين.[2]

5 –2 – الحجاج المغالط في الدّرس الغربي الحديث:

بدأت دراسة المغالطات مع كتابات أفلاطون وأرسطو اللّذين نقدا الحجاج السفسطائي، أفلاطون من خلال محاوراته، وأرسطو من خلال كتابه "السّفسطة" أو "التبكيتات السفسطائية" من مدوّنته المنطقية المعروفة باسم "الأورغانون" الّذي كان أوّل وأهمّ عمل في هذا المجال، وله الفضل في التعريف بأصحاب هذه الفئة وشرح منهجهم وتبيين أنواع السّفسطات، فهذا الكتاب كان بمثابة المنصّة التي انطلقت منها جلّ الدّراسات في هذا المجال، واستفاد منه الدّارسون الّذين جاءوا بعده وحاولوا تطوير وتنظيم هذا الموروث الذي تركه أرسطو.[3]

---

[1] جميل حمداوي، أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة، ط1) المغرب: مطبعةRive بنطوان، 2022، ص44.

[2] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص14.

[3] رشيد الراضي، ص15.

إذا قد عرفت الأجناس الخطابية والتي من بينها السّفسطة تراجعا ملحوظا بعد أرسطو، وتحديدا خلال الحقبة الرومانية، ويُرجع المؤرّخين- وبالتّحديد المؤرّخ الروماني (تاسيت) أواخر القرن الأوّل الميلادي- السبب في هذا التراجع إلى العامل السياسي المتمثّل في الانتكاس الّذي أصاب الديمقراطية على عهد أغسطين، حيث انصرف اهتمام النّاس عن الخطابة، بعد توجّه اهتمام الرومان-ورثة التراث اليوناني- نحو أسباب القوّة العسكريّة التي تمكّنهم من توسيع حدود إمبراطوريتهم.[1]

واستمر الحال على ما هو عليه مدّة خمسة عشر قرنا، حيث بقيت الخطابة حبيسة بعض الأبحاث النّمطية الكلاسيكية، التي هي شروحات للمتن الأرسطي، وظلّ الحال على ما هو عليه حتّى فجر عصر النّهضة، حيث رجع الدّارسون للبحث في التراث القديم، وحاولوا الإجابة عن الأسئلة التي صاغها روّاد هذا التراث، وكان أهمّ سؤال ستدور حوله أعمال الروّاد في هذا العصر يدور حول **نظرية المعرفة** من حيث منبعها ومنهجها، وفي سياق الإجابة عن هذا السؤال تبلور في الفكر الحديث توجّهان أساسيان: **عقلاني** بدأت ملامحه الأولى تتجلّى مع الفيلسوف الفرنسي ديكارت **وتجريبي** تبلور في العالم الأنجلوساكسوني مع فلاسفة كبار كفرنسيس بيكون وجون لوك وديفيد هيوم.[2]

إنّ نزعة الشّك التي ظهرت بوادرها مع السّفسطائيين، ليست وقفًا على فلاسفة اليونان، فقد شهد القرن السادس عشرة موجة عارمة من الشكّ وكان من بين المشكّكين آنذاك **رينيه ديكارت** (**rené dexcart**) أب الفلسفة الحديثة، الّذي سعى لبناء أساس صلب للمعرفة، حيث نجده يقصي من دائرة الفلسفة والعلم كلّ المعارف الدائرة حول القضايا الاحتمالية والتقريبية والاشتباهية.

[1] رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، ص159.
[2] رشيد الراضي، ص139.

فكل ما هو اشتباهي كاذب، أمّا الخطابة والحجاج فينضمّان إلى حقل المعرفة الاحتمالية والتقريبية، وانتهى ديكارت إلى أنّ المعرفة التي تتسم بالمعقولية هي التي نحصّلها عبر البرهان.[1]

أمّا أنصار المذهب التجريبي، فيحصرون المعرفة الصحيحة في تلك المستمدة من التجربة الحسّية (الأحاسيس والادراكات الحسية)، ومن أهمّ الفلاسفة التجريبيين:

أ- فرنسيس بيكون F.Bacon (1561-1626): فيلسوف تجريبي، كان يؤمن بأنّ المعرفة البشرية تبدأ بالتجربة الحسيّة ويمكن توسيعها من خلال الملاحظات والتّجارب الدقيقة. وبناء على هذا المفهوم، يجب أن تكون الاستدلالات مبنية على معرفة متأنّية وبعناية، فلا ينبغي أن نستعجل في تعميم الحكم انطلاقا من وقائع قليلة.[2]

السّفسطة بالنّسبة لـ (بيكون) هي ضرب من أخطاء الفكر والآراء الباطلة التي ترجع أسبابها إلى سوء النّظر في الأشياء، يقول "إنّ العقل أداة تجريد وتصنيف ومساواة ومماثلة، إذا تُرك يجري على سليقته انقاد لأوهام طبيعية فيه، ومضى في جدل عقيم يقوم في تمييزات لا طائل تحتها، ويتعيّن حصر هذه الأوهام الطبيعية للاحتراز منها، ويسمّيها بيكون "أصنام العقل."[3]

ومن هنا عمد (بيكون) إلى تحويل البحث في السّفسطة نحو محاولة الكشف عن الأساس النّفسي لهذه الانحرافات الفكرية؛ أي تلك الأسباب العميقة في الذات الإنسانية التي تؤدّي إلى الخطأ في الأحكام عند البشر تظهر مساهمته في كشف عوائق المسار الحجاجي، حيث وضع مفهوم الأوهام (أو الأصنام)

[1] رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، ص140.
[2] وليم كلى رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ط1 (المجلس الأعلى للثقافة، 2000)، ص9.62
[3] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص56.

المغلطة، وهي تلك العوامل التي تشوّش على عملية الإدراك وتحرّفها عن مسارها السليم.[1] ويقسّم (بيكون) الأوهام المغلطة التي تلازم عقول النّاس وتعوق سعيهم إلى الحقيقة والبحث عنها إلى أربعة أصناف:

أوهام القبيلة (itribus): هي طبيعية في الإنسان يشترك فيها الجنس البشري كلّه، لأنّ الإنسان بطبيعته يميل إلى تعميم بعض الحالات مع تجاهل الحالات المعارضة لها، ومن بين هذه الأوهام أن نتبنّى رأيا وننتبه إلى الدليل المؤيّد له ونهمل الدليل المعارض له، فالبشر لديهم استعداد لأن يعتقدوا أشياء فيما يرغبونه؛ لذلك يستعجلون ولا يتأنّون البحث، ويندمون على الوقائع الحقيقيّة التي توجد وراء معتقداتهم، ويأسفون عندما تناقض التجربة كبرياءهم وغرورهم.

أوهام الكهف (sbeus): هي أوهام فردية، وهي خاصة بكلّ إنسان فرد، سببها أنّ كلّ واحد منّا ينظر إلى العالم من كهفه الخاص (الكهف هنا بالمعنى المجازي الأفلاطوني) الذي يعيش فيه، وينظر له من زاويته، فهو له نظرة خاصّة للأمور وطريقة خاصّة في التّفكير مرجعها الوراثة، التربية، والعادات، .. فيتصوّر المعتقدات الفاسدة الخاصّة بها، وكأنّها حقائق مطلقة.

أوهام السوق (fori): هي أكثر الأوهام إثارة للمشكلات، حيث يتقابل النّاس معا، ويتفاهمون عن طريق اللّغة.[2] فهذه الأوهام ناشئة من الألفاظ، فإنّ الألفاظ تتكوّن طبقا للحاجات العملية والتصوّرات العاميّة، فتسيطر على تصوّرنا للأشياء، فتوضع ألفاظ لأشياء غير موجودة، أو لأشياء غامضة ومتناقضة، وهذا أصل كثير من المناقشات، تدور كلّها على مجرّد ألفاظ.

[1] رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات العاصرة، ص141.

[2] وليم كلى رايت، ص62، 63، 64.

أوهام المسرح (theatri): هي الأخطاء المعرفية من معتقدات فلسفية راسخة، ومبادئ مغلوطة نقيم عليها البراهين والحقائق العلمية، وتصير هذه المعتقدات راسخة بسبب سلطتها ونفوذها وطابعها السلفي المتوارث، وقد اصطلح عليها (بيكون) اسم الأوهام المسرحية، لأنّ الفلسفات في نظره هي في عمومها أعمال مسرحية تستعرض فيها العوالم التي أنشأتها. [1]

هذه محاولة بيكون في نقد العقل إنّ (بيكون) من خلال هذه الأصناف الأربعة من "الأوهام" أوضح لنا أربعة مصادر للخطأ حتّى نتجنّبها في تفكيرنا، فهي ليست أغاليط استدلالية كالتي ذكرها أرسطو، ولكنّها عيوب في تركيب العقل تجعلنا نخطئ فهم الحقيقة.[2]

إنّ أهمّ ما أضافه (بيكون) في مجال دراسة السّفسطة هو توظيفه للعامل السيكولوجي (أوهام الكهف وأوهام القبيلة) والسوسيولوجي (أوهام السوق) في تحليل السّفسطات.

ب- جون لوك John Locke (1636-1704): يعتبر أوّل من تناول الحجّة المغالطة في كتابه: "محاولة في الفهم الإنساني" ويضع تعريفا محدّدا لها هو أنّها: "التشكيك في مُعارضٍ ما بدرجة تجعله يرفض تحمّل النّتيجة التي تقتضيها المقدّمات التي يزعم إيمانه بها."[3]

اعتنق (جون لوك) الاتّجاه التّجريبي، حيث يرى أنّ جميع معارفنا يمكن ردّها إلى التّجربة، ممّا جعله يعتقد بأنّه لا توجد معرفة يقينية،[4] وأنّ إدراكنا للأمور يكون بالملاحظة والاستقراء. (لوك) لم يناول

[1] وليم كلى رايت، ص64.

[2] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص57.

[3] فيليب بروتون، جيل جوتييه، "تاريخ نظريات الحجاج"، ص79.

[4] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم. (دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر)، ص326.

هذا النّوع من الحجاج صراحة، إنّما أورد جملة من أشكال السّفسطات واعتبرها عقبات حجاجية تحرّف التّفكير عن مساره الصّحيح، والتي أصبحت تُعرف بعده بسفسطات ad وهي:

-المحاجة بالسلطة (Argumentum ad verecundiam): إنّ لفظ verecundiam يفيد في اللّاتينية معاني الاحترام والهيبة التي ترتبط بشخص مميّز، وهذه العقبة تتعلّق بالممارسات الحجاجية بين الأشخاص أصحاب السلطة في المجتمع أو أصحاب المهن أو الخبراء...

-المحاجة بالتّجهيل (Argumentum ad Ignorantiam): ويتعلّق الأمر في هذه الحالة بحجاج يستغل جهل المخاطب لإحراجه إمّا بمطالبته بالإتيان بحجج أفضل من حججنا، أو قبوله الرأي الذي نعرضه عليه.

- المحاجة بمهاجمة الشّخص (Argumentum ad hominem): يتم في هذا المسلك الحجاجي القدح في الشّخص المخالف في الرأي، ممّا يتسبّب في تقليل مصداقيته.

-(Argumentum ad juridicium) وهذا النّوع من الحجاج هو الوحيد الذي يحظى بقبول (جون لوك) لأنّه يتأسّس على الأحكام التي نَصُوغُهَا حول طبائع الأشياء (الاتصال بالواقع التجريبي) إنّه الشّكل الوحيد من الحجاج القادر على إنتاج معرفة صحيحة في نظره. [1]

ج- مناطقة بورويال: تطرّقوا إلى السّفسطة في القرن السابع عشر الميلادي أثناء حديثهم عن (المنطق أو التفكير)،[2] فقد تناول عضوان من هذه المدرسة، وهما أرنولد ونيكول في كتابهما (المنطق أو فن التفكير) عدّة مباحث من بينها الاستدلال، حيث جعلا القسم الثالث من هذا الكتاب بعنوان (في

[1] رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات العاصرة، ص142.

[2] رشيد الراضي، ص143.

الاستدلال) وتناولا فيه السّفسطة في الفصل التاسع عشر بعنوان (في الطرق المختلفة للاستدلال الفاسد والتي تسمّى سفسطة) والفصل العشرون بعنوان (في الاستدلالات الرديئة التي تقع في الحياة المدنية وفي الأقاويل العادية).

وقد عرض الباحثان بعض الصور الاستدلالية الفاسدة أو السّفسطات، وأكثرها سبق لأرسطو ومن جاء بعده التطرّق لها في كتب المنطق، وهذه الصور السّفسطائية التي تناولها مناطقة بور رويال هي:

- جهل المتكلّم بما يجب البرهنة عليه، وبرهنته على غير المطلوب ليختلق موضعا آخر يُحسن الخوض فيه.

- أن يفترض نتيجة قضية لم يُبت بعد فيها، كما لو كانت مسألة معلوم صدقها سلفا، وهو ما يصطلح عليه منذ أرسطو بسفسطة المصادرة على المطلوب.

- جعل ما ليس بعلة على أنّه علّة.

-اعتبار أمر عارض سببا للنتيجة.

- التقدير السيئ للمسألة المدروسة، عبر إغفال حال من أحوالها أو النّظر إليها من غير الوجه الصحيح.

- الحكم على أمر انطلاقا ممّا هو عرضي فيه.

- الانتقال من المعنى المنقسم إلى المركّب والعكس.

- اعتبار ما هو صادق بوجه ما صادق بإطلاق.

- استخلاص نتيجة عامة عبر استقراء ناقص. [1]

إنّ الدّرس الحديث للمغالطة لا يبتعد عمّا جاء به أرسطو ومن بعده، فهي شروحات لآثار أرسطو، ولا تكاد تخرج عمّا جاء به المنطق الصوري، لكن لها فضل كبير في الحفاظ على هذا المبحث وظهوره من جديد، فلولا هذه الدّراسات لبقيت المغالطة حبيسة المنطق، وبفضل هذه الدّراسات الحديثة أصبحت المغالطة محل اهتمام الباحثين المعاصرين، فتناولوها وطوّروا منها.

5 – 3 – الحجاج المغالط في الدّرس الغربيّ المعاصر:

لا تزال الدّراسات الحجاجية تشهد استمرارا وتطوّرًا في هذا المبحث، فقد أصبح حقلا مستقلا يُعنى به في العقود الأخيرة من القرن العشرين، ويعود الفضل في ذلك إلى الأبحاث المتواترة التي قام بها مجموعة من الباحثين بما في ذلك الفلاسفة والمناطقة من الاتجاه الصوري وغير الصوري، الّذين اشتغلوا على بنائها منذ الخمسينات؛[2] ويعود الاهتمام المتزايد بهذا النّوع من الحجاج إلى انتشاره في خطاباتنا اليومية، ممّا دفع الباحثين إلى الاهتمام به وإعادته للصدارة من جديد.

وفّقت الدّراسات المعاصرة في هذا المبحث بين التراث فاغترفت من دُرره، فأصبحت مرجعًا أساسيا لكلّ الباحثين في العصر الحالي، وانكشفت أهميتها أكثر في الممارسات الحجاجية أثناء التواصل، كما حرصت على تجديده وتطويره ليواكب متطلبات العصر الحديث، وأهمّ مظهر في هذا التطوّر هو

[1] بيير نيكول أنطوان أرنولد، المنطق أو فن توجيه الفكر، ط1 (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2007)، ص273، 287 .

[2] عليوي أبا سيدي، التواصل والحجاج، في الحجاج مفهومه ومجالاته، تق حافظ اسماعيل علوي، ط1 (الأردن: عالم الكتب الحديثة، 2010)، ص258.

تغيير مفهوم السفسطة، بحيث لم تعد تشير إلى ذلك السلوك الفكري المنحرف أخلاقيا والمتفرّد ببعض الجماعات، بل أصبحت تُعبّر عن صفة تكوينية أساسية في أيّ نشاط فكرية أو تفاكري.[1]

وكانت نقطة البداية لهذا الاهتمام الجديد لـ (شاييم برلمان وأولبريخت تيتيكا)، من خلال كتابهما (الوافي في الحجاج) الصادر سنة 1958، الّذي حاولا فيه إحياء الخطابة في حلّة جديدة، فكان كتابهما- كما يدلّ عليه عنوانه الفرعي- خطابة جديدة منفتحة على أسئلة العصر وقضاياه المستجدة.[2] فقد حاول الباحثان من خلال مصنّفهما إخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل ومحاولة تخليصه من التهمة التي طالما لصقت به والمتمثّلة في المغالطة والتلاعب بعواطف الجمهور وعقولهم أيضا، كما عملا من ناحية أخرى على تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال، حيث يكون الحوار بين الأطراف المتحاورة هو سبيل للوصول إلى الاقتناع، دون حمل على الإقناع وتزامنا مع هذا المؤلّف صدر مؤلّف آخر لا يقلّ عنه أهمية، لستيفان تولمين، "استعمالات الحجة" الصادر كذلك سنة1958.[3]

هذا الإنجاز النّظري الّذي شهدته ساحة الدّرس الحجاجي في العصر المعاصر، دفع رواد هذا الدّرس إلى السعي نحو تحويل الحجاج من مجرّد دراسة نظرية ليتحوّل إلى تقنيات تطبيقية يمكن استخدامها فعليّا في الممارسة الحجاجية اليومية.

وقد بلغ الاهتمام أوجه بالمغالطة مع نشر كتاب **هامبلن** (**Charles Hamblin**)" السّفسطات" الّذي نُشر في عام 1972، والّذي تحدّث فيه عن تاريخ دراسة هذا النّوع من المحاجة من

[1] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، 2010، ص15، 16.

[2] رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات العاصرة، ص146.

[3] عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، في أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم حمادي صمود، د.ت، ص298.

أرسطو إلى بداية النّصف الثّاني من هذا القرن. وانتقد فيه التاريخ الباهت لهذا النّوع من الحجاج. ويتمثّل التّجديد الذي قام به هامبلن لدراسة المغالطات هو اعترافه بمغالطات غير صورية، لأنّه كان بالإمكان أن تبقى دراسة المغالطات هامشية داخل المنطق، وتعتبر المغالطة عنده حجّة غير صالحة، لكن لها مظهر الصلاحية، وقد هاجم التّمييز بين المغالطات الصورية وغير الصورية، فلم يولي اهتماما لتصنيف أنواع المغالطات كان يراه غير مناسب، وإنّما أولى اهتمامه في فهم الآلية، أو الآليات التي يمكن للحجّة أن تظهر من خلالها صالحة من دون أن تكون كذلك. [1]

كما لا ننسى الوصف الدّقيق الذي قام به كلّ من فان إيمرن (Emeren van) وروب خروتندورست (R Grootendorst) من زعماء المدرسة الهولندية، هذه الأخيرة التي كان لها باع كبير في مجال البحث الحجاجي المعاصر، والتي تناولت الحجاج من منظور نقدي يركّز على موضوع المغالطات باعتبارها خرقا لقواعد الخطاب الحجاجي، في مقالهما الشّهير "السّفسطات من منظور تداولي جدلي"، وأبحاث دوغلاس والتون في نخبة من كتبه ومقالاته، فضلا عن المؤلف المشترك بين و **ودز ووالتون** الصادر سنة 1982 تحت عنوان: الحجج "منطق السفسطات"، وآخرون قاموا بإعادة إحياء درس السّفسطة القديم في إطار المتطلبات النّظرية والعملية المعاصرة.[2]

ولما كانت أهمية المنطق ناتجة في الأساس من كونه آلة علمية لاجتناب الخطأ في التفكير، وكان السبب التاريخي في نشأة تدوين علم المنطق على أيدي العلماء –كأرسطو– هو الحيلولة دون وقوع الفكر في الخطأ،[3] وعليه أصبحت أبحاث السّفسطة والحجاج في النّصف الثّاني من القرن العشرين تندرج

[1] فيليب بروتون، جيل جوتييه، ص73، 74.

[2] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص15.

[3] علي أصغر خندان، المنطق التطبيقي، ط1 (بيروت: الديوان للطباعة والنشر والتوزيع, 2017)، ص240.

ضمن ما أصبح يعرف بالمنطق اللّا صوري أو الفكر النّقدي أو منطق الحوار أو المنطق التطبيقي أو الخطابة الجديدة.....فكلّها أسماء تشير تقريبا إلى المسمّى نفسه.[1]

– الحجاج والتفكير النقدي، والمنطق اللّا صوري:

تنطوي المغالطات وفقا لنظرية (هامبلن) على سمات الحجج، لذلك اعتبرها حجّة غير صالحة لها مظهر الصلاحية (حجّة معيبة)، لذلك سعى للكشف عن الآليات التي يمكن من خلالها أن تظهر الحجّة صالحة من دون أن تكون كذلك، ومن أجل فهم هذا التلاعب الموجود في المغالطة، وتحوّلها من حجّة غير صالحة إلى حجّة صالحة؛ يجب أن نفهم ما هي الحجّة.[2]

يعرّف عمرو صالح يس المحاجّة (الحجاج) قائلا بأنّها "قطعة من الكلام، أو وحدة من التّفكير يمكن أن يُعبّر عنها كلامياً؛ تتركّب من مجموعة من القضايا، يُؤتى بواحدة منهن أو أكثر للاستدلال منطقيا على قضية أو قضايا أخرى."[3]

إذا هناك علاقة تربط بين الحجاج والتفكير، فهو وحدة من وحدات التفكير، فلو لا الحجج لما استطعنا أن ندعّم أفكارنا ونثبت صحّتها للطرف الآخر أثناء الحوار.

يوضّح هامبلن مفهوم الحجّة على أنّها: "عبارة عن مقدّمات تطرح كدعامات لنتيجة ما."[4] تُعرف القضية المستدل بها باسم مقدّمة، في حين تُعرف القضية المستدل عليها باسم نتيجة، ويتألّف

[1] رشيد الراضي، الحجاج والمغالطات من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، ص16.

[2] فيليب بروتون، جيل جوتييه، "تاريخ نظريات الحجاج"، ص74.

[3] عمرو صالح يس، التفكير النقدي مدخل في طبيعة المحاجة وأنواعها، ط1 (الشركة العربية للأبحاث والنشر، 2015)، ص84، 85.

[4] فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص74.

الحجاج من مجموعة من المقدّمات التي نستدل بها على قضية ما، حيث تعدّ المقدّمات القضايا الداعمة، والنّتيجة هي القضية المراد دعمها،[1] وتتميّز العلاقة بين المقدّمات والنتيجة أنّها ليست ذات طابع شرطي منطقي، فهامبلن يرى أنّ صلاحية الحجاج هي مسألة اعتقاد، فالحجّة يمكن أن تكون صالحة أو غير صالحة، لأنّ الهدف الذي يبحث عنه الحجاج هو الإقناع، وهذه الغاية الإقناعية مهمّة جدّا لصلاحية الحجج. وهذا هو ما يفسّر قيام المتحدّث الذي يرغب بإقناع متلق ما باستخدام مقدّمات يعلم أنّها مقبولة من طرف السامع أو المتلقي، حتّى وإن كانت هذه المقدّمات غير صحيحة أو معروفة بأنّها كذلك.[2]

أ- المنطق اللاّ صوري (Informal logic):

المنطق غير الصوري: هو "استخدام المنطق في تعرّف الحجج، وتحليلها وتقييمها، كما ترد في سياقات الحديث العادي ومداولات الحياة اليومية"[3] ومداولات الحياة اليومية لغتنا الطبيعية في شتّى معاملاتنا وفي مجلات الحياة المختلفة كحديثنا اليومي.

كان المنطق الصوري في بدايته منصبا على المغالطات المنطقية، ممّا أدّى فيما بعد إلى نشوء حقل بحثي جديد نتيجة لعجز المنطق الصوري على التعامل مع هذه المغالطات، وقد لاحظ هامبلن هذا النّقص، لذلك قام مجموعة من الباحثين بالبحث عن نظام استدلال، أو ربط للأفكار، أكثر بساطة وفعالية لفهم الحجاج اليومي، فهذا الحقل البحثي نتج إذن عن حركة توسيع لدراسة المغالطات لتشمل

[1] فيليب بروتون، جيل جوتييه، ص85.

[2] فيليب بروتون، جيل جوتييه، ص75.

[3] عادل مصطفى، المغالطات المنطقية – فصول في المنطق غير الصوري، ص12.

الحجاج بأسره،[1] وهكذا يُحاول المنطق اللا صوري إدخال الحجاج كوحدة من التّفكير يُمكن التعبير عنها كلاميا.

إنّ الهدف من تأسيس هذا المبحث الجديد هو السعي لاكتشاف طرق لتحليل الاستدلال العادي وتقييمه، بهدف توجيه تفكير الأفكار ورفع مستوى مناقشاتهم اليومية. وفي هذا السّياق تلتقي مساعي المنطق غير الصوري مع جهود "حركة التفكير النقدي" التي تسعى لتطوير نموذج تعليمي يمكّنُ الطالب من تحليل الأفكار ونقدها والدّفاع عنها، فقد صاحب هذا المبحث دعوة إلى تعليم عال أوثق اتصالا بالحياة والتصاقا بالواقع المعيش، لذلك راح روّاد هذا المبحث يطبّقون التحليل المنطقي على أمثلة ملموسة من الواقع المعيش ومن تفكير الحياة اليومية[2]، وقد تحقّق هذا الانتقال نتيجة لتجربة العديد من المناطقة المعاصرين، الذين أدركوا خلال تدريس المنطق بشكله التقليدي، أنّ هذا الأسلوب لا يُسهم بشكل كافٍ في تطوير قدرات الطلاب على التفاعل الحجاجي في حياتهم اليومية والعملية. وبالتالي، قاموا بالتخلي عن الأمثلة القديمة المعروضة في كتب المنطق الكلاسيكية، لصالح توظيف أمثلة أكثر تطبيقية وقرباً من الواقع.

إنّ المنطق غير الصوري ينطلق من دراسة الحجج الواقعية التي نتداولها في حياتنا اليومية، وتمكننا من نقد هذه الحجج وتمييزها، والهدف الأساسي من هذه الدّراسة هو تمكين المتعلّمين من استعمال منهجيات نقدية يستطيعون من خلالها مواجهة أي نوع من الحجج والتعامل معها بعقلانية.

ب–التّفكير النّقدي (Critical thinking):

[1] فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص82.

[2] عادل مصطفى، المغالطات المنطقية – فصول في المنطق غير الصوري، ص12.

أصبحت المغالطات والمنطق غير الصوريّ أدوات أساسية في مجال "التفكير النّقدي"، حيث أصبح المنطلق الرئيس للتفكير النّقدي تعليميا، بهدف تنمية القدرة على التفكير النّقدي لدى الطلّاب وتطوير مهاراتهم الفكرية.[1] فقد أرادت هذه الدّراسات تناول عناصر من المنطق ومن الحجاج وحاولت تطبيقها على مواقف خطابية واقعية، معيارها أنّ اللّغة خادعة وأنّ التركيبة الاجتماعية تساعد على الاستدراج الذي لا يملك الأفراد السلاح لمواجهته.

يُقدّم (عمرو صالح يس) تعريفًا للتفكير النّقدي يُشير فيه إلى أنّه النّظر المتأمّل في الأفكار والتّحليل الدّقيق لها، سواء كان لقبول أو رفض ادّعاء معيّن أو إبداء الحكم عليه، وتحديد مدى قبولنا هذه الادّعاءات أو رفضها، كما يصفه أيضا بأنّه "تفكير في التفكير"، و يحصل حينما نبدأ في التّقييم المنطقي لأفكارنا أو أفكار الآخرين.[2]

ويشبّه (يس) المفكّر النّقدي بمراقب المباني وهذه البنايات هي المحاجات لبناتها من القضايا، فينظر في القضية، مدى قوّتها وسبكها وكيف ربطت مع أخواتها، ممّا يُساعد في تقدير قوّة أو ضعف المبنى (المحاجة). وعملية النقد كما يُشير يس –كونها رقابة– تعني أنّنا امتلاكنا حزمة جاهزة من الأسئلة النّقدية في وجه هذه الادّعاءات والمحاجات، ولدينا القدرة على التعبير عنها باستخدام مصطلحات تعبيرية تعكس الملاحظات النقدية، وتسلّط الضوء على الأخطاء المنطقية الشائعة، المعروفة أيضا بـ"المغالطات المنطقية.[3]

[1] فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص84.

[2] يس، التفكير النقدي مدخل في طبيعة المحاجة وأنواعها، ص99.

[3] يس، ص100، 101.

نفهم ممّا سبق أنّ الهدف التعليمي أصبح المحور الرئيسي للمغالطة في العصر المعاصر، فلم تعد تسعى إلى إقناع المخاطَب بقدر اهتمامها بتطوير مهارات التفكير للطلاب أو المتعلّمين.

الفصـــــل الثـــــاني

المغالطـــــات الحجاجيــة عنـــد المنافقين

الفصل الثاني: المغالطات الحجاجية عند المنافقين:

سنحاول وبإيجاز تقديم لمحة مبسّطة عن التداولية، وأبرز مفاهيمها بما أنّنا بصدد تطبيق المنهج التّداولي على مدوّنتنا، ولا يسعنا إلّا عرض المبادئ التّداولية التّي استعنّا بها في الجزء التطبيقي.

بعد هيمنة التيارين البينوي والتّوليدي على ساحة الدّراسات اللّسانية. ظهر تيار لساني جديد في العقد السّابع من القرن العشرين، وأصبح مجالا يُعتد به في الدّرس اللّغوي المعاصر والفضل في ذلك يعود للثّالوث المعروف أوستين J.L.Austin، وسيرل J.R. Searle، وغرايس H.P.Grice، الّذين قاموا بتطويره، وكانوا جميعا مهتمين بطريقة توصيل معنى اللّغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يُفسّرها. ونتيجة تداخلها مع العديد من العلوم الأخرى ك(الفلسفة واللّسانيات والاتّصال وعلم الاجتماع وعلم النّفس...) بالإضافة إلى اتّساع مجالاتها وتنوّعها، جعلها تكتسب العديد من التّعريفات،[1] ولعلّ أوجز تعريف لها بأنّها: "دراسة اللّغة في الاستعمال أو في التّواصل"،[2] فهي: "مذهب لساني يدرس علاقة النّشاط اللّغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللّغوية بنجاح، والسّياقات والطّبقات المقامية المختلفة الّتي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة. والبحث في أسباب الفشل في التّواصل باللّغات الطّبيعية."[3]

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. ط (الاسكندرية، مصر: دار المعرفة الجديدة، 2002)، ص9، 10.

[2] نحلة، ص14.

[3] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ط1 (بيروت: دار الطليعة)، 2005، ص5.

إذًا فالتّداولية نصبت اهتمامها بدراسة اللّغة عند استعمالها، كما لم تُهمل طرفا الخطاب لأنّهما سبب إنجاح العملية التواصلية، فحملت على عاتق المتكلّم مهمّة تبليغ رسالة إلى متلق، واهتمت بدراسة مقاصده، كما لم تغفل المخاطَب وراعت حاله أثناء الخطاب ودوره في تأويل الخطاب وفهم مقاصده وأولت عناية بالظروف الخارجية المحيطة به.

1- أبرز مفاهيم التّداولية:

يكاد يجمع الباحثون في مجال الدّرس التّداولي على أنّ هذا المبحث يقوم على دراسة المفاهيم التّالية:

أ-الفعل الكلامي (speech acts):

مفهوم تداولي، تبلور بوصفه نظرية مع الفيلسوف المعاصر (أوستين) في كتابه How to do things with words، وطوّره تلميذه (سيرل) بإعطائه صيغته النّموذجية النّهائية. وتُنجز هذه الأفعال من قِبَل المتكلّم بمجرّد تلفظه بملفوظات معيّنة ضمن سياقات محدّدة، ومن أمثلته: الأمر، النّهي، والوعد، والسؤال،...[1]

وقد صنّف أوستين الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة "أفعال" فرعية، على النّحو الآتي:

- فعل القول (أو الفعل اللّغوي) Acte locutoire: ويراد به التلفّظ بمجموعة من الأصوات مركّبة تركيبا نحويّا سليمًا وينتج عنها معنى محدّد.

[1] صحراوي، ص10.

– الفعل المتضمّن في القول (فعل الإنجاز) Acte illocutoire: ويراد به القصد الذي يرمي إليه المتكلّم من فعل القول، كالوعد والأمر والاستفهام ...أي المعنى الخفيّ الذي يحيل له المعنى الحرفي أو الأصلي المفهوم من التّركيب.

– الفعل الناتج عن القول (فعل التأثير) acte perlocutoire: ويراد به الأثر الذي يُحدثه فعل الإنجاز في السامع أو المخاطب، وقد فطن أوستين إلى أنّ الفعل التأثيري لا يُلازم الأفعال جميعا فمنها ما لا تأثير له في السامع.[1]

أمّا (سيرل) فقد سار على خُطى أستاذه أوستن، فكانت تحليلاته تدين بالفضل الكبير لمحاضرات أستاذه، فأعاد النّظر في نظرية أفعال الكلام، ووجّه اهتمامه حول فعل الإنجاز خاصّة[2]، وقد أعطى (سيرل) بديلا لتقسيم أوستين من تصنيف الأفعال الكلامية، وأقام تصنيفه على الأبعاد الثّلاثة التي يختلف بها كلّ فعل إنجازي عن الآخر وهي: الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، وشرط الإخلاص، وقد جعلها خمسة أصناف:

– الإخبار (Assertives): والغرض الإنجازي فيها نقل المتكلّم واقعة ما من خلال قضية يعبّر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصّنف كلّها تحتمل الصّدق والكذب. وشرط الإخلاص فيها يتمثّل في النّقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها.

–التّوجيهيات (Actes directifs): غرضها الإنجازي محاولة المتكلّم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما. أو التأثير عليه ليفعل شيئا معيّنا، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها

[1] جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ط1، (دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، 2016)، ص74، 75.
[2] ختام، ص91، 92.

يتمثّل في الإرادة أو الرّغبة الصّادقة، ويدخل في هذا الصّنف: الاستفهام، الأمر، والنصح، والاستعطاف والتشجيع...

- الالتزاميات (Commissives): وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلّم بفعل شيء ما في المستقبل، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد.

-التعبيريات (Expressives): غرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النّفسي للإنسان تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذه الأفعال اتجاه المطابقة فهو الاتجاه الفارغ ويدخل فيها الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والمواساة...[1]

-الإعلانيات Declarations): وغرضها الإنجازي هو إحداث تغيير في العالم وما يميّز هذا الصّنف من الأفعال مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي.[2]

شروط الملاءمة لدى سيرل: طوّر سيرل تصوّر أوستين لشروط الملاءمة التي إذا تحقّقت في الفعل الكلامي كان موفّقا فجعلها أربعة شروط وهي:

-شرط المحتوى القضوي: هو الّذي يقتضي فعلا في المستقبل يُطلب من المخاطب، كفعل الوعد يقتضي من المتكلّم إنجاز فعل في المستقبل.

-الشّرط التمهيدي: يُحقّق إذا كان المخاطَب قادر على إنجاز الفعل والمتكلّم على يقين من قدرة المخاطَب على -إنجاز الفعل.

[1] علي محمود حجّي الصرّاف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ط1 (القاهرة، مصر: مكتبة الآداب، 2010)، ص61، 62، 63.

[2] نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص78، 79، 80.

-شرط الإخلاص: يتحقّق حينما يكون المتكلّم يريد حقّا من المخاطب أن ينجز هذا الفعل.

-الشّرط الأساسي: يتحقّق حين يُحاول المتكلّم التأثير في المخاطب لينجز الفعل.[1]

ب- الإشاريات deixis:

كما هو معلوم أنّ كلّ كلمة تُحيل إلى مدلول معيّن، إلّا أنّه توجد بعض الكلمات في المعجم الذهني لكنّها لا ترتبط بمدلول ثابت، فلا يتضّح مدلولها إلّا من خلال التلفّظ بالخطاب في سياق معيّن مثل أسماء الإشارة والضمائر، وظروف الزمان والمكان، والأسماء الموصولة[2]، فهي عبارة عن علامات لغويّة مبهمة، خالية من أي معنى في ذاتها، غير منفصلة عن فعل التلفظ، ولا يتحدّد مرجعها إلا في سياق معلوم لدى المتخاطبين،[3] لكنّها عامل مهمّ في تكوين بنية الخطاب لما لها من دور في الإحالة إلى المعلومات.

ج- السلالم الحجاجية (Orbital stairs):

السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالتالي:

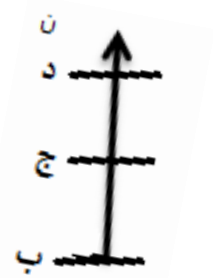

ن= سيجه "ب" و "ج" و "د حجج وأدلّة تخدم النّتيجة "ن"

[1] نحلة، ص74، 75.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1 (ليبيا: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004)، ص79.

[3] جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص76.

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معيّنة، فإنّ هذه الحجج تنتمي إذّاك إلى نفس السّلم الحجاجي فالسّلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجّهة.[1]

د–متضمّنات القول (les implicites):

مفهوم تداولي، يتعلّق برصد جملة من الظواهر، المتعلّقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، ومن أهمّها:

–الافتراض المسبق (pre=supposition):

يقوم على أساس ما يفترضه المتكّلم سلفًا من أنّ حديثه معلوم من طرف السّامع، فهو يُعنى بالمعلومات المشتركة بين المتكلّم والمتلقّي، وقد اهتم الباحثون بدراسة الافتراض المسبق في أوائل العقد السّابع من القرن العشرين، فميّزوا بين نوعين من الافتراض السّابق: المنطقي أو الدلالي، والتداولي، أمّا الأوّل مشروط بالصدق بين قضيتين فإن كانت (أ) صادقة كان من اللّازم أن تكون (ب) صادقة، فإذا قلنا مثلا: إنّ المرأة التي تزوّجها زيد كانت أرملة، وكان هذا القول صادقا أي مطابقا للواقع لزم أن يكون القول: زيد تزوّج أرملة صادقا أيضا، إذ أنّه مفترض سلفا. وأمّا الافتراض التّداولي السابق فلا دخل له بالصّدق والكذب، فإذا قلت مثلا سيارتي جديدة ثمّ قلت سيارتي ليست جديدة فعلى الرّغم من التناقض في القولين فإنّ الافتراض السابق وهو لك سيارة لا يزال قائما في الحالين.[2]

–الأقوال المضمرة (les Sous–entendus):

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط1، 2006، ص20، 21.

[2] نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص26، 28.

هي النّمط الثّاني من متضمّنات القول، ويُقصد به المعلومات التي يحتويها الخطاب ويُحدّدها سّياق الحديث،[1] تقول أوركيوني: "القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكنّ تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث"،[2] فالأقوال المضمرة وليدة ملابسات الخطاب، وعليها يتوقّف تأويله، فمتى تعدّدت السّياقات تعدّدت التأويلات.

هـ-الاستلزام الحواري (Implicature converationnelle):

ترجع نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التي ألقاها (بول غرايسP.Grice) في جامعة هارفارد 1967، حيث انطلق في بحثه من فكرة "أنّ النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون... ، فأراد أن يُقيم معبرا بين ما يحمله القول من معنى صريح وما يحمله من معنى متضمّن، فأنشأت عنده فكرة الاستلزام."[3]

فهناك اختلاف بين ما نقوله وما نقصده، فما نقوله يمثّل المعنى الحرفي والصريح، أي ما تعنيه مجموع الكلمات منتظمة مع بعضها البعض في علاقة إسناد، بينما ما نقصده هو المعنى الذي يسعى المتكلّم توصيله إلى السّامع بطريقة غير مباشرة يحدّدها السّياق الّذي ورد فيه الخطاب، ويلعب فيها السّامع دورا كبيرا في فهم مراد المتكلّم وتفسيره، "لأنّ القول الّذي لا يتجاوز ظاهر لفظه، ولا يثير أسئلة، لا يقيم علاقة حجاجية بين المتخاطبين، سواء كان المعنى الّذي يحمله خفيا أم صريحا."[4]

[1] صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص32.

[2] صحراوي، ص32.

[3] نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص23.

[4] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، (المغرب: أفريقيا الشّرق، 2006)، ص207.

وقد قسّم غرايس الاستلزام إلى نوعين: – استلزام عرفي. —استلزام حواري.

- الاستلزام العرفي: قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللّغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها.
- واستلزام حواري: متغيّر دائما بتغيّر السّياقات التي يرد فيها.

ومن بين ما شغل غرايس هو كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلّم شيئا ويعني شيئا آخر؟ وقد وجد حلّا لهذا الإشكال فيما أسماه مبدأ التعاون بين المتكلّم والمخاطب وهو مبدأ حواري عام يشتمل على أربعة مسلّمات وهي:

- مسلّمة الكيف: لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه.
- مسلّمة القدر: وتخصّ قدر (كميّة) الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية.
- مسلّمة الملاءمة(المناسبة): اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.
- مسلّمة الجهة: كن واضحا في كلامك، فتجنّب الغموض، وتجنّب اللّبس، وأوجز، ورتّب كلامك.

هذه هي المبادئ التي يتحقّق بها التّعاون بين المتكلّم والمخاطب، وتحصل ظاهرة الاستلزام الحواري، إذا تمّ خرق إحدى القواعد الأربع السابقة.[1]

[1] نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33، 34.

كما اقترح غرايس تقسيما جديدا للحمولات الدّلالية للعبارات، فقسّمها إلى معان صريحة ومعان ضمنية:

– **المعاني الصّريحة**: وهي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشمل ما يلي:

المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

القوّة الإنجازية الحرفية: وهي القوّة الدّلالية المؤشّر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما: كالاستفهام، والأمر، والنّهي، والتوكيد، والنّداء، والإثبات والنّفي...

– **المعاني الضمنية**: وهي التي يحدّدها السّياق لا صيغة الجملة، وتشمل ما يلي:

معاني حوارية: وهي الّتي تتولّد حسب المقامات التي تنجز فيها الجملة.[1]

نستخلص ممّا سبق أنّ التّداولية لم تبق حبيسة الدّراسات المرتكزة على المستويات النّحوية والدّلالية والمعجمية أثناء تحليل النّصوص، فقد حرّرت نفسها من هذه القوالب، إلى المستوى التّداولي الّذي يقدّم أنموذجا لدراسة اللّغة الّتي نتخاطب بها، في ضوء السّياق، والظروف المحيطة. كما وضعت للسّامع أو المتلّقي اهتماما خاصا وركّزت على عمليات الاستدلال الّتي يقوم بها المتلقي أثناء تحليله رسالة الخطاب حتى يصل إلى فهم مقصود المتكلّم، فأعطته بذلك أهمية كبيرة بينما كان مهمّشا في المدارس اللّسانية التي سبقت التّداولية والتي كان اهتمامها منصبّا على المرسِل أو المتكلّم.

[1] صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص34، 35.

سنعرض فيما يلي بعض النّماذج من القرآن الكريم من تلك المغالطات مرتّبة حسب الطوائف: المنافقين، أهل الكتاب (اليهود والنّصارى)، والمشركين. وكيف ردّ القرآن على هذه المغالطات فلم يترك مغالطة إلّا وردّ عليها واستخدم في ذلك أساليب متعدّدة من أجل إقناع الطوائف الثلاثة بصحّة ما جاء به القرآن.

2- مغالطات المنافقين في القرآن الكريم: (خصائصها التداولية، أنواعها، ردّ القرآن عليها)

النّفاق في الإسلام هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر.[1] ومنه فالمنافق هو الّذي يُبطن كفره في قلبه ويُظهر إيمانه بلسانه.

ذكر القرآن بعض مغالطات المنافقين كما يلي:

- إظهار المنافقين الإيمان وإبطان الكفر:

– إقرار المنافقين باللّسان بأنّهم مؤمنون بالله واليوم الآخر مع إنكارهم ذلك بقلوبهم وادّعاءهم الإصلاح مع إفسادهم، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ(9)فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ(10)وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ(11)أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ(12)وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ(13)وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ(14)﴾ [البقرة: 8-14]

جاءت هذه الآيات في سياق تصنيف النّاس بحسب اختلاف أحوالهم في تلقّي كتاب القرآن حيث صُنّفوا إلى أربعة أصناف بعد أن كانوا قبل الهجرة صنفين، هما المؤمنون والكافرون المصارحون، فزاد بعد

[1] عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، المنافقون في القرآن الكريم، ط2 (الرياض: دار كنوز اشبيليا للنّشر والتوزيع، 2011)، ص16.

الهجرة صنفان هما المنافقون وأهل الكتاب، وبعد الثناء في الآيات السابقة على المهتدين بالقرآن انتقل السياق من الثناء عليهم إلى ذكر أضدادهم ومنهم المنافقون الّذين هم المراد هنا والّذين نطقوا بألسنتهم وأخبروا عن إيمانهم بالله واليوم الآخر ولكنّهم يبطنون الكفر ويُظهرون الإيمان،[1] وكانوا أخبث الكفرة لأنّهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشّرك استهزاء وخداعا. من هنا جاءت الآية لتخبر عن خبث المنافقين ومكرهم.

بنية الفعل الكلامي: ينتمي الفعل الكلامي الوارد في هذا السّياق إلى صنف الإخباريات بتعبير سيرل، ويتضمّن **الإخبار** عن أحوال النّاس وأصنافهم وخبث المنافقين وخداعهم للمؤمنين بإظهارهم الإسلام أمامهم وإبطانهم الكفر، ويتضمّن الإخبار فعلا كلاميا غير مباشر هو **النّعي** على أهل الضلال والمنافقين وهم أعظم جرما من الكفار،[2] وقوله **(وَمِنَ النَّاسِ)** خبر مقدّم، لأنّ في تقديمه تنبيه للسامع على ما سيتم ذكره وتشويقا لم يتم به الإخبار، ولتعديل القوّة الإنجازية لهذه الأفعال استخدم السّياق نفي قولهم بالجملة الاسمية لأنّها تدلّ على الاهتمام بشأن الفاعل أي أنّ القائلين **(آمنّا)** لم يقع منهم إيمان، فالاهتمام بهم في الفعل المنفي تسجيل لكذبهم، وهذا من مواطن الفروق بين الجملتين الاسمية والفعلية. وفي هذه الآية خرق لأحد مبادئ الحوار وهو مبدأ الكيف لأنّ هؤلاء المنافقين يقولون كلاما يعلمون أنّه غير صحيح. وفي قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ **ردّ عليهم** بإنكار ما ادّعوه ونفي ما حاولوا إثباته.[3]

ويمكن توضيح الأفعال الكلامية في هذه الآية كما يلي:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ ...﴾

فعل كلامي مباشر (خبر). معنى صريح. حالة المنافق.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، د. ط، 1 (تونس: الدّار التونسي للنّشر، 1984)، ص228، 229.

[2] شهاب الدّين أبي الثناء محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، ط1 (بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ص143.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 265/1.

فعل كلامي غير مباشر، هو **النّعي**، على أهل الضلال والمنافقين الذين أضمروا الكفر وأظهروا الإسلام.

كما تتضمّن الآية معنى **التّكذيب**، فقد كذّب الله المنافقين لعدم مطابقة التّصديق القلبي للتّصديق اللّساني.[1]

الفعل التأثيري: تضليل المؤمنين وخداعهم.

ويوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية / إطلاق لفظ الإيمان في غير معناه.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

إظهار الإيمان بالله واليوم الآخر باللّسان فقط← إذن← القول المضمر

↓

الخديعة والاستهزاء بالدّين الإسلامي وإظهار الاسلام نفاقا.

قال الله تعالى: ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ في الآية فعل كلامي مباشر هو **الإخبار** حيث أخبر الله تعالى عن نوايا المنافقين الخبيثة وخداعهم للمؤمنين بما أظهروه من إيمان وأضمروه من كفر وعبّر عن الإخبار بالفعل الكلامي الإخباري (**يخادعون**) فالخدع هو فعل أو قول معه ما يوهم أنّ فاعله يريد بمدلوله نفع غريره ولكنّه في الواقع يريد العكس تماما، ويقوم بترويج هذا الانطباع لإحداث تغيير أو تحوّل في الموقف الّذي يُواجهه، وخداعهم الله ليس حقيقة لأنّه لا تخفى عليه خافية، وإنّما أُسند إلى الله تعالى إمّا على طريقة المجاز العقلي لأجل الملابسة بين الرّسول ومُرسله

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 145/1.

وإمّا مجاز بالحذف للمضاف، بل المراد مخادعة الرّسول لأنّ معاملته من معاملة الله من حيث إنّه خليفته،[1] والفعل المتضمّن في القول هو **التهديد** للّذين يحاولون خداع المؤمنين وإلحاق الأذى بهم، تهديدًا لهم بأنّ معركتهم ليست مع المؤمنين بل هي مع الله القويّ الجبّار،[2] وقد **ردّ القرآن عليهم** في جملة ﴿**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ**﴾ الّتي هي حال من الضّمير في يخادعون الأولى، أي خداعهم مقصور عن ذواتهم لا يرجع شيء منه إلى الله والّذين آمنوا.[3]

في قوله تعالى في الآية (10) من سورة البقرة استئناف بيانيّ للردّ على سؤال متعجّب نشأ عن سماع الأحوال التي وصفوا بها قبل في قوله تعالى ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ولهذا قُدِّم الظرف (**فِي قُلُوبِهِم**) للاهتمام لأنّ القلوب هي محلّ الفكرة في الخداع، وتنوين (**مرضٌ**) للتعظيم، والمرض مجاز والمراد به في هاته الآية الأعراض النّفسانية التي يُظهرها المنافقون في سلوكهم، والتي تُخرجهم عن كمال الأخلاق البشرية، وإطلاق المرض على هذا شائع مشهور في كلام العرب، واستُعمل المرض بمعناه المجازي لأنّه هو الّذي اتّصف به المنافقون وهو المقصود من مذمّتهم وبيان منشأ مساوي أعمالهم والفعل المتضمّن في القول هو **الوعيد** بسبب النّفاق والخداع، والكذب بقولهم "**آمنّا**".[4]

في الآيتين (11-12) من سورة البقرة فعل كلامي مباشر يتمثّل في **الإخبار** عن بعض عجيب أحوال المنافقين، ومن تلك الأحوال أنّهم قالوا إنّما نحن مصلحون في حين أنّهم مفسدون، فلم يكتفوا بإنكار الإفساد، بل تجاوزوا ذلك إلى التبجّح والتبرير. فقالوا:﴿**إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون**﴾، وقد ذُكر المكان الّذي أحدثوا فيه الفساد وهو الأرض لتفظيع فسادهم بأنّه مبثوث في هذه الأرض، والمراد بالأرض كلّ ما عليها من أشياء قابلة للفساد، وقوله: ﴿**قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون**﴾ جواب بالنّقض، فالإصلاح ضدّ

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،1/ 274 276.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن العظيم، ط11، 2 (القاهرة: دار الشروق، 1985)، 43/1.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 276/1، 278.

[4] محمد الطاهر بن عاشور، 278/1، 279.

الإفساد، والأداة المدعمة للقوّة الإنجازية لفعل الإخبار هي الأداة المفيدة للقصر (إنّما) التي أفادت قصر الموصوف على الصّفة ردّا على قول من قال لهم لا تفسدوا، فردّوا عليهم بقصر القلب، وهو قصر غير حقيقي، لأنّ قصر الموصوف على الصّفة غير حقيقي، واختير في كلامهم حرف (إنّما) لأنّه يُخاطب به مخاطب مُصرّ على الخطأ.[1]

وقد استوفى الفعل الكلامي شروط الملاءمة بتعبير (سيرل)، فشرط المحتوى القضوي في الآية ارتبط بفعل مطلوب في المستقبل من المخاطبين وهم المنافقون بأن يكفُّوا عن الفساد في الأرض، أمّا شرطها التمهيدي، فالمخاطبون (المنافقون) قادرون على إنجاز الفعل بمجرّد كفّهم عن أعمال الفساد، وهذه الأفعال مطلوبة من المخاطبين في المستقبل والمتكلّم على يقين من قدرة المخاطب على إنجاز الفعل، وممّا يُؤكّد شرط الإخلاص الفعل الطلبي (لا تفسدوا)، فالمتكلّم يريد حقًّا من المخاطبين أن ينجزوا هذا الفعل، وشرطها الأساسي قد تحقّق لأنّ المتكلّم يريد التأثير في المخاطبين لينجزوا الفعل. واتّجاه المطابقة هو المخاطب، فإذا استجاب أولئك المنافقون وانتهوا عمّا فيه فساد للأرض وللعباد فقد حدثت المطابقة.

ردّ القرآن على المغالطة: في الآية (12) من هذه السّورة ردّ الله تعالى عليهم بطريقة من طرق القصر وهو أبلغ من الطريق الّذي قالوه لأنّ تعريف المسند يفيد قصر المسند على المسند إليه، فيفيد قوله ﴿**أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ**﴾ قصر الإفساد عليهم، وقد أكّد قصر الفساد عليهم المؤشّرات اللّغوية التّالية: ضمير الفصل، ودخول (إنَّ) على الجملة وقرنها بـ(أَلَا) المفيدة للتّنبيه الدّالة على الاهتمام بالخبر وتقويته دلالة على سخط الله تعالى عليهم، والاستدراك في قوله ﴿**وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ لأنّ الكلام دفع لما أثبتوه لأنفسهم من الخلوص للإصلاح، فرفع ذلك التوهّم بحرف الاستدراك، أمّا **القول المضمر**

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 285/1.

الخداع والكذب والنّفاق؛ لأنّ شأن الفساد يكون ظاهرا ولئن خفي فالتّصميم عليه واعتقاد أنّه صلاح إفراط في المكابرة. [1] وفي هذه الآية خرق لأحد مبادئ الحوار وهو مبدأ الكيف، فهم مع معرفتهم ما يُؤدّون من أعمال سيّئة فيها فساد للأرض والعباد أنّهم يدّعون الصلاح ويبرّرون أعمالهم القبيحة. فقد غالط المنافقون بإطلاقهم لفظ الإصلاح على أنفسهم على الرّغم من معرفتهم للأعمال السيّئة الّتي يقومون بها.

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13)**﴾ القائل هنا فئة من المنافقين يشيرون عليهم بالإقلاع عن النّفاق لأنّهم ضجروه، وكلّت أذهانهم من اختلاق الحيل، وفي الآية فعل كلامي توجيهي **الاستفهام** في قوله ﴿**أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ**﴾ ووراء الاستفهام فعل كلامي غير مباشر **الإنكار**، قصدوا منه التبرّئ من الإيمان على أبلغ وجه، وجعلوا الإيمان الّذي يبرّأون منه مشابها لإيمان السّفهاء تشنيعا له وتعريضا بالمسلمين بأنّ حمَلهم على الإيمان سفاهة عقولهم. وفي قوله ﴿**أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ **ردّ** ومبالغة في تجهيلهم وسبٌّ لهم، وأعلن ذلك بكلمة (**أَلَا**) المؤذنة بالتّنبيه للخبر، وجاء بصيغة القصر على نحو ما قرّر في ﴿**أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ**﴾ ليدلّ على أنّ السّفاهة مقصورة عليهم دون المؤمنين، و(إنَّ) هنا لتوكيد الخبر وهو مضمون القصر وضمير الفصل لتأكيد القصر.[2]

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14)**﴾ جاءت الآية في سياق **الإخبار** عن طائفة من الكفّار وهم المنافقون، الذين أظهروا إيمانهم وأعلنوه أمام النّاس كذبا. والمقصود هنا هو **وصف** أعمال هؤلاء المنافقين مع المؤمنين وتظاهرهم بأنّهم منهم، فإذا ابتعدوا عنهم وعادوا إلى جماعتهم اعترفوا بما كانوا يُخفونه، والغرض من الإخبار هو نقل المتكلّم لواقعة ما واتّجاه المطابقة في أفعال هذا الصّنف من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص فيها يتمثّل في النّقل الأمين للواقعة والتعبير عنها، ولا شك في أمانة ما قيل لأنّه صادر من الذات الإلهية ممّا

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 285/1، 286.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، 286/1، 287، 288.

لا يترك مجالا للشك والتّخمين، أمّا الفعل الكلامي غير المباشر هو **الادّعاء** وإظهار **الاستهزاء** بالمؤمنين وهذا من سلوك المنافقين، يتفوّهون بالإيمان عند لقاء المؤمنين، وهناك معنى آخر هو **الاستخفاف** وقصدهم الثبات على اليهودية، وتعظيم الكفر.[1]

نوع المغالطة: يُلاحظ من الآيتين السابقتين كيف غالط المنافقون، فقد أطلقوا لفظ الإيمان في غير معناه، ونوع المغالطة في هذه الآية هي **مغالطة "التعميم المتسرّع"** فقد جعلوا الإيمان ينحصر في النطق بالشهادتين بينما هو يضم بمعناه العام النطق بالشّهادتين والتّصديق بالقلب والعمل بالجوارح.

ويوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية / إظهار المنافقين الإيمان وإعلانه أمام النّاس كذبا.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

إيهام المسلمين بأنّهم منهم إذا اجتمعوا بهم والتصريح بما يبطنون عند انصرافهم← إذن← القول المضمر

↓

السخرية من المؤمنين والاستخفاف بهم وإظهار الاسلام

– إعطاءهم العهود الكاذبة:

قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76)**﴾ [التوبة: 75-76]

[1] محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، 3 ط، 1 (بيروت: دار المعرفة, 2009)، 66/1.

في الآية الكريمة فعل كلامي مباشر يتمثّل في **الإخبار** عن أحد المنافقين الذي قد عاهد الله بأداء الصدقة وإصلاح العمل إذا رزقه، وكان هذا العهد في وقت فقره وضيقه، ولكنّه نسي هذا العهد عندما استجاب الله له ورزقه من فضله، فتنكّر لوعده. وقيل أنّ الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب الذي طلب من رسول الله (ﷺ) الدّعاء له بسعة الرزق فيؤتي كلّ ذي حقٍ حقّه فدعا، وعندما أثرى إثراء كثيرا امتنع عن إعطاء زكاة أنعامه عندما جاءه المصدّقون. وعلى هذا فضمائر الجمع في (**لنصدقنّ**) وما بعده مراد بها واحد وإنّما نسبت الفعل إلى الجماعة على طريقة العرب في إلصاق فعل الواحد بقبيلته.[1]

الاستراتيجية التضامنية: هي محاولة المرسل التقرّب من المرسل إليه، وتقريبه، فيبذل المتكلّم كلّ جهده لجلب انتباه المخاطب وتوجيهه لفهم مراده وقبوله.[2] وقد يستحسن المرسل في السّياق اللّغوي أن يستبدل ضميرا معيّنا بضمير آخر، فهناك أحرف أو ضمائر يمكن تعويضها بالضمائر المتصلة،[3] وقد استعمل المرسل ضمير الجمع المتصل وهو حرف النّون السابق للفعل المضارع (نصدقنّ، نكوننّ)، فتجاوزت وظيفته الدلالة النّحوية على زمن الفعل إلى استعمالها على نحو تداوليّ بوصفها دلالة على التضامن نيابة عن الضمير المنفصل (نحن).

والفعل (**عاهد**) من **الالتزاميات** بتعبير **سيرل** وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلّم بفعل شيء ما في المستقبل وهذا الفعل متمثّل في التصدّق من مال المتكلّم إن أكرمه الله بالمال، وشرط الإخلاص فيها هو القصد، والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلّم شيئا في المستقبل، هذه الشّروط إذا تحقّقت في الفعل الإنجازي الكلامي كان موفّقا وناجحا، وإذا لم يتم الالتزام بها فلن يتحقّق الهدف الّذي من

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 272/10.

[2] الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص257، 258.

[3] الشهري، ص298.

أجله تمّ النّطق بهذا الفعل الكلامي. غير أنّه قد تمّ خرق شرط الإخلاص في هذه الآية، لأنّ هذا الرّجل المنافق كانت نيّته النّفاق والكذب فما وفى بما وعد، ويمكن اعتبار هذا الفعل الكلامي الالتزامي غير ناجح لأنّ المتكلم لم يلتزم بفعل التصدّق من ماله ولم يف بوعده، كما أنّ الحمولة الدلالية للكلمات التي استعملت في كلمات هذه الآية لا تدلّ على محتواها القضوي، وفيها خرق لأحد مبادئ الحوار وهو مبدأ الكيف، فهذا المنافق رغم أنّه عازم على الخداع في قرارة نفسه إلّا أنّه ادّعى التصدّق من ماله والصّلاح إن تكرّم عليه الله سبحانه وتعالى.

ويمكننا تشكيل سلّمية لهذه الحجج في الشّكل الآتي:

النّتيجة (ن): النفاق والكذب

ح3- سيكونون من العباد الصالحين

ح2-سيصدّقون من أموالهم

ح1- إن أغناهم الله

يمثّل السلّم ثلاثة حجج مرتّبة تصاعديا من الأدنى إلى الأقوى، فالحجّة الأدنى تقديم عهد لله لئن أعطاه الله من فضله وأغناه، تليها حجّة أقوى منها أنّهم سيصدّقون من أموالهم، ثمّ تليها حجّة أقوى منها أنّهم سيكونون من العباد الصالحين، وهذه الحجج (ح1، ح2، ح3) تخدم النّتيجة (ن) والمتمثّلة في الكذب على الله نفاقا.

ووجه المغالطة هنا **مغالطة المآل** أو الاحتكام إلى النّتائج، أي إن أنعمت علينا يا الله سنكون من المصدّقين ومن عبادك الصالحين. فهذا المنافق عزم على التصدّق وعمل الصالحات ولن يتحقّق هذا

الفعل الذي عزم عليه إلّا إذا آل إلى ما يصبو إليه في أن يصبح له مال وفير إذا تكرّم الله عليه وأغدق عليه من ماله، فالله تعالى استجاب له وتكرّم عليه ولكنه لم يف بوعده.

ردّ القرآن على المغالطة: في قوله تعالى ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ(77)**﴾ إشارة إلى أنّ الله أورثهم النّفاق وجعله في قلوبهم إلى يوم لقائه نتيجة لبخلهم وخيانتهم لوعده،[1] والباء في (**بما أخلفوا**) للسببية أو التعليل، أي بسبب إخلافهم وعد ربّهم وكذبهم، وعبّر عن كذبهم بصيغة (**كانوا يكذبون**) للدّلالة على أنّ الكذب كائن فيهم ومتمكّن منهم، وقد دلّ المضارع على تكرّر هذا السلوك وتجدّده. ثمّ قال ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾ استئناف لأجل **التقرير**، وقد عطفت النّجوى على السرّ مع أنّه أعمّ منها لينبّئهم باطّلاعه على ما يتناجَون به من الكيد والطعن. ثمّ عمّم ذلك بقوله ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾ أي قَوِيَ علمُه لجميع الغيوب.[2]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطية/طلب الرّزق من الله وإعطاء عهد كاذب.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

إن أغناه الله سيتصدّق من ماله ويقوم بالأعمال الصّالحة← إذن ← القول المضمر

↓

الكذب على الله نفاقا، والبخل.

[1] ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر محمد البيضاوي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، ط1، 1 (دمشق، بيروت: دار الرّشيد، 2000)، 67/2.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 272/10، 273، 274.

– زعمهم أنّ الموت لن يأتيهم إذا لم يقدموا على الذهاب إلى القتال:

قال تعالى: ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78)**﴾ **[النساء: 78]**

المخاطّبون هنا هم المنافقون، وقد ذكر ابن الجوزي أنّ هذه الآية نزلت في المنافقين الذين قالوا فيما يتعلّق بشهداء أُحد بأنّهم لو كانوا عندهم لما ماتوا.[1] وجملة ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا**﴾ توجّه إليهم بالخطاب من الله تعالى، وفيها **إخبار** بأنّ الموت يُدرك الانسان أينما كان، وأنّ الأجل محتوم. وفيها تنبيه لهم بأنّ الجبن هو الّذي دفعهم لطلب تأجيل القتال إلى وقت قريب، توهما منهم أنّ مواقع القتال تُقرّب الأجل، والأداة المدعّمة لفعل الإخبار هي الأداة (**أينما**) الشّرطية الدّالة على المكان بمعنى أين، والتي توحي بأنّ الآجال غير مقترنة بالأمكنة.[2] و(**لو**) الشّرطية في قوله: ﴿**وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**﴾ وصلية، وقد لقّبها النّحاة بالوصليّة هي و(**إن**) الشّرطيتين لمجرّد أنّهما تستعملان للوصل والربط في مقام التّأكيد.[3] وضمير الجمع في قوله: (**وإن تُصبهم حسنة**) عائد إلى المنافقين، وقوله: "**يقولوا هذه من عند الله – يقولوا هذه من عندك**" وهو قول نفسي، لأنّهم لم يكونوا يجرؤون على قول ذلك أمام النبيّ علنا وهم يظهرون الإيمان به، أو أنّهم قالوا ما قالوه بين إخوانهم من المنافقين، فجيء بكاف الخطاب من قبيل حكاية كلامهم.[4] ويدخل هذا القول النّفسي وهو الاعتراف على لسان المنافقين الذي عبّروا فيه عن حالتهم النّفسية ضمن صنف **التعبيريات** بتصنيف (سيرل) الذي يبيّن ما يشعر به المتكلّم، وغرضها

[1] أبو الفرج جمال الدّين عبدالرحمان الجوزى، زاد المسير في علم التفسير، ط1 (دار ابن حزم للطباعة والنشر والتّوزيع، 2002)، 302.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 128/5.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، 306/3.

[4] محمد الطاهر بن عاشور، 129/5، 130.

الإنجازي هو التّعبير عن الحالة النّفسية تجاه الواقعة التي تعبّر عنها القضية، ويُطلب فيها الإخلاص في التّعبير، ويمكن اعتبار هذا الفعل الكلامي التعبيري غير ناجح بأنّ هذا الاعتراف كان تطيّرا بالإسلام. أمّا **الفعل المتضمن في القول** (الفعل الانجازي): مفاده أنّ المنافقين **توهّموا** أنّ مواقع القتال تدني الموت، وهذا فعل إنجازي غير مباشر. **الفعل التأثيري:** نجم عن هذا القول تأثّر المنافقين وامتناعهم عن المشاركة في الغزوة.

نوع المغالطة هنا هي **مغالطة المنحدر الزلاق** حيث ادّعى المنافقون أنّ الموت لا يأتي إلّا نتيجة القتال، فتوهّموا أنّ هذا الحدث (الحرب) عاقبته الموت الحتمي دون التدليل على ذلك بحجج مقبولة، وإنّما دفعهم الجبن للتّصريح بهذا القول كي يمتنعوا عن المشاركة في الغزوة.

ويمكن التّمثيل لها:

الدّنو من مواقع القتال.

إذن لا شكّ أنّ الموت سيقع.

ردّ القرآن على المغالطة: وجّه القرآن الخطاب للرّسول (ﷺ) لأنّه المبلّغ عن الله وأمره فيه بما يجيب به هؤلاء الضّالين بقوله: **﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾**، وهو جواب لنفي الادّعاءات التي نسبها الضّالون إليه كونه مصدر السيّئات التي تصيبهم، فقد علّمه الله أن يجيب بأنّ كلّا من عند الله. فالله قدّر المنافع والمضار بعلمه وقَدَرِه وخلق مؤثّراتها وأسبابها، فهذا الجزء لله وحده لقوله **﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾**، ونظرا لدقة القضية وعمقها حثّ الله على التفكير العميق بها وأشار إلى قلّة فهم هؤلاء الضالين للمعاني الخفية بقوله **﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾**.[1]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 131/5، 133.

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطية/ مواقع القتال والسفر تدني الموت وتعجّله على النّاس.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

عدم مشاركتهم في الغزوة موت رجالهم في غزوة أحد ⟵ إذن ⟵ القول المضمر

↓

النفاق والبغض على الإسلام، والجبن.

- **ادّعاؤهم جهل فنون القتال:**

قال تعالى: ﴿**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ(167) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(168)**﴾ [آل عمران: 167-168]

وقوله تعالى (**وَمَا أَصَابَكُم**) يُقصد بها المشار إليه من قوله ﴿**أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ**﴾ وهي مصيبة الهزيمة يوم أحد، واستعمل السّياق (ما) الموصولة مضمّنة معنى الشّرط لذلك قرن الخبر بـ (الفاء) لأنّ المقصود هو إعلان ذكر المصيبة وأنّها بإذن الله إذ المقام مقام إظهار الحقيقة. وقد استعملت كلمة الإذن هنا مجازا؛ أي في غير معناها الحقيقي.

بنية الفعل الكلامي: في الآية **إخبار** للمنافقين أنّ الله كشف حقيقة نفاقهم في هذه الموقعة، والذين نافقوا هم عبد الله بن أبي، ومن انخزل معه يوم أحد، حيث طُلب منهم المشاركة في القتال وحماية النّبيّ

من العدوّ. والفعل الكلامي المباشر الذي ولي **الإخبار** مباشرة فعل كلامي توجيهي **الأمر** في قوله: (تعالوا، قاتلوا، ادفعوا)، والهدف من هذه الأفعال الطلبية هو تحفيز المنافقين على القتال في سبيل الله والدّفاع عن النّبيّ وجيش المؤمنين من العدوّ، فقابلوا طلبهم بالرفض واعتذروا بحجّة جهلهم فنون القتال،[1] جاء في تفسير البيضاوي بـ "أنّهم قالوا لو نعلم ما يصح أن يسمّى قتالا لاتّبعناكم فيه لكن ما أنتم عليه ليس بقتال بل إلقاء بالنّفس إلى التهلكة، أو لو نحسن قتالا لاتّبعناكم فيه، وإنّما قالوه دغلا واستهزاء."[2] والأمر من التّوجيهيات الطلبية التي غرضها الإنجازي هو محاولة المتكلّم توجيه المتلقي إلى فعل شيء ما، أو التأثير عليه ليفعل شيئا معيّنا، وفي هذه الآية طلب المتكلّم من المخاطبين (المنافقين) أن يقاتلوا مع المؤمنين ويدفعوا عنهم من يريدهم من العدوّ، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها هو الرغبة الصّادقة، أو الإرادة. غير أنّه قد تمّ خرق شرط الإخلاص في هذه الآية، لأنّ هؤلاء المنافقين كانت نيّتهم النّفاق والكذب، ويمكن اعتبار هذا الفعل الكلامي التوجيهي غير ناجح لأنّ المخاطبين لم يلتزموا بفعل القتال وتحجّجوا بعدم معرفتهم فنون القتال تغطية لجبنهم ونفاقهم، **الفعل المتضمن في القول: التهكّم** و**التعذّر** بحجّة أنّهم لا يحسنون القتال، وأنّ ما يقومون به إلقاء بالنّفس إلى التهلكة.

نوع المغالطة هنا **أخذ ما ليس بعلّة (السبب الزائف)** فقد اتّخذ المنافقون حجّة أنّهم لا يجيدون القتال وأنّ ما يقوم به المسلمون إلقاء بالنّفس إلى التهلكة سببا زائفا في عدم مشاركتهم في الحرب. وأضمروا السبب الحقيقي وراء ذلك وهو التعذّر عن هذه المشاركة تهكّمًا واستهزاءً بدين محمّد.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 4/ 163.

[2] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 1/ 326.

ردّ القرآن على المغالطة: وفي قوله تعالى ﴿**هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ**﴾ بيان أنّ حالتهم يومئذ أقرب دلالة على أنّهم يخفون الكفر وذلك يبرز من خلال أقوالهم وأفعالهم حين اعتذروا عن المشاركة في القتال بأسباب زائفة، ممّا يُظهر أنّهم يُخفون الكفر في قلوبهم بينما يظهرون الإيمان بألسنتهم وتأتي جملة ﴿**يقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**﴾ لتبيين هذا الاقتراب، وقوله ﴿**قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ جواب جاء كردّ على شرط قد حذف، والمقصود أنّ سبب نجاتهم من الموت غير صحيح، فإن كان صحيحا ما ادّعوه فليدفعوا جميع أسباب الموت، ووراء الفعل الكلامي التوجيهي الطلبي الأمر في قوله (قل) فعل متضمّن في القول هو **الاستهزاء** بهم أي إن كنتم رجالا دفّاعين لأسباب الموت فادرؤوا جميع أسبابه حتّى لا تموتوا كما زعمتم بهذا السبب الخاص، كما فيه **تبكيت** لهم وإظهار لكذبهم. [1]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطيّة/ ادّعاءهم جهلهم فنون القتال، وأنّ ما يقوم به المسلمون ليس قتالا إنّما إلقاء بالنّفس إلى التهلكة.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

عدم مشاركتهم في الحرب ⟵ إذن ⟵ القول الضمر

↓

- الاستهزاء بالدّين، والتهكّم والتّعذر.

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 120/4، 121.

-إرادتهم تفشيل المسلمين ومحاولتهم خلخلة القلوب والنّفوس.

- **التّحاكم إلى الطاغوت:**

إرادة المنافقين إلى التّحاكم إلى الطاغوت، مع أنّهم أمروا بالكفر به، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا(60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا(61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا(62) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا(63)**﴾ [النساء: 60-63]

في الآية الكريمة فعل كلامي مباشر تمثّل في **الاستفهام** باستخدام الهمزة في قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ**﴾ والمعنى المستلزم منه **التعجيب** من حال هؤلاء المنافقين الذين يدّعون الإيمان ومع هذا يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت.[1] والأداة المدعّمة للقوّة الإنجازية لفعل الاستفهام الاسم الموصول (**الّذين**) المراد به قوم من المنافقين الذين كانوا ينتمون إلى اليهود وأظهروا الإسلام لذلك قال: ﴿**يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ والمقصود بها هنا واحد، وجيء باسم موصول الجماعة لأنّ المقام مقام توبيخ[2]، وقد جيء بالاسم الموصول (**الّذين**) الّذي هو من **الإشاريات** التي تصنّف في العربية حسب معايير كثيرة، مثل العدد، والجنس وبُعد المرجع عن المرسل أو قُربه، إلّا أنّه رغم تقرير هذه الأصول إلّا أنّ بعضها من وجهة نظر الممارسة التداولية لا تثبت على مرجع معيّن، فقد يجد المرسل أنّ دلالتها في الأصل لا تفي بالتّعبير عن قصده كما يريد، فيلجأ في بعض الأحيان إلى إخراج هذه الدوال

[1] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس للطباعة والنّشر والتوزيع، د. ط، د. ت، 327/2.
[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 102/5، 104.

عن مدلولاتها الأصل. فتتجاوز ذلك إلى التأثير على المعنى، فيصبح المعنى المقصود غير المعنى الحرفي،[1] وهو ما أدّته الأداة (**الّذِينَ**) في الخطاب السابق من وظيفتين، وهما: أنّها أداة إشارية يخاطب بها المتكلّم جمع المذكّر العاقلين والمقصود منها هنا واحد، والأخرى هي: أنّها مؤشّر على الوظيفة التداولية والقصدية، والتي هي هنا التّوبيخ. و**الزعم** خبر كاذب، ويستعمل الزعم في الخبر المحقّق بالقرينة، وقوله (**صدقوا**) هو القرينة هنا، وإطلاق الزعم على إيمان أولئك الذين أرادوا التّحاكم إلى الطاغوت من المنافقين ظاهر، وفي قوله ﴿**وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ والضلال البعيد هو الكفر ووصف بالبعيد مجازا في شدّة الضلال، وقوله ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا**﴾ فإنّ (**تعالى**) كلمة تدلّ على الأمر بالحضور أو الإقبال. وهو هنا مستعمل مجازا، إذ ليس ثمّة حضور وإتيان، فهو مجاز في تحكيم كتاب الله وتحكيم الرسول في حضوره، و(صدودا) مفعول مطلق للتوكيد، وتنوين (**صدودًا**) لإفادة أنّه تنوين تعظيم.[2]

الأنماط المتحوّلة عن الاستفهام: الاستفهام فعل إنجازي طلبي، وقد صنّفه (**سيرل**) في خانة التّوجيهيات إن كان بصورته المباشرة، وأمّا إن كان غير مباشر فيصنّف بحسب دلالته الإنجازية الجديدة،[3] وفي هذه الآية خرج الاستفهام عن دلالته الحرفية المباشرة إلى دلالة أخرى هي **التعجّب**، وعليه يصنّف وفقا لدلالته الجديدة وهي التعجب في هذا المقام.

فالمنافقون يغالطون عند ادّعائهم الإيمان، وهم في الوقت نفسه يلجؤون في تحاكمهم إلى الطاغوت، فخالفوا بذلك شريعة موسى –عليه السّلام– الّتي حذّرتهم منه.

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطيّة/ إظهار المنافقين الإيمان مع إرادتهم التّحاكم في خصوماتهم إلى الطاغوت.

[1] الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، 286، 287.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 104/5، 105.

[3] علي محمود حجّي الصرّاف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص180.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

اختيارهم حكم الطاغوت على حكم الله تعالى← إذن ← القول الضمر

↓

النّفاق والإعراض عن حكم الله ورسوله.

ردّ القرآن على المغالطة: في قوله تعالى:﴿**فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا**﴿٦٢﴾﴾ يسأل لوهذه المصيبة قد تصيبهم بسبب انكشاف أمرهم في وسط الجماعة المسلمة –يومذاك– حيث يصبحون معرّضين للنّبذ والمقاطعة في الوسط المسلم، بسبب ميلهم إلى التّحاكم لغير شريعة الله، أو قد تصيبهم المصيبة من ظلم يقع بهم؛ نتيجة التّحاكم إلى غير نظام الله العادل، أو قد تصيبهم المصيبة ابتلاء من الله لهم، وأيًّا ما كان سبب المصيبة، فالنّص القرآني يسأل مستنكرا: فكيف يكون الحال حينئذ؟ كيف يعودون إلى الرّسول (ﷺ) يحلفون بالله إن أردنا إلّا إحسانا وتوفيقا فيجيئوا غير قادرين على مواجهة الرسول بحقيقة دوافعهم، وفي الوقت ذاته يحلفون كاذبين[1] يعتذرون بأنّهم ما أرادوا بالتّحاكم إلى أهل الطاغوت إلّا قصد الإحسان إليهم وتأليفهم إلى الإيمان والتوفيق بينهم وبين المؤمنين، و(**كيف**) خبر مبتدأ محذوف معلوم من سياق الكلام: أي كيف حالهم حين تصيبهم مصيبة بسبب ما فعلوا فيجيئونك معتذرين، والمعنى المستلزم من **الاستفهام** في قوله ﴿**فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ**﴾ **التهويل**، والله تعالى يكشف عنهم هذا الرداء المستعار. ويخبر رسوله –ﷺ– أنّه يعلم حقيقة ما تنطوي عليه جوانحهم. ومع هذا يوجهه إلى أخذهم بالرفق، والنّصح لهم بالكفّ عن هذا الالتواء في قوله ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا**﴾ جاء باسم الإشارة لتمييزهم للسامعين أكمل تمييز، وأراد بما في قلوبهم الكفر الّذي أبطنوه، وأمر رسوله بالإعراض عنهم في قوله (أعرض عنهم)، كما أستعمل فعل الأمر (عِظهم) للأمر بفعل الخير وترك الشّر بطريقة فيها **تخويف** وترقيق يحملان على الامتثال، فهذا الإعراض

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن العظيم، 5/المجلد 2، 694، 695.

إعراض صفح أو إعراض عدم الحزن من صدودهم عنك، أي لا تهتم بصدودهم، فإنّ الله مجازيهم بدليل قوله ﴿**وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا**﴾.[1]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطيّة/ اعتذارهم عن احتكامهم للطاغوت لأجل الإحسان إلى المؤمنين.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

عدم قدرتهم على مواجهة الرسول فيحلفون بالله كذبا← إذن ← القول الضمر

↓

النفاق والكذب

- إظهار لين القول للرّسول وإبطان الكفر:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (206)﴾ [البقرة: 204-206]

المخاطِب في الآية الله تعالى والمخاطَب إمّا النبيّ (ﷺ) أي ومن النّاس من يظهر لك ما يُعجبك من القول وهو الإيمان وحبّ الخير والإعراض عن الكفّار فيكون المراد بـ(من) المنافقين ومعظمهم من اليهود، وقيل: أريد به الأخنس بن شريف الثقفي واسمه أُبي، وكان يظهر المودّة للنبيّ (ﷺ) ولم ينظم إلى المشركين في واقعة بدر بل خنس أي تأخّر عن الخروج معهم إلى بدر ولما انقضت وقعة بدر قيل: إنّه حرق زرعا للمسلمين وقتل حميرا لهم فنزلت فيه هاته الآية، أمّا **الفعل المتضمّن في هذا القول**: هو

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 108/5.

تحذير المسلمين من أن تروّج عليهم حيل المنافقين و**تنبيه** لهم إلى استطلاع أحوال النّاس.[1] وفعل التحذير يندرج ضمن الأفعال الكلامية التعبيرية، وقد استوفى هذا الفعل الكلامي **شروط الملاءمة** وفي هذه الآية شرط المحتوى القضوي بفعل مطلوب في المستقبل مطلوب من المخاطب وهو النبيّ بأن حذّر الله تعالى نبيّه أن تنطوي عليهم حيل المنافقين في المستقبل، أمّا شرطها التمهيدي، فالمخاطب (النبيّ) قادر على إنجاز الفعل بمجرّد كفّه عن موالاة المنافقين الّذين يظهرون حسن القول والمودّة وهم يبطنون الكره الشّديد، والمتكلّم على يقين من قدرة المخاطب على إنجاز الفعل، فالمتكلّم يريد حقا من المخاطبين أن ينجزوا هذا الفعل، وشرطها الأساسي قد تحقّق لأنّ المتكلّم أراد التأثير في المخاطب لينجز الفعل، كما يعدّ أسلوب التحذير من آليات التّوجيه، وكان إنجاز فعل التحذير من باب أفعال النصح الضمني للمرسل إليه، ويتكوّن الخطاب العميق في أساليب التّحذير من ثلاثة عناصر وهي: المرسل (المحذّر) الّذي يوّجه الخطاب وهو الله تعالى في هذا الخطاب، والمرسل إليه (المحذَّر) وهم المسلمون، والعنصر الثالث هو المحذور، أي المحذّر منه وهي حيل المنافقين بإظهارهم الموّدة للمسلمين نفاقا وكذبا. وفي قوله **﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾** أفاد (ما في قلبه) معنى المطابقة لقوله لأنّه لما أشهد الله حين حسّن قوله وأظهر تودّده تعيّن أن يكون مدّعيا أنّ قلبه كلسانه ولكن في الحقيقة **﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾** أي شديد الخصومة والعداوة، وشدّة الخصومة من صفات المنافقين لأنّهم يحبّون الدّنيا فيكثرون الخصام عليها،[2] و(إذا) في قوله **﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾** ظرف تضمّن معنى الشّرط أي إذا أدبر سعى ما أمكنه بالقتل والاتلاف كما فعل الأخنس، لأنّ ذلك مؤذن بكفره وكذبه في مودّة الرسول (ﷺ)، إذ لو كان ودّه صادقا لما آذى أتباعه، **﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾**

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 266/2.

[2] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 95/2، 96.

أي لا يرضى به فاحذروا غضبه عليه، والجملة اعتراض للوعيد واكتفى فيها على الفساد لانطوائه على الثّاني لكونه من عطف العام على الخاص ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ**﴾ أي إذا وعظه واعظ بما يقتضي تذكيره بتقوى الله تعالى غضب لذلك، واستعمل السياق لفظ (**الأخذ**) الّذي أصله تناول الشيء باليد مجازا في الاحتواء والإحاطة، ومنه قوله هنا ﴿**أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ**﴾ أي احتوت عليه عزّة الجاهلية. و(ال) في (العزّة) للعهد أي العزّة المعروفة لأهل الجاهلية التي تمنع صاحبها من قبول اللّوم أو التّغيير عليه، لأنّ العزّة تقتضي معنى المنعة فأخذ العزّة له كناية عن عدم إصغائه لنصح النّاصحين. وقوله "**بالإثم**" الباء فيه للمصاحبة، أي جعلته (العزّة) وحمية الجاهلية أسيرا بقيد الإثم لا يتخلّص منه ﴿**فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ**﴾ أي كافيه جهنّم، ﴿**وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ أي جهنّم، والمهاد ما يُمْهد أي يُهيّأُ لمن ينام، وإنّما سمّى جهنّم مهادا تهكّما، لأنّ العُصاة يُلْقَون فيها فتصادف جنوبهم ظهورهم. وفي الآية ذم لمن يغضب إذا قيل له (اتق الله).[1]

فهؤلاء المنافقون يغالطون حين يظهرون تودّدهم للنبيّ (ﷺ) ويشهدون الله على أنّ ما في قلوبهم يطابق الظاهر، لكنّهم يُضمرون العكس تماما فهم في المقابل يُؤذون أتباع الإسلام، ويُفسدون في الأرض.

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطيّة/ إظهار المنافقين المودّة ولين القول للرسول وإبطان الكره الشّديد.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

إذا أدبروا سعوا إلى الفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل ← إذن ← القول الضمر

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 271/2.

↓

الكذب والنّفاق.

- **تغرير المنافقين بالوعود الكاذبة لأهل الكتاب:**

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ(12)﴾ [الحشر: 12-11]

في الآية ذكر لتغرير المنافقين بالوعود الكاذبة لبني النّضير، وأُفتتحت الآية بفعل كلامي مباشر تمثّل في **الاستفهام**، والمعنى المستلزم منه **التعجب** من حال المنافقين الّذين طمعوا إخوانهم من أهل الكتاب، في نصرتهم، وموالاتهم على المؤمنين، يقولون لهم: **﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾** أي: لا نطيع في عدم نصرتكم أحدا يعذلنا أو يخوّفنا وإن قوتلتم لننصرنّكم والله يشهد إنّهم لكاذبون في هذا الوعد الّذي غرّوا به إخوانهم.[1] ولتدعيم القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي استعان السّياق القرآني بجملة من المؤشّرات اللّغوية منها: بناء الاستفهام على نفي العلم بحالهم كناية عن التّحريض على إيقاع هذا العلم، وجيء بالفعل المضارع "**يقولون**" لقصد تكرّر ذلك منهم، أي يقولون ذلك مؤكّدينه ومكرّرينه، وفي وصف إخوانهم بـ **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** إيماء إلى أنّ جانب الأخوّة بينهم الكفر، ولام **﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾** موطّئة للقسم، أي قالوا لهم كلاما مؤكّدا للقسم، وإنّما وعدوهم بالخروج معهم ليطمئنّوا لنصرتهم فهو كناية عن النّصر وإلّا فإنّهم لا يرضون أن يفارقوا بلادهم.[2]

[1] عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح عبد الرحمان بن معلّا اللّويحق، مؤسسة الرّسالة للطباعة والنّشر، ط1، 2002، ، 852/28.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 98/28، 99.

الاستفهام من الأفعال الكلامية التوجيهية الطلبية لكنّه خرج عن أصل استعماله فأفاد **التعجب** في الآية، وقد افتقر هذا الخطاب لأحد شروط الملاءمة وهو شرط الإخلاص لأنّ المنافقين أرادوا خداع بني النّضير والكذب عليهم فوعودهم بوعود كاذبة حتى يوافقوا على نصرتهم، وقد أعلم الله رسوله أنّهم كاذبون، أمّا شرطها الأساسي قد تحقق لأنّ المتكلّم يريد التأثير في المخاطب لينجز الفعل.

وتتضّح بنية الفعل الكلامي فيما يلي:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا..﴾

- الفعل الكلامي المباشر: هو المعنى الحرفي: هو الاستفهام المستعمل في التعجيب. والتقدير: ألم ترهم قائلين؟
- الفعل الكلامي غير المباشر هو: المعنى الضمني (المستلـــزم):

التعجب، أي التعجيب من حال هؤلاء المنافقين الذين غرّوا ببني النّضير بالوعود الكاذبة.

فقد غالط هؤلاء المنافقين حين قدّموا وعودا كاذبة غرّوا بها أهل الكتاب فأطمعوهم بنصرتهم والقتال معهم ضدّ المؤمنين.

ردّ القرآن على المغالطة: وقد أعلم الله رسوله (ﷺ) بأنّهم كاذبون في قوله: **﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**، وقوله: **﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾** بيان لجملة: **﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**، واللّام موطّئة للقسم وهذا تأكيد من الله تعالى لرسوله (ﷺ) أنّهم لن يضرّوه شيئا لكيلا يعبأ بما بلغه من مقالتهم. والضمير في "أخرجوا" و"قوتلوا" عائد على **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾** والمعنى: لئن أخرج بقية اليهود في المستقبل لا يخرجون معهم، ولئن قوتلوا في المستقبل لا ينصرونه، وقد سلك في هذا البيان طريق الإطناب لزيادة تقرير كذبهم. وفي قوله **﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ**

لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ لئن نصروهم ليُولَّنَّ الأدبار ثمّ لا يُنصرُون" ارتقاء في تكذيبهم على ما وعدوا به إخوانهم، والواو واو الحال وثمّ في قوله **﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾** للتراخي الرتبي، فانتفاء النصر أعظم رتبة في تأييس أهل الكتاب من الانتفاع بإعانة المنافقين، والمقصود تثبيت رسول الله –صلّي الله عليه وسلّم– والمسلمين وتأمينهم من بأس أعدائهم.[1]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطيّة/ تغرير المنافقين بالوعود الكاذبة لأهل الكتاب

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

إخبارهم لليهود بأن ينصروهم ويقاتلوا معهم وهم يكذبون ⟵ إذن ⟵ القول الضمر

↓

الاستهزاء بالدّين، والتهكم والتّعذر.

– إظهار الإنفاق نفاقا:

قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (7)﴾ [المنافقون: 7]

في الآية **وصف** للون آخر من كلامهم وهو الكيد للدّين في سورة النّصيحة، فهؤلاء المنافقون لمكرهم وسوء نواياهم يقولون في مجامعهم وجماعاتهم لإخوانهم الّذين كانوا ينفقون على فقراء المسلمين تظاهرا بالإسلام كأنّهم يقول بعضهم لبعض تظاهَرْ بالإسلام بغير الإنفاق، وقائل هذه المقولة كما جاء في الأحاديث الصّحيحة هو عبد الله بن أُبَيّ بن سلول، وقد أسند هذا القول إلى ضمير المنافقين لأنّهم

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 99/28، 100.

تقبّلوه منه إذ هو رأس المنافقين، وقد أفتتحت الجملة بضميرهم الظاهر دون الاكتفاء بالمستتر في الفعل الإخباري ﴿**يَقُولُونَ**﴾ معاملة لهم بنقيض مقصودهم فإنّهم ستروا كيدهم بإظهار قصد النّصيحة ففضح الله أمرهم بمزيد التصريح، أي قد علمت أنّكم تقولون هذا، كما في إظهار الضمير أيضا تعريض **بالتوبيخ** ولدعم القوّة الإنجازية لهذا الفعل استعان السياق بجملة من المؤشّرات اللّغوية منها: المجيء بالجملة الاسمية لإفادة ثبات الخبر، وجاء بعده الاسم الموصول إشعارا بأنّهم عرفوا بهذه الصّلة، وصيغة المضارع في ﴿**يَقُولُونَ**﴾ يُشعر بأنّ في هذه المقالة تتكرّر منهم لقصد إفشائها. ﴿**وَمَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ**﴾ من كانوا في رعايته من الأعراب وكان الرسول يموّنهم في غزوة بني المصطلق، فكانوا عند خروجهم مع النبيّ (ﷺ) في سفر أصاب النّاس فيه شدّة، يقولون: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضوا من حوله، فظاهر كلامهم أنّهم قصدوا الرفق برسول الله (ﷺ) من كلفة إنفاق الأعراب الذين موّنهم في الغزوة، أمّا باطنه إرادة إبعاد الأعراب عن تلقّي الهدى النّبويّ وعن أن يتقوّى بهم المسلمون، و(**حتّى**) مستعملة في التعليل بطريقة المجاز المرسل لأنّ معنى (حتّى) انتهاء الفعل المذكور قبلها وغايةُ الفعل ينتهي الفاعل عن الفعل إذا بلغها، فهي سبب للانتهاء وعلّة له.[1]

وقد غالط هؤلاء المنافقون هنا بتظاهرهم بالإسلام كذبا بإنفاقهم على فقراء المسلمين تمويها وتضليلا ثمّ راحوا يغطّون خبثهم ومكرهم بالنّصيحة ودعواهم للرّفق بالرّسول (ﷺ) لكنّ باطنهم عكس هذا.

ردّ القرآن على المغالطة: وقوله تعالى ﴿**وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ**﴾ عطف على الجملة التي قبلها وفيها إبطال مكر المنافقين فيما قصدوه من قولهم المتظاهرين بأنّهم قصدوا به نصح المسلمين، وهو جواب من باب **طريقة النقض لكلامهم**. ولما كان الإنفاق على فقراء المسلمين ممّا يُعين على ظهور الدّين الّذي أرسل الله به رسوله (ﷺ) كان الإخبار بأنّ الخزائن لله كناية عن تيسير

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 28/ 246.

الله تعالى لرسوله (ﷺ) حصول ما ينفق منه، وذلك بما سيره الله لرسوله (ﷺ) من زكوات المسلمين وغنائم الغزوات، وما فتح الله عليه من البلاد بخيراتها، وقد قُدّم المجرور من قوله ﴿**وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ لإفادة قصر القلب وهو قصر للازم قولهم لا صريحه؛ لأنّ المنافقين حسبوا بقولهم أنّ الرسول لن يجد ما ينفق منه على مَن عند الرسول (ﷺ) إذا قطعوا هم الإنفاق عليهم، فأعلمَ اللهُ رسولَه مباشرة وأعلمهم تبعا بأنّ ما عند الله من الرّزق أعظم وأوسع. واستدراك قوله ﴿**وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ**﴾ لرفع ما يتوهّم من أنّهم فرضوا أنّ القدرة على الإنفاق منحصرة فيهم لأنّهم أهل الأحوال وقد غفلوا عن تعدّد أسباب الغنى وأسباب الفقر.[1]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطيّة/ إنفاقهم على فقراء المسلمين تظاهرا بالإسلام نفاقا.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

ستر كيدهم بقصد النّصيحة ← إذن ← القول الضمر

↓

إرادة إبعاد الأعراب حتّى لا يتقوّى بهم المسلمون.

- **زرع الفتنة:**

قال الله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (8)**﴾ [المنافقون: 8]

في الآية **وصف** لخبث نوايا المنافقين والفعل المتضمّن في القول هو **التهديد** وبذر الفتنة والتفرقة بين الأنصار والمهاجرين، وانتهازا لخصومة طفيفة حدثت بين شخصين من موالي الفريقين، وهذا القول

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 248/28.

المحكي هنا صدر من عبد الله بن أبيّ بن سلول، وأرادوا بالأعزّ فريق الأنصار لأنّهم أهل المدينة وأهل الأموال وهم أكثر عددا من المهاجرين، فأراد ليُخرجن الأنصار من مدينتهم من جاءها من المهاجرين.

بنية الفعل الكلامي: ينتمي الفعل الكلامي الوارد في هذا السياق إلى صنف الإخباريات بتعبير (سيرل)، ويتضمّن وصف خبث المنافقين ونواياهم الخبيثة مثلهم، فقد أرادوا إفسادَ إخلاص الأنصار وأُخوّتهم مع المهاجرين بإلقاء هذا الخاطر في نفوس الأنصار، وأفعال هذا المجال الإنجازي قامت بوصف الواقع وصفا أمينا، فتحقّقت الأمانة في النّقل والوصف وأُنجزت الأفعال إنجازا تاما وناجحا، ولدعم القوّة الإنجارية لهذه الأفعال استعان السّياق القرآني بالمؤشّرات اللّغوية الآتية: صيغة المضارع في حكاية هذه المقالة لاستحضار الحالة العجيبة، تقديم المسند على المسند إليه في قوله "**ولله العزّة**" لقصد القصر وهو قصر قلب، أي العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين لا لكم كما تحسبون، كما أنّ إعادة اللّام في قوله "**وَلِرسُولِهِ**" لتأكيد عزّة الرّسول (ﷺ) وأنّها سبب عزّة الله ووعده إيّاه، وإعادة اللّام أيضا في قوله "**وللمؤمنين**" للتأكيد أيضا، وفي قوله ﴿**وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُون**﴾ نفي العلم عنهم تجهيلا بسوء التأمّل في أمارات الظهور والانحطاط، فكيف يظنّ المنافقون أنّ عزّتهم أقوى من عزّة قبائل العرب الّذين يسقطون بأيدي المسلمين كلّما غزوهم من يوم بدر وما بعده، والفعل المتضمّن في القول هو **التحذير** من صفات المنافقين.[1]

وقع المنافقون في المغالطة حين نعتوا المؤمنين بصفة الذلّ ونسبوا صفة العزّة لفريقهم وأرادوا من ذلك إخراج المهاجرين من المدينة بزرع الفتنة بينهم وبين الأنصار.

ردّ القرآن على المغالطة: أبطل الله كلامهم بقوله ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ وهو جواب بالطريقة التي تسمّى **القول بالموجب** في علم الجدل ويقصد به ردّ دعوى الخصم من فحوى كلامه، وتدخل هذه الآية ضمن القسم الأوّل من أقسام القول بالموجب وهو: أن تقع صفة في كلام الغير كناية

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 249/28.

عن شيء أثبت له حكم فيثبّتها لغير ذلك الشيء،[1] فـ "**الأعزّ**" في كلام المنافقين وقعت كناية عن فريقهم، و"**الأذلّ**" كناية عن فريق المؤمنين، وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة، فأثبت الله في الردّ عليهم صفة العزّة لغير فريقهم .وهو الله ورسوله والمؤمنون،[2] وإن كان الأعز يُخرج الأذل فإنّ المؤمنين هم الفريق الأعزّ، وعزّتهم بكون الرّسول (ﷺ) فيهم وبتأييد الله رسوله (ﷺ) وأولياءه، لأنّ عزّة الله هي العزّة الحق المطلقة، وعزّة غيره ناقصة، فإن كان إخراج من المدينة فإنّما يخرج منها أنتم يا أهل النّفاق.[3]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطيّة/ زرع المنافقين للفتنة بين الأنصار والمهاجرين.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

إخراج الأنصار من جاءهم بمدينتهم من المهاجرين ← إذن ← القول الضمر

↓

الخداع والنفاق.

- **إظهارهم الخوف على بيوتهم من أجل الهروب:**

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا(12) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا(13)﴾ [الأحزاب: 12-13]

[1] زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، د.ت، 81.

[2] الحافظ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن الجزء الرابع، 4 (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد)، 56.

3 محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 248/28، 249.

قولهم هذا فيه احتمالان: إمّا قالوه علنًا بين المسلمين قصدوا به إدخال الشكّ في قلوب المؤمنين لعلهم يردّونهم عن دينهم، ونسبة الغرور إلى الله ورسوله، إمّا على معنى التشبيه البليغ وإمّا لأنّهم بجهلهم يجوزون على الله أن يغرّ عباده، ويحتمل أنّهم قالوا ذلك بين أهل ملّتهم فيكون نسبة الوعد إلى الله ورسوله **تهكما**، والمعنى أنّ الله وعدهم النّصر فكان الأمر هزيمة وهم يعنون الوعد العام وإلّا فإنّ وقعة الخندق جاءت بغتة ولم يُرْوَ أنّهم وُعدوا فيها بنصر، في الآية **إخبار** عن طائفة من المنافقين والمراد بالطائفة الذين قالوا ﴿**يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا**﴾ عبد الله بن أبيّ بنُ سلول وأصحابه، وفي قوله "**لا مقام لكم**" النّفي هنا بمعنى نفي المنفعة فلمّا رأى هذا الفريق قلّة جدوى وجودهم جعلها كالعدم، وجملة "**ويستأذن فريق**" عطف على جملة "**قالت طائفة**"، وجيء فيها بالفعل المضارع للإشارة إلى أنّهم يلحّون في الاستئذان ويكرّرونه ويجدّدونه. وتأكيد الخبر بحرف (إنّ) في قولهم "**إنّ بيوتنا عورة** " تمويه لإظهار قولهم "**بيوتنا عورة**" في صورة الصّدق، ولما علموا أنّهم كاذبون وأنّ النّبيّ (ﷺ) يعلم كذبهم جعلوا تكذيبه إيّاهم في صورة أنّه يشكّ في صدقهم فأكّدوا الخبر. ونوع المغالطة هنا **مغالطة السبب الزائف**، حيث اتّخذوا تخوّفهم على بيوتهم سببا واهيا في الانخزال عن القتال في الغزوة.

ردّ القرآن على المغالطة: قد ردّ الله عليهم في قوله ﴿**وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا**﴾ في الآية تكذيبا لهم في إظهارهم التخوّف على بيوتهم، لأنّ المدينة كانت محصّنة يومئذ بخندق وكان جيش المسلمين حارسها ولم يقرن هذا التكذيب بمؤكّد لإظهار أنّ كذبهم واضح غير محتاج إلى تأكيد.[1] وإنّما مرادهم خذل المؤمنين.

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطيّة/ اظهارهم تخوفهم على بيوتهم من أجل الهروب

↓

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 285/21.

يقتضي/ المقتضى

↓

الانخزال عن القتال في الغزوة⟵ إذن ⟵ القول الضمر

↓

خذل المسلمين والكذب.

- **تظاهرهم بإظهار سمعهم للرّسول ﷺ:**

قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (16)**﴾ [محمد: 16]

ضمير ﴿**وَمِنْهُمْ**﴾ عائد إلى (**الَّذِينَ كَفَرُوا**) أي ومن الكافرين قوم يستمعون إليك، وأراد بمن يستمع معهم المنافقين، وقد كان المنافقون بعد الهجرة مقصودين من لفظ الكفّار، فهم صنف آخر من الكافرين الّذين أسرّوا الكفر وتظاهروا بالإيمان، وفي الآية **إخبار** عن موقف المنافقين إزاء الرسول (ﷺ) وإزاء القرآن، حيث اضطروا إلى التظاهر بالإسلام كرها بعد انتشار الإسلام في المدينة وهم يضمرون الحقد والبغضاء، ويتربّصون بالرّسول وسؤالهم ذلك بعد استماعهم للرّسول (ﷺ)، -والاستماع معناه السماع باهتمام -يدلّ على أنّهم كانوا يتظاهرون تظاهرا بأنّهم يلقون سمعهم وبالهم للرّسول (ﷺ) وقلوبهم لاهية غافلة. وهذا من استعمال الفعل في معنى إظهاره لا في معنى حصوله. فكان السّؤال (ماذا قال آنفا) على غير حقيقته ناوين به الاستهزاء، أو التعريض بأنّهم سمعوا كلاما لا يستبين المراد منه لإدخال الشّك في نفوس من يُحسّون منهم الرغبة في حضور مجالس النّبيّ (ﷺ) لقلّة جدوى حضورها.[1]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 26/ 98، 99.

ردّ القرآن على المغالطة: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ جيء باسم الإشارة بعد ذكر صفاتهم تشهيرا بهم، وجيء بالموصول وصلتيه خبرا عن اسم الإشارة لإفادة أنّ هؤلاء المستمعين زمرة من الفريق المتقرّر بين النّاس أنّهم فريق صمّموا على الكفر وقد طبع الله على قلوبهم وأنّهم متّبعون لأهوائهم. ومعنى الطبع على القلب أنّ الله خلق قلوبهم أي عقولهم غير مدركة ومصدّقة للحقائق والهدى، وهذا الطبع متفاوت يزول بعضه عن بعض أهله في مدد متفاوتة ويدوم مع بعض إلى الموت.[1]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطيّة/ سؤال المنافقين وادّعاءهم أنّ ما قاله الرسول غير مفهوم.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

تظاهرهم بإظهار سمعهم وبالهم للرسول بينما قلوبهم لاهية عنه← إذن ← القول الضمر

↓

النّفاق والخداع

- **التظاهر بالمودّة:**

قال تعالى: **﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (141)﴾** [النساء: 141]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 101/26.

في الآية الكريمة يخبر تعالى عمّا يكنّه المنافقون للجماعة المسلمة من الشرّ، وما يتربصون به من دوائر السوء، وينتظرون زوال دولتهم، وهم مع ذلك يتظاهرون بالمودّة لهم حين يكون لهم فتح ونصر من الله فيقولون ﴿**أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ**﴾[1]، وجملة ﴿**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ**﴾ صفة للمنافقين، فاستعمل اللّفظ (تربص) في الآية مجازا للدلالة على الانتظار وترقّب الحوادث، وإن كان للكافرين إدالة على المؤمنين في بعض الأحيان كما وقع يوم أحد قالوا ﴿**أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ يعنون أنّهم آزروهم في الباطن ونصروهم وحموا ظهورهم، وخذلوا عنهم وخلخلوا الصّفوف، والاستفهام تقريري في قوله: ﴿**أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ**﴾، وقوله ﴿**فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ فيه إنذار للمنافقين، بأن فوّض أمر جزاء المنافقين على مكائدهم إليه تعالى.[2]

لقد غالط هؤلاء المنافقون حين أظهروا مودّتهم للمؤمنين، وهم في باطنهم يتمنّون زوال دولتهم وينتظرون هزيمتهم وهم في نفس الوقت يحمون العدوّ ويقدّمون لهم المساعدة للظفر بالمسلمين.

ردّ القرآن على المغالطة: وفي قوله ﴿**وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**﴾ تثبيت للمؤمنين، أنّ مثل هذه الأخبار عن دخائل العدوّ وتألّبهم: من عدوّ مجاهر بكفره. وعدوّ صانع مظهر للأخوّة، يثير مخاوف في نفوس المسلمين وقد يخيّل لهم مهاوي الخيبة في مستقبلهم، فكان من شأن التلطّف بهم أن يعقّب ذلك التحذير بالوعد بحسن العاقبة، فوعدهم الله بأن لا يجعل للكافرين وإن اختلفت مناحي كفرهم، سبيلا على المؤمنين.[3]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 5/ مجلد2، 781.
[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 237/5.
[3] محمد الطاهر بن عاشور، 238/5.

الحجّة المغالطيّة/ تربص المنافقين بالمؤمنين وإظهار مودتهم لهم ومصانعة الطرفين.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

مؤازرتهم للكافرين حين نصرهم وفي نفس الوقت يظهرون المودّة والدعم حين فوز المؤمنين← إذن ← القول الضمر

↓

النفاق والخداع

وفي ختام هذا الفصل نستنتج أنّ المنافقين في مغالطاتهم كانوا يُظهرون إيمانهم وحبّهم ومودّتهم للمؤمنين ويُضمرون كفرهم وكرههم وبغضهم الشّديد لهم، فما حملوه في قلوبهم يُخالف ما أظهروه، فكانوا في كلّ مرّة يتحجّجون عن كفرهم بحجج واهية كاذبة نفاقا منهم وكذبا.

كان أبرز أسلوب اتّبعه القرآن في محاجة المنافقين هو كشف سرّهم، وفضح أمرهم، وبيان أوصافهم، إذ كانوا يعتمدون في كيدهم على التظاهر بشيء وإبطان آخر فأتاهم الله من حيث كانوا يُخفون. بل كان القرآن في بعض الأحيان يعمد إلى تصوير حالتهم النّفسية والانفعالية التي تشي بسرّهم.

الفصـــــل الثّالث:

المغالطـــــات الحجاجيـــــة عند أهـل الكتـــــاب

الفصل الثّالث: المغالطات الحجاجية عند أهل الكتاب (خصائصها التداولية، أنواعها، ردّ القرآن عليها)

أنزل الله تعالى على رسله كتبا سماوية قبل القرآن منها التّوراة والإنجيل، وزبور داود وصحف إبراهيم وغيرها لكنّ مسمّى كتاب الله لا يصدق إلّا على التّوراة والإنجيل والقرآن؛ لأنّ ما أُنزل على إبراهيم وغيره صحف وليست كتبا، فهي عبارة عن مواعظ وأحكام ولم تحتو على شرائع، وأهل الكتاب هم أهل التّوراة – وهم اليهود – وأهل الإنجيل – وهم النّصارى – بفرقهم المختلفة ومن دان دينهم.

– مغالطات اليهود:

زعم اليهود أنّهم لن تمسهم النّار إلّا أيّاما معدودة، حيث قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ(23) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ(24) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(25)**﴾ [آل عمران: 23-25]

عن ابن عباس في سبب نزول الآية: "أنّ النّبيّ دخل بيت المدارس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله فقال رجلان منهم: على أيّ دين أنت؟ فقال: على ملّة إبراهيم. قالا: فإنّه كان يهوديا. قال: فهلمّوا إلى التّوراة، فأبيا عليه، فنزلت هذه الآية."[1] وفي الآية الكريمة (23) من سورة آل عمران فعل كلامي طلبي يتمثّل في **الاستفهام** في قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ**﴾ والمعنى المستلزم منه **التقرير والتعجيب** من حالة اليهود في شدّة ضلالهم، وقد جاء الاستفهام داخلا على نفي الفعل من أجل الإقرار بالفعل ليكون التقرير على نفيه محرّضا للمخاطِب على الاعتراف به، والمعنى يدعون إلى القرآن والنّظر في معانيه ليحكم بينهم فيأبون، ولتدعيم القوّة الإنجازية لهذا الفعل استعان السّياق بالمؤشّرات اللّغوية التّالية: حيث عُرف المتحدّث عنهم بطريق الموصولية دون لقبهم لأنّ في الصلة

[1] ابن الجوزى، زاد المسير في علم التفسير، 184.

ما يزيد التعجيب من حالهم، على ما فيها أيضا من توهين علمهم المزعوم، كما جاءت "**نصيبا**" نكرة من أجل النّوع، لا للتّعظيم، لأنّ المقام مقام تهاون بهم، وقوله: ﴿**ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ**﴾ دلّ حرف العطف (ثمّ) الذي عطف جملة "ثمّ يتولّى فريق منهم" على جملة "**يدعون**" ودلّت (ثمّ) على أنّ تولّيهم مستمر في أزمان كثيرة تبعد عن زمان الدّعوة، وقد كان دخول (ثمّ) للدّلالة على التّراخي الرّتبي، لأنّهم قد يتولّون إثر الدّعوة، لكن أريد **التعجيب** من حالهم كيف يتوّلون بعد أن أوتوا الكتاب ونقلوه، فإذا دعوا إلى كتابهم تولّوا، وجيء بالمضارع في قوله: "**يتوّلون**" للدّلالة على التجدّد. وجملة ﴿**وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ حال مؤكّدة لجملة ﴿**ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ**﴾ إذ التولّي هو **الإعراض**، والحال دالة على تجدّد الإعراض منهم. وفي قوله: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ إخبار من الله تعالى عن اليهود فيما ادّعوه لأنفسهم، من أنّهم لن تمسّهم النّار إلّا أياما معدودة، ثمّ ينجون منها. **الفعل المتضمّن في القول (الفعل الإنجازي)**: هو **إعراض** اليهود وتوّليهم ذلك أنّهم قالوا نحن في أمان من العذاب إلّا أياما قليلة. والأداة المدعمة للفعل الإنجازي الرابط الحجاجي الباء السببية أي أنّهم فعلوا ما فعلوا بسبب زعمهم أنّهم في أمان من العذاب إلّا أياما قليلة فانعدم اكتراثهم باتّباع الحقّ،[1]وقد ذكر الواحدي في سبب نزول هذه الآية، عن ابن عباس، أنّه قال: "قدم رسول الله ص المدينة واليهود تقول: إنّما هذه الدّنيا سبعة آلاف سنة، إنّما يعذّب النّاس في النّار لكلّ ألف سنة من أيام الدّنيا يوم واحد في النّار من أيام الآخرة، وإنّما هي سبعة أيام ثمّ ينقطع العذاب، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم – وقالوا لن تمسّنا النّار إلّا أياما معدودة –"[2] وبناء على ما جاء في هذا التّفسير من حجج تحمل نتيجة واحدة، وهذا بالتّدرج وفق السلم الحجاجي، ونبيّن ذلك وفق النّموذج الآتي:

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 3/209-211.

[2] أبو الحسن علي بن أحمد حمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، ط1 (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، 1991)، 30.

ن: النّار لا تمس اليهود إلّا أياما معدودة.

ح3-العذاب سبعة أيام ثم ينقطع.

ح2- يعذّب النّاس في النّار لكلّ ألف سنة من أيام الدّنيا يوم واحد في النّار.

ح1- الدنيا سبعة آلاف سنة.

يعبّر هذا المسار عن المخطّط الذّهني الّذي اتّبعته اليهود من أجل تضليل المسلمين وخداعهم وتبرير كفرهم. كما نلحظ أنّ ح1/ح2/ح3 حجج متدرّجة في القوّة تخدم النّتيجة (ن)، فالحجّة الأدنى متمثّلة في قولهم أنّ الدّنيا سبعة آلاف سنة، والحجّة الأقوى منها أنّ النّاس يُعذّبون لكلّ ألف سنة من أيام الدّنيا يوم واحد في النّار، والحجّة الأقوى منها أنّ العذاب سبعة أيام ثمّ ينقطع، وهذه الحجج (ح1، ح2، ح3) تخدم النّتيجة (ن) والمتمثّلة في أنّ النّار لا تمس اليهود إلّا أياما معدودة.

نوع المغالطة: ونوع المغالطة في هذه الآية هي **مغالطة السبب الزائف (أخذ ما ليس بعلّة علّة)** حيث حاول اليهود تزييف الحجّة وخداع النّاس بأنّهم لن يُعذّبوا إلّا يوما واحدا للوصول بهم إلى نتيجة خاطئة مفادها تضليل النّاس وتبرير كفرهم وأنّهم في أمان من العذاب.

ردّ القرآن على المغالطة: ردّ الله تعالى على اليهود في الآية 25 من آل عمران حيث أفادت (كيف) هنا معنى الاستفهام التفظيعي، والمعنى المستلزم من الاستفهام هنا التعجيب والتفظيع، أي كيف يكون حالهم أو جزاؤهم إذا جمعناهم ووفيناهم جزاءهم،[1] واعتمد في هذا الردّ على أسلوب **مطالبة الخصم بتصحيح دعواه وإثبات كذبه في مدّعاه،** وهو نوع بديع من أنواع الجدل لأنّ فيها قطعًا للخصم وإفحامًا له، فما ادّعاه اليهود بأنّ النّار لن تمسّهم إلّا بقدر الأيام التي عبدوا فيها العجل، وهذه الدّعوى كانت في أمر غيبيّ لا يثبت إلّا بالوحي، فكأنّ القرآن قال لهم: دعواكم هذه مبنية على أحد

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 211/3.

افتراضين: إمّا أن يكون عندكم عهد من الله وبرهان على ما تقولون فيلزمكم الإدلاء به، وإمّا أن يكون قولكم هذا تقوّلا على الله بلا علم فتكون دعواكم خالية من الدليل، بما أنّه لم يثبت عندكم من الله عهد فقد انتفى هذا الافتراض، وثبت الافتراض الثّاني هو أنّ دعواكم خالية من الدليل فبطلت لخلوها من العلم والبرهان.[1]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطية/ النّار لن تمسّ اليهود إلّا أياما معدودة.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

اليهود تُعذّبُ سبعة أيام ثمّ ينقطع عنهم العذاب ← إذن ← القول المضمر

↓

-الكذب عل الله والافتراء.

-انعدام اكتراثهم بالحقّ.

– قال تعالى: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(247) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(248)**﴾ [البقرة: 247-248]

في الآية الكريمة فعل كلامي مباشر يتمثّل في **إخبار** بني إسرائيل من طرف نبيّهم شمويل أنّ الله بعث لهم طالوت ملكا عليهم، ويأتي بعد الإخبار فعل كلامي إنجازي **استفهام** بالأداة "أنّى" بمعنى

[1] زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص80.

(كيف)، أي كيف يكون ملكا علينا، وهو لم يكن من سبط المملكة لأنّه كان في بني اسرائيل سبطان: سبط نبوّة وسبط مملكة، فكان سبط النبوّة سبط لاوي بن يعقوب، وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ولم يكن طالوت من أحدهما إنّما كان من سبط بنيامين.[1] وقد تضمنّ الاستفهام قوّتين إنجازيتين: قوّة إنجازية صريحة، وهي المعنى الحقيقي للاستفهام، أي كيف يتملّك علينا، وقوّة إنجازية مستلزمة حيث أفاد الاستفهام **التعجب**، أي التعجّب من جعل مثل طالوت ملكا عليهم، كما أفادت معنى **الإنكار** و**الاستبعاد** لأن يكون طالوت ملكا عليهم،[2] وعليه فبنية الفعل الكلامي كالتّالي:

المعنى الحرفي الصريح: الاستفهام فعل كلامي مباشر.

﴿قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا...﴾

المعنى الضمني (المستلزم): التعجب، الإنكار والاستبعاد

وهي أفعال كلامية غير مباشرة.

وفي هذا الكلام خرق لأحد مبادئ الحوار وهو مبدأ الكيف الّذي ينتج عنه بالضرورة استلزام حواري، لأنّ ردّ بني اسرائيل غير صحيح، ولا يملكون ما يثبت صحته، فهم حصروا معايير الملك في أمرين (أن يكون الملك من نسلهم، وغنيّ)، وهذه الأخيرة ليست بمعيار لاختيار الملك، فاعتراضهم باطل لأنّ الله هو صاحب التصرّف وقد اصطفاه عليهم، وزاده بسطة في العلم والجسم، يُؤتي الملك من يشاء، وهو الذي يعلم خبايا الأسرار.

نوع المغالطة: والمغالطة هنا هي **مغالطة الشّخصنة** (حجة تجريح الشخص): ووجه المغالطة هنا هو الطعن في شخص طالوت والتصغير من شأنه فقد رأوا أنّهم أحقّ بالملك منه بالوراثة، فلم يكن من

[1] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، 2 (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، د.ت)، 298/1.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 2/ 488.

نسل الملوك فيهم، وهو مع هذا فقير لا مال له يقوم بالملك فليس له الحق في الملك، فرفضوا طالوت ملكا عليهم بدل مواجهته بالحجّة، فقد ظنّوا أنّ المؤهّلات الحقيقية لاستحقاق الملك إنّما تكون بالنّسب وكثرة المال، لا بالكفاءة العقلية والقوّة البدنية وحسن التدبير.

ردّ القرآن على المغالطة: هذه الآيات من الأمثلة على استعمال القرآن الحوار في الردّ على مغالطات اليهود، وطرفا الحوار في الآية بنو إسرائيل ونبيّهم شمويل، وقد رفض بنو إسرائيل تنصيب طالوت ملكا عليهم، وقد أجابهم نبيّهم بأنّه أرجح منهم لأنّ الله اصطفاه بقوله ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ**﴾ ردّا على قولهم ﴿**وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ**﴾، ثمّ أعلمهم أنّ الصفات المحتاج إليها في سياسة أمر الأمّة ترجع إلى أصالة الرأي وقوّة البدن بقوله ﴿**وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**﴾، ردّا على قولهم ﴿**وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ**﴾، وقدّم النبيّ في كلامه العلم على القوّة لأنّ وقعه أعظم، والمقصود بالعلم هنا علم تدبير الحرب وسياسة الأمّة. ولم يجبهم النبيّ عن قوله ﴿**وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ**﴾، اكتفاء بدلالة اقتصاره على قوله: ﴿**وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**﴾، لأنّه ببسطه بالعلم والنّصر يتوافر له المال. ثمّ تحدّاهم نبيّهم بمعجزة تدلّ على أنّ الله تعالى اختار لهم شمويل ملكا، فجعل لهم آية تدلّ على ذلك: وهي أن يأتيهم التابوت، أي تابوت العهد، وهذا إشارة إلى قصة تيسير الله تعالى إرجاع التابوت إلى بني إسرائيل بدون قتال.[1]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطية/ طالوت ليس من نسلهم وهو رجل فقير لا يحقّ له أن يكون ملكا على بني إسرائيل.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

الاعتراض على اختياره ملكا عليهم ورفضه رفضا تاما. ⟵ إذن ⟵ القول المضمر

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 491/2.

↓

- المكابرة والعناد.

- قال تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40)**﴾ [القصص: 38-40]

هذه قصة محاورة بين فرعون وملئه أراد من خلالها أن يثبّتهم على عقيدته عندما دعاهم موسى للتّوحيد، وفي الآية إخبار الله تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وافترائه في دعواه الإلهية لنفسه القبيحة لعنه الله، ويأتي بعد **الإخبار** فعل انجازي طلبي، يتمثّل في **النّداء** ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ**﴾ فهو يدعو قومه إلى الاعتراف له بالإلهية، فأجابوه إلى ذلك بقلّة عقولهم وسخافة أذهانهم،[1] ولهذا قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي**﴾ المراد بنفي علمه بذلك نفي وجود إله غيره بطريق **الكناية** يريهم أنّه أحاط علمه بكلّ شيء حقٍّ ولو كان ثمّة إله غيره لعلمه، والفعل الإنجازي الّذي ولي النّداء مباشرة **الأمر** في (أوقد، اجعل)، فقد أمر فرعون وزيره هامان ومدبّر رعيته ومشير دولته أن يُوقد له الطين ويجعل له صرحا يبلغ به عنان السّماء حتى يرى إله موسى. فقال ﴿**فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ**﴾ الصرح: القصر المرتفع، كأنّه توّهم أنّه لو كان جسما في السّماء يمكن الترقّي إليه. والاطّلاع: الطلوع القويّ المتكلّف لصعوبته. وقوله ﴿**وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ أستعمل فيه الظنّ بمعنى القطع، فكانت محاولته الوصول إلى السّماء لزيادة تحقيق ظنّه، أو ليقنع قومه بذلك.[2]

الاستراتيجية التلميحية: استعان السّياق القرآني طريقة التلميح لتحقيق الأفعال الكلامية، ومن آليات التلميح اللّغوية التي أستعملت في هذا السّياق الكناية في الكلام، وقد عرّفها السكاكي بأنّها: "ترك

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 282/5.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 121/20، 123.

التصريح بذكر شيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك"،[1] وفي كلام فرعون كناية في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي**﴾ فقد أراد أن يُريهم أنّه أحاط علمه بكلّ شيء حقٍ ولو كان ثمّة إله غيره لعلمه، فلا وجود لإله إلّا هو، وهي استراتيجية غير مباشرة يعبّر بها المتكلّم عن المقصد بما يغاير المعنى الحرفي لينجز بها أكثر ممّا يقوله مستثمرا في ذلك عناصر السّياق، أمّا البنية اللّغوية الظاهرة فهي مجرّد ممر. ومن مسوّغات استعمال الاستراتيجية التلميحية إعلاء المرسل لذاته على حساب الآخرين وإضفاء التفوّق عليها، بذكر معايبهم أو الانتقاص من أقدارهم مثلا،[2] وهو ما فعله فرعون حيث أراد أن يعلي نفسه لمرتبة الإله، وينقص من شأن إله موسى ويثبت لملئه أنّه غير موجود في السّماء وأنّه لا وجود لإله غيره.

وفرعون هنا **صادر على المطلوب** حيث جعل النّتيجة التي يريدها في المقدّمة والنّتيجة هي اثبات عدم وجود ربّ في السّماء وعدم وجود إله غيره فهو لم يبرهن عليها بل افترض صحتها في المقدّمة بإعادة صياغتها في النّتيجة بطريقة توهمنا بأنّنا حصلنا عليها كنتيجة للمقدّمة، حيث أمر ببناء الصرح ليثبت لقومه فيما بعد أنّ نتيجة بحثه أسفرت عن كذب موسى، وأنّه الاله الوحيد.

ردّ القرآن على المغالطة: اتّبع القرآن **منهج الحوار** فكان الخطاب حوارا بين فرعون وملئه أراد من خلاله إثبات ألوهيته تمويها لقومه وتكذيبا لموسى، بافتراض أنّ إله موسى في السّماء إذا سنصعد إليه لنثبت عدم وجوده، هذا التصرّف إن دلّ على شيء فيدلّ على تكبّر فرعون لدرجة طمعه في الوصول إلى الله استكبارا منه في الأرض فكان ردّ القرآن ترهيبا له، وقوله ﴿**بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ حال لازمة لعاملها إذ لا يكون الاستكبار إلّا بغير الحقّ، وقوله ﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ**﴾ تعريض بالمشركين أي ظنّوا أنّهم لا يرجعون إلينا فعجّلنا بهلاكهم، فكان عقاب فرعون وجنوده أن أغرقهم الله في البحر

[1] الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص411.

[2] الشهري، ص372.

وذلك في قوله ﴿**فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ**﴾ الذي تضمّن استعارة مكنية حيث شُبِّه هو وجنوده بحَصيَات أخذهن في كفّه فطرحهنّ في البحر، وفي قوله ﴿**فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**﴾ اعتبار بسوء عاقبتهم لأجل ظلمهم أنفسهم بالكفر وظلمهم الرّسول بالاستكبار عن سماع دعوته. وهذا موضع العبرة من سوق هذه القصة ليعتبر بها المشركون.[1]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطية/ افتراء فرعون على موسى وادّعاؤه الألوهية.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

الصعود إلى السّماء وإثبات أنّ إله موسى غير موجود ⟵ إذن ⟵ القول المضمر

↓

– تضليل النّاس وعزم فرعون على تثبيت عقيدته وتكذيب موسى.

– **قال تعالى:** ﴿**أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (108)**﴾ [البقرة: 108]

الخطاب موّجه للمسلمين بقرينة قوله ﴿**رَسُولَكُمْ**﴾، وعن ابن عباس" أنّ هذه الآية نزلت في عبد الله بن أبي أميّة ورهط من قريش، قالوا: يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا، ووسّع لنا أرض مكّة، وفجّر الأنهار خلالها تفجيرا نؤمن بك، فأنزل تعالى هذه الآية."[2] و(أم) حرف عطف مختص بالاستفهام ويسمّيها النّحاة منقطعة والاستفهام ملازم لما بعدها لأنّ **الاستفهامين** اللّذين قبلها **للتقرير** في قوله: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ والمراد

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 125/20.

[2] الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص34.

منه التحذير من الغلط، والاستفهام الذي بعدهما هنا **إنكار وتحذير** أيضا، والمحذّر منه في الجميع مشترك في كونه من أحوال اليهود المذمومة. وقوله تعالى "**تريدون**" يُؤذن بأنّ السّؤال لم يقع ولكنّه ربما جاش في نفوس بعضهم، أو ربّما أثارته في نفوسهم شبهة اليهود في إنكارهم النّسخ وإلقاءهم شبهة البداء ممّا قد يبعث بعض المسلمين على سؤال النبيّ كما سئل موسى كثيرا من الأسئلة التي تفضي بهم إلى الكفر كما سأل بنو إسرائيل مثل: **قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** [القصص: 38-40] فيكون التّحذير من تسلسل الأسئلة المفضي إلى مثل ذلك.[1]

بنية الفعل الكلامي: اقتضى المقام في هذا السّياق التّعبير بأكثر من فعل كلامي كالإنكار، والتّحذير، والتوصية، والنّهي من أجل تحذير المسلمين ألّا يتبادر إلى أذهانهم أسئلة مثل التي بدرت من بني إسرائيل فجعلتهم يقعون في الضلال. فالمعنى الحرفي الصريح للآية هو **الاستفهام**، وهو الفعل الكلامي المباشر، أمّا الفعل المتضمّن في القول هو **التّحذير**، لأنّ الآية مسوقة مساق الإنكار والتحذير، والمقصود منها **توصية** المسلمين بالثّقة بالله ورسوله، و**التحذير** من تطرّق الشّك في صلاحية الأحكام المنسوخة قبل نسخها.[2] و**التّحذير** من الأفعال الكلامية التوجيهية بتعبير (سيرل)، وقد استوفى الفعل الكلامي شروط الملاءمة، فالمطلوب فعل في المستقبل ينجزه المخاطبون وهم المؤمنون (احذروا أن تسألوا رسولكم)، والمخاطبون قادرون على إنجاز الفعل وذلك بالثّقة في رسولهم، المتكلّم الله عزّ وجلّ على يقين من أنّ المخاطبين قادرون على إنجاز الفعل.

نوع المغالطة: ووجه المغالطة هنا هو **مغالطة المآل** فهم لن يؤمنوا بما جاءهم به محمّد -ﷺ- إلّا إذا رأوا ما اقترحوه من معجزات، فإيمانهم مرتبط بهذه النّتيجة.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 665/1، 666.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، 666/1، 667.

ردّ القرآن على المغالطة: سلك القرآن جملة من الأساليب منها ما تتوافر فيه عناصر الإقناع الفكري والعقلي، ومنها ما تتوافر فيه عناصر التّرغيب المتمثّل في التّشويق والتعزيز الإيجابي، ومنها ما يشتمل على التّرهيب الّذي يتمثّل في التّحذير أو التنفير والعقاب،[1] وقد ردّ الله تعالى على اليهود في هذه الآية بأسلوب **التّرهيب** في قوله ﴿**وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ والترهيب في الآية فيه تحذير من الكفر أو ما يفضي إلى الكفر لأنّه يُنافي حرمة الرّسول والثّقة به وبحكم الله تعالى، أي لا تتبدّلوا بآدابكم تقلّد عوائد أهل الكفر في سؤالهم.[2]

– قال تعالى: ﴿**وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73)**﴾ [آل عمران: 72-73]

في الآية الكريمة فعل كلامي مباشر تمثّل في **الإخبار** عن طائفة من أهل الكتاب وهم اليهود ومنهم كعب بن الأشرف وملك بن الصيف، وغيرهما من يهود خيبر الّذين حاولوا الإضلال بالمخادعة بعد أن أعيتهم المجاهرة بالمكابرة، فتوهّموا أنّهم قدوة للنّاس، ويلي **الإخبار** فعل إنجازي طلبي تمثّل في **الأمر** (آمنوا، اكفروا) فقد أمر هؤلاء أتباعهم أن يؤمنوا بمحمّد أوّل النّهار مظهرين أنّهم صدّقوه ثمّ يكفروا آخر النّهار ليظهر أنّهم كفروا به عن بصيرة وتجربة فيقول المسلمون ما صرف هؤلاء عنّا إلّا ما انكشف لهم من حقيقة أمر هذا الدّين، وأنّه ليس الدّين المبشّر به في الكتب السّالفة ففعلوا ذلك، والمحتوى القضوي فيها دائما فعل المتكلّم شيئا في المستقبل، وفي هذه الآية خرق لأحد مبادئ الحوار وهو مبدأ الكيف لأنّ هؤلاء اليهود يقولون كلاما يعلمون أنّه غير صحيح ولكنّ هدفهم تضليل المسلمين وخداعهم. وقوله من كلام الطائفة من أهل الكتاب: ﴿**وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ**﴾ احتراس حتى لا يظنّ أتباعهم

1 الحسين جرنو محمود جلو، أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، 1994، ص158.

2 محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 667/1.

أنّه إيمان حق، وجاء النّهي للتعليل بمعنى لا تؤمنوا بمحمد لأنّه لم يتبّع دينكم .[1] وقال صاحب تفسير القرآن العظيم "أظنّ هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من النّاس أمر دينهم، وهو أنّهم اشْتَوَرُوا بينهم أن يظهروا الإيمان أوّل النّهار، ويصلّوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النّهار ارتدّوا إلى دينهم ليقول الجهلة من النّاس، إنّا ردّهم إلى دينهم اطّلاعهم على نقيضه وعيب في دين المسلمين، ولهذا قالوا لعلّهم يرجعون"[2] وعن ابن عباس، "قالت اليهود: إذا لقيتم أصحاب محمد أوّل النّهار، فآمنوا، وإذا كان آخره، فصلّوا صلاتكم لعلّهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب، وهم أعلم منّا، فينقلبون عن دينهم."[3]

ويمكن استعراض الحجج التي قدّمها اليهود على النّحو التّالي:

ن: حمل النّاس على الكفر لأنّ هناك عيب في دين المسلمين.

ح2-يرتدون إلى دينهم آخر النهار.

ح1_إظهار إيمانهم أوّل النّهار.

يعبّر هذا المسار عن المخطّط الذهني الّذي اتّبعته اليهود من أجل تضليل المسلمين وخداعهم، وحتّى يثبتوا أنّ في دين محمد عيب، فيحملون النّاس بذلك على الكفر. فكانت حجتهم الأولى أن يُظهروا الإيمان أوّل النّهار، وحجّتهم الثّانية أن يرتدوا إلى دينهم آخره، فالحجة ح1، ح2 تخدم النّتيجة (ن) والمتمثّلة في حمل النّاس على الكفر لأنّ هناك عيب في دين المسلمين.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 280/3.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 56/2.

[3] ابن الجوزى، زاد المسير في علم التفسير، ص202.

ردّ القرآن على المغالطة: قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ**﴾ في الآية فعل كلامي طلبي **الأمر** حيث أمر الله رسوله أن يقوله لهم كناية عن استبعاد حصول اهتدائهم، وأنّ الله لم يهدهم فهدى الله لا يحصل إذا لم يقدّره الله والقصر في الآية حقيقيّ لأنّ ما لم يقدّره الله فهو صورة الهدى وليس بهدى في هذا الجواب إظهار الاستغناء عن متابعتهم.[1]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية/ التظاهر بالإسلام وإبطان الكفر.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

أداء صلاة الصبح مع المسلمين والرجوع إلى دينهم آخر النّهار⟵ إذن⟵ القول المضمر

↓

– الخديعة وإظهار الاسلام نفاقا وحمل النّاس على الكفر.

– قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (88)**﴾ [البقرة: 88]

يُخبر الله تعالى في هذه الآية عن مكابرة وعناد اليهود واستمرارهم في تكذيب الدّعوة المحمّدية الّذين قالوا: ﴿**قُلُوبُنَا غُلْفٌ**﴾ وأرادوا أنّ قلوبهم مغلّفة بأغلفة واقية ساترة من كلّ ما يكره لها، ولا تعي ما يقوله النبيّ (ﷺ) ولو كان حقا لوعته، فهي محفوظة عن فهم الضّلالات، وقولهم معطوف على "**استكبرتم**" فتكون تفسيرا للاستكبار، فاستخدم السّياق الفعل الكلامي المباشر وهو **الإخبار** الذي يراد به فعل إنجازي متضمّن في القول هو **التهكّم** وذلك لقطع طمع محمّد صلّى الله عليه وسلّم في إسلامهم، وهذا الموقف يقتضي مجيء فعل كلامي متضمّن في القول وهو **التّكذيب** الوارد في قوله تعالى:

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 281/3.

﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾، وفي جملة ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة، وإبعاد لهم عن مقام الحضور، على أنّه يحتمل أنّ قولهم قلوبنا غلف لم يصرّحوا به علنا، والقلوب مستعملة في معنى الأذهان على طريقة كلام العرب في إطلاق القلب على العقل.[1]

نوع المغالطة: ونوع المغالطة هنا هي **مغالطة السبب الزائف** أو أخذ ما ليس بعلّة علّة، فعوض التدليل على كلامهم بحجج دامغة يختلقون أسبابًا زائفة وواهية. فاعتذروا عن كفرهم بأنّ قلوبهم لا تعي ما جاء به محمد عنادا ومكابرة، حتى يقطع محمدا (ﷺ) الأمل من إسلامهم.

ردّ القرآن على المغالطة: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ ردّ لما قالوه، وتكذيب لهم فيما زعموه وفي قولهم ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾، قليلا صفة لمحذوف دلّ عليه الفعل والتقدير فإيمانا قليلا، ولتدعيم القوة الإنجازية للفعل استعملت الفاء السببية اللعن لعدم الإيمان، والأداة (ما) الزائدة لتأكيد معنى القلّة.[2]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية/ تكذيب دعوة محمّد.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

أنّ قلوبهم مغلّفة لا تنفذ إليها دعوة جديدة، ولا تسمع إلى داعية جديد← إذن← القول المضمر

↓

- تيئيسهم لمحمّد- صلّى الله عليه وسلّم- من دعوتهم لهذا الدّين.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 599/1.

[2] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 319/1.

– **قال تعالى:** ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (107)**﴾ [البقرة: 106-107]

الخطاب موّجه إلى المسلمين وأراد الله نقض شبهة اليهود بمنع النسخ، والمقصد الأصلي في هذا هو تعليم المسلمين أصلا من أصول الشرائع وهو: النّسخ*، واليهود يدّعون أنّ شريعتهم لا تنسخ، وأنّ محمّد وصف التوراة بأنّها حقّ وأنّه جاء مصدّقا لها، فكيف يكون شرعه مبطلا للتوراة، ومن ثمّة زعموا أنّ دوام التوراة مانع من الإيمان بالإسلام. وقد اختلف المفسرون في مناسبة نزول الآية، سواء كانت المناسبة ما قاله اليهود أترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر، ثمّ ينهاهم عنه، أو في مناسبة تغيير القبلة حين قالت اليهود إنّ محمدا يأمر أصحابه بشيء وينهاهم عنه فما كان هذا القرآن إلّا من جهته ولذلك يخالف بعضه بعضا.[1]

بنية الفعل الكلامي: في الآية فعل كلامي مباشر هو **الإخبار**، الّذي يتضمّن الردّ على اليهود ونقض السّفسطة التي راموا ترويجها على النّاس بمنع النّسخ. وفي قوله: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ **استفهام** المعنى المستلزم منه **التقرير**، وقيل للإنكار، والمراد بيان قدرته تعالى على النّسخ وعلى الإتيان بما هو خير أو مماثل،[2] والمعنى المستلزم من الاستفهام الثّاني في قوله تعالى: "**ألم تعلم**" **الإعراض** عن مخاطبة اليهود وتوجيه للخطاب للمسلمين، لأنّ تعليم المسلمين أصل النّسخ هو المقصد الأصلي.[3]

*النّسخ: إزالة الشّيء بشيء آخر، فهو عبارة عن إزالة صورة أو ذات وإثبات غيرها عوضها، نقول نسخت الشّمس الظّل لأنّ شعاعها أزال الظّل وخلفه في موضعه، وهو المراد من النّسخ في هذه الآية: الإزالة وإثبات العوض بدليل قوله: "نأت بخير منها أو مثلها"، محمد الطاهر بن عاشور 656/1.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 655/1.

[2] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 1/ 354.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 655/1.

فقد غالط اليهود في ادّعاءهم أنّ شريعتهم (التّوراة) لا تنسخ، فأنكروا بذلك قدرة الله تعالى القادر الجبّار، فهو على كلّ شيء قدير، يفعل ما يشاء، وينسخ ما يشاء وينسي نبيّه ما يشاء.

الردّ على المغالطة: ردّ الله تعالى على مغالطة اليهود **بأسلوب الاستفهام التقريري** وهو باب من أبواب علم الجدل، في قوله ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**﴾ وهو أحد طرق الاستدلال القرآني بالبرهان في دحض دعوى الخصوم، وهو الاستفهام عن المقدّمات البيّنة البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجحدها وهي تدلّ على المطلوب لتقرير المخاطب بالحقّ ولاعترافه بإنكار الباطل.[1]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطيّة/ طعن اليهود في النّسخ وادعاؤهم أنّ التوراة لا تنسخ

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

قولهم أنّ محمد يأمر بأمر أصحابه ثمّ ينهى عنه ويأمر بخلافه← إذن← القول المضمر

↓

- الافتراء والكذب.

- قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ ..** ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: 64]

هذه الآية جاءت عطفا على جملة ﴿**وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا**﴾[المائدة: 61]، وتحمل هذه الآية فعلا كلاميا مباشرا يتمثّل في **الإخبار** عن اليهود بأنّهم وصفوا الله عزّ وجلّ وتعالى عن قولهم علّوا كبيرا، بأنّه بخيل، كما وصفوه بأنّه فقير وهم أغنياء، وعبّروا عن البخل بقولهم ﴿**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ وهي **استعارة**

[1] زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص76.

قويّة لأشدّ الشحّ والبخل لأنّ مغلول اليد لا يستطيع بسطها في أقلّ الأزمان، وجملة ﴿**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ**﴾ معترضة بين جملة ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ**﴾ وبين جملة ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ وهي إنشاء سبّ لهما،[1] والمعنى المستلزم من الإخبار هو **التهكم** بالمسلمين. عن ابن عباس أنّ هذه الآية نزلت في فنحاص اليهودي وأصحابه، قالوا: يد الله مغلولة، وفي سبب قولهم هذا ثلاثة أقوال: "**أحدها**: أنّ الله تعالى قد بسط لهم الرزق، فلما عصوا الله تعالى في أمر محمد (ﷺ) وكفروا به كفّ عنهم بعض ما كان بسط لهم، فقالوا يد الله مغلولة. و**الثّاني**: أنّ الله تعالى استقرض منهم كما استقرض من هذه الأمّة، فقالوا: إنّ الله بخيل، ويده مغلولة فهو يستقرضنا، و**الثّالث**: أنّ النّصارى لما أعانوا بختنصر المجوسي على تخريب بيت المقدس، قالت اليهود: لو كان الله صحيحا لمنعنا منه، فيده مغلولة، والمغلولة: الممسكة المنقبضة. وعن ماذا عَنوا أنّها ممسكة، فيه قولان: أحدهما العطاء، والثّاني: ممسكة عن عذابنا."[2]

نوع المغالطة: ووجه المغالطة هنا هي **مغالطة الشّخصنة**، فاليهود عليهم لعائن الله وصفوا الله عزّ وجلّ بصفات تعالى عنها أنّ يده مغلولة وأنّه فقير وهم الأغنياء، وهذا مجرّد ادّعاء كاذب منهم قالوه افتراءً وكذبًا، فهو واسع العطاء يؤتي ملكه من يشاء.

ردّ القرآن على المغالطة: في الآية الكريمة ردّ من الله تعالى على اليهود باستعمال **أسلوب إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها** وهو مسلك من مسالك الإفحام والإلزام، فقابل الله قولهم بالدّعاء عليهم وذلك ذم على طريقة العرب، وجملة ﴿**وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا**﴾ وقوله ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ نقض لكلامهم وإثبات سعة فضله تعالى.[3]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 248/6، 249.

[2] ابن الجوزى، زاد المسير في علم التفسير، ص395.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 249/6، 250.

الحجّة المغالطيّة/ قول اليهود بأنّ يد الله مغلولة.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

وصف الله تعالى بالبخل، وبأنّه فقير وهم الأغنياء ⟵ إذن⟵ القول المضمر

↓

- التهكّم بالمسلمين والاستخفاف بالإسلام.

قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)﴾ [البقرة: 245]

في الآية فعل كلامي طلبي، يتمثّل في **الاستفهام** في قوله: **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾** والمعنى المستلزم منه **التحضيض** و**التّهييج** على الاتّصاف بالخير، وكأنّ المستفهم لا يدري من هو أهل هذا الخير والجدير به. غير أنّ اليهود أوّلوا قوله تعالى: **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾** الذي هو هنا استفهام يحمل معنى قضويا مباشرا، وهو المعنى الحقيقي للسّؤال أي من الّذي ينفق في سبيل الله، أنّ الله فقير ويطلب منهم القرض،[1] ولتدعيم القوّة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي استعمل السياق القرآني للتعبير عن معنى الإنفاق اللّفظ (يقرض) والقرض يعني السلف: أي إسلاف المال أو غيره بنيّة إرجاعه، هذا المعنى الحقيقي، وقد يستخدم لفظ القرض مجازا كما استعمل في هذه الآية فقد أريد به البذل الّذي يُرجى الجزاء عليه، فالله سبحانه وتعالى يأمر عباده بأن ينفقوا أموالهم في الأعمال الصّالحة الّتي من أعظمها الجهاد في سبيله فيضاعفه الله لهم أضعافا كثيرة من الثواب وحسن الجزاء، فيشمل بهذا المعنى بذل النّفس والجسم رجاء الثّواب. كما استعمل الأداة (ذا) بعد اسم الاستفهام (من) للإشارة المجازية وذلك بأن يتصوّر المتكلّم

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 479/2.

في ذهنه شخصا موهوما مجهولا صدر عنه فعل فهو يسأل عن تعيينه (من ذا)؟ وإنّما يكون ذلك للاهتمام بالفعل الواقع وتطلب معرفة فاعله.[1]

فاليهود غالطوا عندما استعملوا لفظ القرض في غير معناه المقصود في الآية الذي أستعمل مجازا في البذل الذي يرجى الجزاء عليه تأكيدا في تحقيق حصول الثواب، لكنّ اليهود راحوا يؤوّلونه بأنّ الله يسأل عباده القرض، أي أنّ الله فقير ويطلب القرض من عباده أي إسلاف المال، وأنّهم هم الأغنياء.

ردّ القرآن على المغالطة: في الآية فعل كلامي غير مباشرة دلّ عليها السياق **الوعد** في قوله: ﴿**وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ**﴾ وفيه احتمال أنّ المراد يقبض نفوسا عن الخير، ويبسط نفوسا للخير، وفيه تعريض بالوعد بالتوسعة على المنفق في سبيل الله، والتقتير على البخيل. وفي قوله أيضا: ﴿**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ فعل كلامي غير مباشر، وهو خبر مستعمل في **التنبيه والتذكير** بأنّ ما أعدّ لهم في الآخرة من الجزاء على الإنفاق في سبيل الله أعظم مما وعدوا به من الخير في الدنيا، كما فيها **تعريض** بأنّ الممسك عن الإنفاق في سبيل الله قد حرم خيرا كثيرا.[2]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجة المغالطية/ ادّعاء اليهود أنّ الله يطلب القرض من عباده.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

الله فقير وهم الأغنياء ولا حاجة لهم عنده⟵ إذن⟵ القول المضمر

↓

الكفر، المكابرة والإعراض.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 479/2، 482.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، 483/2.

– إنكار اليهود تغيير قبلة المسلمين من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، وزعمهم أنّ البرّ إنّما يكون في استقبال المسجد الأقصى فقط دون غيره، حيث قال الله تعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ(177)**﴾ [البقرة: 177]

في الآية الكريمة إخبار عن تحويل اليهود للقبلة وحصرهم البرّ في استقبال جهة معيّنة، فإنّ اليهود تصلّي –قِبل المغرب– والنّصارى –قِبل المشرق– والآية نزلت ردّا عليهم حيث أكثروا الخوض في أمر القبلة وادّعت كلّ طائفة حصر البر على قبلتها ردّا على الآخر، فالقوّة الإنجازية الصريحة في قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ**﴾ نفي البر عن استقبال الجهات. لأنّ البرّ لا يحصل باستقبال المشرق والمغرب بل بالأعمال المذكورة في الآية، كما أفادت الآية معنى **التعريض** بأهل الكتاب في تهويلهم على المسلمين إبطال القبلة، **فردّ الله** عليهم جميعا بنفي جنس (البرّ) عن قبلتهم لأنّها منسوخة، وتعريفه للجنس لإفادة عموم النّفي أنّ البر في سائر الأعمال والعبادات المذكورة في هذه الآية. وأنّه لا ينبغي الاشتغال بأمر القبلة، وهي الشّعيرة التي أسقطها الله على النّاس في حال العجز والنسيان، وصلوات النوافل على الدابة في السفر. كما أفادت أيضا معنى **الاعتراض** الذي أطنب وأطيل فيه بين قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ**﴾ المتصل بقوله: ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا**﴾ [البقرة: 142] وهو ختام للمحاجة في شأن تحويل القبلة.[1]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 128/2.

نوع المغالطة هنا **مغالطة التعميم الفاسد**، فقد غالط اليهود حين زعموا أنّ البرّ يكون في استقبال جهة معيّنة، أو أن يولي النّاس وجوههم قبل المشرق أو المغرب، وزعم كلّ فريق منهم: أنّ البرّ في ذلك بينما معناه أوسع من ذلك. "فهو كلّ عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنّة."[1]

الردّ على المغالطة: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾: أولئك الذين صدقوا في إيمانهم أو طلب البرّ و"أولئك هم المتقون" أتى بخبر –أولئك– الأولى موصولا بفعل ماض إيذانا بتحقق اتّصافهم به وإن ذلك وقع منهم واستقر، وغاير في خبر الثانية ليدل على أنّ ذلك ليس بمتجدّد بل صار كالسجيّة لهم.[2]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطية/تحويل القبلة وحصر البرّ في استقبالها.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

أنّ البرّ هو استقبال قبلتي اليهود والنّصارى (المشرق والمغرب) ⟵ إذن ⟵ القول المضمر

↓

تهويل أهل الكتاب على المسلمين إبطال القبلة الّتي كانوا يصلّون إليها.

– زعم اليهود أنّ غيرهم ليس على شيء من الدّين الحقّ، كما زعم النّصارى أنّ غيرهم ليس على شيء من الدّين الحق، حيث قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ(113)**﴾ [البقرة: 113]

في الآية بيان لجانب من أحوال الأمم السابقة وهم أهل الكتاب وعناد كل من الطائفتين وتناقضهم

[1] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل،185/1 .

[2] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 48/2.

وتباغضهم وتعاديهم. جاء في تفسير البغوي "أنّها نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران، وذلك أنّ وفد نجران لمّا قدموا على النبيّ (ﷺ) أتاهم أحبار اليهود: فتناظروا حتّى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود، ما أنتم على شيء من الدّين، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النّصارى: ما أنتم على شيء من الدّين، وكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله تعالى هذه الآية."[1]

وتصنّف هذه الآية إلى قسم الإخباريات بتعبير (سيرل)، وتقوم هذه الأفعال بنقل أو وصف الواقع وصفا أو نقلا أمينا، فإذا تحققت الأمانة في الوصف أو النقل فقد أنجزت الأفعال إنجازا تاما أو ناجحا[2]. وما يضمن لفعل الإخبار أمانة الوصف والنّقل أنّ المخبر به هو الله عزّ وجلّ، وهذا لا يترك مجالا للشّك على مصداقية هذا الخبر ونزاهته، وقد تضمّن الخبر أفعالا كلامية غير مباشرة اقتضاها المقام منها: **التّوبيخ** وهو فعل كلامي متضمّن في القول، يتمثّل في قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ**﴾ أي قالوا ما قالوه وهم عالمون أنّ قولهم يخالف ما في كتبهم، وفي ذلك توبيخ لهم، **التعجيب** في قوله: ﴿**وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ**﴾ جملة حالية جيء بها لمزيد من التعجب من شأنهم أن يقولوا ذلك وكلّ فريق منهم يتلو الكتاب. ووجه التعجيب هي أنّ التّوراة أصل للنّصرانية والإنجيل ناطق بحقيّتها، والتّوراة ناطقة بمجيء رسل بعد موسى. كما أفادت **التهكّم**: لأنّهم يعلمون شريعة التوراة والإنجيل، وهم مع علمهم بشريعتهم نطقوا خلاف ذلك ولكنّهم تجاحدوا فيما بينهم عنادا وكفرا[3]و**الإنحاء (الذم)** في قوله ﴿**كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ**﴾ وفيها ذم لمشركي العرب فيما قابلوا به الدّعوة الإسلامية وهم لا يعلمون لأنّهم أميّون بأن قالوا قولا يشبه قول اليهود والنّصارى، لهذا يكون لفظ (مثل قولهم) تأكيدا لما أفاده كاف التشبيه التي أفادت التشبيه في الادّعاء، وهو تأكيد يشير إلى أنّ المشابهة بين قول الذين لا يعلمون وبين قول اليهود والنّصارى مشابهة تامّة.[4]

فقد غالط كلّ من اليهود والنّصارى حين زعمت كل طائفة أنّ الأخرى ليست على شيء من الدّين الحقّ، في حين أنّهما يعلمان أنّ كتبهم ناطقة خلاف ما زعموه، إنّما كان تجاحدهم عنادا ومكابرة.

[1] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل، 1/ 137، 138.

[2] نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص103.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، 668/1، 276.

[4] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل، 13/1.

ردّ القرآن على المغالطة: استعمل القرآن الكريم منهج الترهيب والترغيب في الردّ على مغالطات المغالطين، وقد توافر هذا المنهج في القرآن من خلال بعض الآيات التي رغّب فيها الله تعالى عباده في الإيمان والطاعة، وأخرى نفرهم فيها من الإعراض والمخالفة، وفي هذه الآية استعمل القرآن الوعيد بالعقاب، بأنّه تعالى سيحكم بين اليهود والنّصارى يوم القيامة ليظهر ما أكنته ضمائرهم من الهوى والحسد ﴿**فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾[1].

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي التّالي:

الحجّة المغالطية/ نطق الطائفتان خلاف ما جاء في شريعة كلّ منهما.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

أنّ كلّا منهما ليست على شيء من الدّين الحقّ. ⟵ إذن ⟵ القول المضمر

↓

العناد والعداوة والتباغض.

– ادّعاء اليهود والنّصارى أنّه لن يدخل الجنّة إلّا من كان على ملّتها، **قال تعالى:** ﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111)**﴾ [البقرة: 111]

الآية معطوفة على ما قبلها والضمير في **(قالوا)** لأهل الكتاب من اليهود والنّصارى وفيها **إخبار** عن **ادّعاءات** اليهود والنّصارى، فجُمع بين القولين على طريقة الإيجاز بجمع ما اشتركا فيه فكلاهما يدّعي أنّه يدخل الجنّة دون الآخر، وهذا الادّعاء باطل لأنّه يفتقر إلى دليل، ثمّ جاء بعده تفريق ما اختصّ به كلّ فريق وهو قوله: "هودا أو نصارى" فجاءت (أو) لتقسيم القولين ليرجع السامع كلّ قول

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 687/1.

إلى قائله، إنّما هذه الأقوال لكلّ من الفريقين هي مجرّد أمنية فجاء **الاعتراض** على قول اليهود والنّصارى بجملة اعتراضية في قوله تعالى: **"تلك أمانيهم"**.[1]

و**نوع المغالطة** هنا **مغالطة الأمنية:** وفيها يتمّ رفض أو إقرار بعض الخيارات بناء على أمنياتنا بدلا من تبريرها منطقيا، وتصبح مغالطة عندما يتعمّد المغالط استغلالها للمحاجة[2]، فالجزاء ليس تابعا لأماني النّاس ومشتهاهم، بل هو أمر مقدّر من الله تعالى تقديرا بحسب الأعمال.

ردّ القرآن على المغالطة: استعمل الله تعالى في ردّه على هذه المغالطة أسلوب **بيان أنّ دعوى المغالط خالية من الحجّة، وأنّ البرهان قام على نقيض ذلك،** وهي أحد طرق الاستدلال القرآني الجدلية ففي الآية ردّ على كلّ من اليهود والنّصارى الذين يزعمون أنّه لا يمكن لأحد أن يدخل الجنّة إلّا من كان على دين هاتين الطائفتين، فبيّنت هذه الآية أنّ دعوى اليهود والنّصارى لا برهان عليها، فطالبهم القرآن الإتيان بالبرهان على ما ادّعوا ولا برهان لهم على ذلك إلّا أنّها مجرّد أمنيات. ولإبطال دعوى اليهود والنّصارى جاء **الأمر** في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ وجيء بـ(إن) المفيدة للشّك في صدقهم لأنّ كلّ اعتقاد لا يقوم على دليل فهو اعتقاد كاذب.[3]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطيّة/ادّعاء اليهود والنّصارى أنّه لن يدخل الجنّة إلا من كان على دينهم.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 672/1، 673.

[2] أحمد دعدوش، المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام، ص32.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 674/1.

أنّ الذّين آمنوا بموسى وعيسى قبل بعثة محمد – عليه وعليهم السّلام – وعملوا الصّالحات

يدخلون الجنة ← إذن← القول المضمر

↓

إنكار آية القرآن، والتّمويه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104)﴾ [البقرة: 104]

الخطاب لليهود الذين استهانوا بالرّسول (ص)، فأراد الله أن يشرح قبائح أفعالهم، وقد استخدموا في ذلك اللّفظ (راعنا)، وذلك أنّ المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله، من المراعاة أي أَرْعِنَا سمعك، أي فَرّغ سمعك لكلامنا، يقال: أرعى إلى الشّيء، ورعاه، وراعاه، أي أصغى إليه واستمعه، وكانت هذه اللّفظة (شيئا) قبيحا بلغة اليهود، وقيل: كان معناها عندهم اسمع لا سمعت، وقيل: هي من الرعونة إذا أرادوا أن يحمّقوا إنسانا قالوا له: راعنا بمعنى يا أحمق.[1]

بنية الفعل الكلامي: تتضمّن أفعالا كلامية مباشرة هي: **النّداء** الموجّه إلى المؤمنين والفعل الإنجازي الذي ولي النّداء مباشرة **النّهي** في **﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾**، فالله سبحانه وتعالى نهي المسلمين عن مخاطبة النبيّ (ص) بهاته الكلمة حتّى لا يتخذها اليهود ذريعة للإساءة إلى النّبيّ (ﷺ)، وحتّى يعلموا أيضا أنّ الله أطلع نبيّه على سرّهم،[2] والمعنى المستلزم منه التأديب أو التهذيب والصدّ عن أذية الرّسول (ﷺ). ثمّ يلي النّهي فعل إنجازي طلبي هو **الأمر** في: (قولوا – اسمعوا) وهو أمر بحسن الاستماع، ففيه تنبيه على التقصير في السّماع، حتّى ارتكبوا ما تسبب للمحذور،[3] و**الفعل المتضمّن في القول (الفعل الإنجازي)** مفاده السّخرية والاستهزاء بالرّسول (ﷺ).

[1] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل، 132/1.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 650/1.

[3] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 483/1.

شروط الملاءمة: في هذه الآية شرط المحتوى القضويّ بفعل مطلوب في المستقبل مطلوب من المخاطبين وهم اليهود بأن يكفّوا عن الإساءة للرسول (ﷺ) والتأدّب معه، أمّا شرطها التمهيدي، فالمخاطبون (اليهود) قادرون على إنجاز الفعل بمجرّد كفّهم عن مناداة الرّسول بهذا اللّفظ الذي فيه سبّ له، والمتكلّم على يقين من قدرة المخاطب على إنجاز الفعل، وممّا يؤكّد شرط الإخلاص الفعل الطلبي "**لا تقولوا**"، فالمتكلّم وهو الله تعالى يريد حقا من المخاطبين أن ينجزوا هذا الفعل، لأنّ عقوبة الإساءة للرّسول شديدة، وشرطها الأساسي قد تحقّق لأنّ المتكلّم يريد التأثير في المخاطب لينجز الفعل.

و**نوع المغالطة** التي ارتكبها اليهود هنا **مغالطة السّخرية**، فهم كانوا يخاطبون الرسول (ﷺ) بهذا اللّفظ (راعنا) للسخرية والاستهزاء منه لأنّه كان يعني عندهم شيئا قبيحا.

ردّ القرآن على المغالطة: الترهيب في قوله: ﴿**وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ وأريد بالسماع في قوله "واسمعوا" سماع خاص وهو الوعي وقيل أراد من اسمعوا امتثلوا لأوامر الرسول. وقوله ﴿**وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ المراد بالكافرين اليهود خاصّة أي تأدّبوا أنتم مع الرسول واستعمل السّياق القرآني التعبير بلفظ (الكافرين) دون اليهود زيادة في ذمّهم.[1]

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (183)**﴾ [آل عمران: 183]

في الآية الكريمة **إخبار** عن عناد اليهود، وكذبهم على الله في أنّه عهد إليهم على ألسنة أنبيائهم أن لا يؤمنوا لرسول الله (ﷺ) حتّى يأتيهم بقربان، أي حتّى يذبح قربانا فتأكله نار تنزل من السّماء، فتلك علامة القبول، وقد كان هذا حصل في زمن موسى عليه السلام حين ذبح أوّل قربان على النّحو

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 652/1.

الّذي شرعه الله لبني إسرائيل فخرجت نار من عند الربّ فأحرقته، إلّا أنّه معجزة لا تطرّد لسائر الأنبياء كما زعمه اليهود،[1] فما كان معجزة لرسول لا يستلزم أن يكون معجزة لكلّ رسول.

إنّ هذا افتراء على الله، لأن أكل النّار القربان لم يوجب الإيمان للرّسول الآتي به إلا لكونه آية ومعجزة فهو إذا وسائر الآيات سواء وقد ألزمهم الله أن أنبياءهم جاؤوا بالبيّنات الكثيرة التي أوجبت عليهم التصديق وجاؤوهم أيضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم إن كانوا صادقين.[2]

و**نوع المغالطة** هنا هي **مغالطة المآل**، فاليهود امتنعوا من اتّباع الإسلام لأجل انتظار هذه المعجزة، التي هي قربان من السّماء تأكله النّار، وهذا الطلب طلبوه على سبيل التعنّت والعناد والمكابرة، فقد جاءهم الرسل بالذي قالوا بأن آتوهم بقربان تأكله النّار في زمن موسى، وبمعجزات أخرى دالة على صدقهم فكذّبوهم وقتلوهم.

الردّ على المغالطة: ردّ القرآن على اليهود في هذه الآية بأسلوب **إبطال دعوى الخصم بإظهار تناقضها مع فعل فريقه**: فاليهود احتجوا على عدم الإيمان برسالة محمد، أنّ الله عهد إليهم في كتابهم التوراة أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم ببرهان صادق، فأرشد الله نبيّه أن يردّ عليهم بأنّ الله بعث لهم رسلا وجاؤوا بالمعجزات وبالبراهين الصادقة فلماذا قام فريقهم (آبائهم) بقتلهم ولم يؤمنوا لهم؟ وهكذا بطلت حجتهم بتناقضها مع فعل فريقهم.[3]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية/ حصر آية الرسل في معجزة لتكون دليلا على صدقهم.

↓

يقتضي/ المقتضى

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 185/4.

[2] الزمخشري، تفسير الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، ص209.

[3] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل، 145/2.

↓

لن نؤمن بك يا محمّد حتّى تأتينا بقربان من السماء← إذن← القول المضمر

↓

- الكذب والافتراء على الله.

- العناد والتعنّت.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (38)**﴾ [الرعد: 38]

الخطاب موجّه من الله تعالى إلى نبيّه محمّد لقد أرسلنا قبلك يا محمد رسلا كانوا بشرا لهم أزواج (نساء) وأولاد. وجاءت ردّا على المشركين في إنكارهم آية القرآن وتصميمهم على اقتراح معجزات على وفق مطالبهم. **الفعل المتضمّن في القول (الفعل الإنجازي)**: الطعن في نبوءة محمّد (ﷺ) بأنّه يتزوّج النّساء وأنّ شأن النبيّ ألّا يهتم بالنّساء، ولدعم القوّة الإنجازية لهذا الفعل استعان السّياق القرآني باللّفظ بصيغة الجمع "**أزواج**": ج زوج، فقد يكون لبعض الرّسل زوجة واحدة، وقد يكون للبعض عدّة زوجات، والمقصود من الردّ هو عدم منافاة اتّخاذ الزّوجة لصفة الرّسالة لم يكن داع إلى تعداد بعضهم زوجات كثيرة. قال البغوي: "روي أنّ اليهود وقيل إنّ المشركين قالوا: أنّ هذا الرّجل ليست له همّة إلّا النّساء والنّكاح، ولو كان نبيّا كما زعم لشغله أمر النبوّة عن النّساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية."[1]

ووجه المغالطة هنا هي **مغالطة الشّخصنة** فاليهود طعنوا في شخص محمّد (ﷺ) واتّهموه بتهم ليس لها وجه من الصّحة، فالأنبياء من جنس البشر، يأكلون الطعام ويشربون ويتزوّجون ويتناسلون شأنهم شأن باقي البشر، فهم ليسوا ملائكة. كما أرسل محمّد رسولا بشريا، كذلك قد بعث المرسلين قبله بشرا.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 161/13، 162.

الردّ على المغالطة: ردّ القرآن الكريم عل هذه المغالطة بقوله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ وهذه الجملة معطوفة على جملة ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ**﴾ وتركيب "ما كان" يدل على المبالغة في النّفي والمعنى أنّ شأنك شأن من سبق من الرّسل لا يأتون من الآيات إلّا بما آتاهم الله.[1]

يُوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية/ طعن اليهود في نبوءة محمّد (ﷺ)، كما عيّروه بكثرة التزويج.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

الأنبياء لا يتزوّجون← إذن← القول المضمر

↓

– إنكار آية القرآن، التّمويه، الطعن في نبوءة محمد.

قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا (153)**﴾ [النساء: 153]

في الآية الكريمة إخبار عن عناد وكفر وتعنّت اليهود، وأعذارهم الكاذبة في إنكار رسالة محمد (ﷺ) حيث سألوه معجزة مثل معجزة موسى بأن ينزّل عليهم كتابا،[2] والمعنى المستلزم من السّؤال هو التعجيب من هذا السؤال، وقيل نزلت في اليهود قالوا للنبيّ (ﷺ): إن كنت نبيّا فأتنا بالكتاب جملة من السّماء كما أتى به موسى، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[3] وجيء بالفعل المضارع (يسألك) إمّا لقصد

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 163/13.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 462/2.

[3] الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص187.

استحضار حالتهم العجيبة في هذا السؤال، وإمّا للدلالة على تكرار السؤال وتجدّده المرّة بعد الأخرى بأن يكونوا ألحّوا في هذا السؤال لقصد الإعنات، والسائلون هم اليهود، والفاء في قوله "**فقد سألوا موسى**" دالّة على مقدّر دلّت عليه صيغة المضارع المراد منها التعجيب، فهذا ليس بغريب عليهم، فلا تعجب من هذا يا محمّد، فقد سأل أسلافهم موسى أعظم ممّا سألك هؤلاء، حيث سألوه أن يريهم الله جهرة أي عيانًا فصعقوا عقابًا لهم على ما ارتكبوه. والمعنى المتضمّن في هذا القول فيه **تسلية** للنبيّ (ﷺ) ودلالة على جراءتهم وإظهار أنّ المعجزات تأتي بإرادة الله لا بمقترحات الأمم،[1] إنّ الحمولة الدلالية التي استعملت في كلمات الآية لا تدلّ في أغلبها على محتواها القضويّ، ممّا يمثّل خرقا لمبدأ الكيف، فاليهود سألوا الرّسول (ﷺ) معجزة وفق مطلبهم، على الرّغم ممّا شهدوه من آيات واضحة دالّة على وحدانية الله، وإنّما كان طلبهم تعنّتا وكفرا.

و**نوع المغالطة** هنا هي **مغالطة الاحتكام إلى النّتائج**، حيث جعل اليهود هذا السؤال يتوقّف عليه تصديقهم أو تكذيبهم لدين الإسلام.

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية/ اقتراحهم مجيء المعجزات على وفق مطالبهم.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

سؤالهم الرّسول أن ينزّل عليهم كتابا من السّماء دفعة واحدة كما نزلت التّوراة والإنجيل ← إذن← القول المضمر

↓

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 13/6، 14.

– التعنّت والعناد والكفر.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ(97) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ(98)﴾ [البقرة: 97-98]

هذه الجملة كسابقاتها من الجمل التي أظهروا فيها أعذارهم الواهية واعترضوا فيها عن الدّعوة المحمدية وقالوا نُؤمن بما أنزل علينا، وهذا هو عذرهم الكاذب الذي ستروا به واقع حسدهم على نزول القرآن على رجل من غيرهم، وهذا الخطاب موجّه من الله تعالى إلى رسوله بصيغة "قل" حيث أمره بأن يخاطب اليهود في شأن عداوتهم لجبريل، فجاءت الآية للردّ على ما قالوه لأنّهم اتّخذوه عدوّا بزعمهم أنّه يُخبر محمّد (ﷺ) بأسرارهم، ويأتي بالعذاب، والأمر قسم من أقسام الإنشاء الطلبي وصنّفه (سيرل) في خانة التوجيهيات وقد خرج الأمر في هذا المقام عن أصل استعماله فحمل وراءه فعلا متضمّنا في القول، هو **التّهديد والوعيد** فالله تعالى يبلّغ هذا المعنى لليهود لاتّخاذهم جبريل عدوّا. فكأنّه قال: من عاداه فأنا عدوّه.[1] وقوله **﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** معطوف على "**مصدّقا**" وقد دلّت الآية على تعظيم جبريل والتّنويه بقدره حيث جعله الواسطة بينه تعالى وبين أشرف خلقه، كما دلّت على ذمّ اليهود حيث أبغضوا من كان بهذه المنزلة الرفيعة عند الله تعالى.[2]

ويندرج فعل التّهديد ضمن صنف الوعديات بتعبير سيرل، وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلّم بفعل شيء ما في المستقبل، وشرط الإخلاص فيه هو القصد، والتّعبير عمّا ينويه المتكلّم، حيث يأخذ المتكلّم على عاتقه جعل العالم ملائما للكلمات، فقد توعدّهم الله بفعل حاصل في المستقبل هو العداوة والسخط، الّذي توعدّهم الله به بسبب كفرهم، ولتعديل القوة الإنجازية لهذا الفعل الوعيدي، استعان السّياق بجملة من المؤشّرات اللّغوية منها: قوله **﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾** شرط عام مراد به خاص وهم

[1] الزمخشري، تفسير الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، 89/88.

[2] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 342/1.

اليهود، وجاء بصيغة الشمول دلالة على أنّ الله لا يعبأ بهم ولا بغيرهم ممن يعادي جبريل، وقد جيء بحرف التوكيد في قوله ﴿**فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ**﴾ لأنّهم منكرون ذلك، وقوله "**ومصدّقا**" الجملة الحالية من الضمير المنصوب في أنزله أي القرآن الّذي هو سبب عداوة اليهود لجبريل، وأدخلت لام التقوية على مفعول مصدّقا للدلالة على تقوية ذلك التّصديق.[1]

فاليهود غالطوا حين اتّخذوا جبريل عدوّا لهم، ومن عجيب تهافت اعتقادهم أنّهم يثبتون أنّه ملك مرسل من الله ويبغضونه وهذا من أحطّ دركات الانحطاط في العقل والعقيدة.

الردّ على المغالطة: جاء الردّ على هذه المغالطة بقوله تعالى ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾ حيث جاء الحجاج في السياق، وسيلة لدعم القوّة الإنجازية المتعلّقة بتهديد بني إسرائيل. فقد صارت عداوتهم جبريل كالحدّ الوسط في القياس، وكانت عداوتهم الله بمنزلة المقدّمة الكبرى، وعداوتهم الرّسول (ﷺ) بمنزلة المقدّمة الصغرى، وأنّ عداوة الملائكة والرّسل عداوة لله، وقد أثبت لهم عداوة الملائكة والرسل، مع أنّهم عادوا جبريل ومحمّدا، لأنّهم لما عادوهما عادوا الله، فمن عادى واحدا كان حقيقا بأن يعاديهم كلّهم، وفي تخصيص جبريل بالذّكر هنا لزيادة الاهتمام بعقاب معاديه، وأعيد ذكره للتّنويه به وعطف عليه ميكائيل لئلا يتوهّموا أنّ محبّتهم ميكائيل تكسب المؤمنين عداوته، وقوله ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾ جواب الشّرط، والعدوّ مستعمل في معناه المجازي وهو ما يستلزمه من الانتقام والهلاك وأنّه لا يفلته. وفي ذكر اسم الجلالة بلفظه الظاهر لما يشعر به الظاهر هنا من القدرة العظيمة حثّا على الامتثال.[2]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجة المغالطية/ إعلان اليهود عداوتهم للملك جبريل.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 1/ 621، 622.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، 623/1، 624.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

أنّه يخبر محمد (ص) بأسرارهم، ويأمر بقتالهم، فهو ينزل بالعذاب والقتال والشدّة ← إذن← القول المضمر

↓

– الحسد، والإعراض عن الدّعوة الإسلامية.

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109)﴾ [البقرة: 109]

في الآية الكريمة فعل كلامي مباشر تمثّل في **الإخبار** عن أماني اليهود وحسدهم لدرجة أنّهم ودّوا أن يرجع المسلمون إلى الشّرك، فقد جاء عن ابن عباس: "أنّ هذه الآية نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أحد: ألم تروا إلى ما أصابكم ولو كنتم على الحق مالا هزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم."[1] ولتدعيم القوّة الإنجازية لهذه الفعل استعان السياق باللّفظ "**حسدا**" الّذي هو حال من ضمير "**ودّ**" أي أنّ هذا الودّ لا سبب له إلّا الحسد لا الرغبة في الكفر،[2] وقد جاء اللّفظ **(حسدا)** منوّنا لتفيد التّكثير أو التعظيم، أي حسدوكم حسدا،[3] وعبّر بلفظ **﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾** أي حسدا نابعا من أصل نفوسهم، وجيء فيه بـ **(من)** الابتدائية للإشارة إلى تأصّل هذا الحسد فيهم، وأكّد ذلك بكلمة **(عند)** الدالّة على استقرار الحسد في نفوسهم، كما تضمّنت الآية **تحذير** الله تعالى عباده المؤمنين عن اتّباع طريق الكّفار من أهل الكتاب، وولي الإخبار فعل كلامي توجيهي **الأمر** (اعفوا واصفحوا)،

[1] الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص32.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 670/1.

[3] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 494/1.

"وقد أمر المسلمون في العفو والصفح عنهم في هذا الموضع لأنّ ما حكي عن أهل الكتاب هنا ممّا يثير غضب المسلمين لشدّة كراهيتهم للكفر فلا جرم أن كان من يودّ لهم ذلك يعدّونه أكبر أعدائهم فلمّا كان هذا الخبر مثيرا للغضب خيف أن يفتكوا باليهود وذلك ما لا يريده الله منهم."[1]

ونوع المغالطة هنا هي **مغالطة المآل**، وعليه أوقفوا الدّين على الفوز أو الخسارة في الغزوة.

الردّ على المغالطة: ردّ الله عليهم بقوله ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ تذييل مسوق مساق التعليل وفيه تعليم للمسلمين فضيلة العفو، وأراد أنّه على كلّ شيء قدير لو شاء لأهلكهم الآن ولكنّه لحكمته أمركم بالعفو عنهم.[2]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجة المغالطية/ تعليلهم سبب خسارة المسلمين في غزوة أحد أنّ دين الإسلام ليس على حق وأنّهم أهدى منهم.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

تمنّي اليهود رجوع المسلمين بعد إسلامهم إلى الشّرك. ⟵ إذن⟵ القول المضمر

↓

الحسد والغيظ.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: 76-77]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 670/1.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، 671/1.

في الآية فعل كلامي مباشر تمثّل في **الإخبار** عن نفاق اليهود وإظهارهم للإيمان وإبطانهم لليهوديّة فالضمير المرفوع في (**لقوا**) عائد عليهم، وجملة ﴿**وَإِذَا لَقُوا**﴾ معطوفة على الجملة ﴿**وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ**﴾ [البقرة: 76-77] على أنّها حال مثلها من أحوال اليهود، والمقصود منها التّعجيب من الطمع في إيمانهم، ثمّ يلي الإخبار فعل إنجازي طلبي تمثّل في **الاستفهام** بالهمزة (**أتحدّثونهم**) المعنى المستلزم منه **الإنكار** أو **التّقرير** أو **التّوبيخ** وهو توبيخ إنكار فنفاقهم بلغ بهم درجة أن أخبروا به المسلمين ببعض قصص قومهم سترا لكفرهم الباطن فوبّخوهم على ذلك واتّهموهم بخرق الرأي وسوء التدبير وقوله: ﴿**لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ**﴾ صيغة المفاعلة جاءت لتأكيد الاحتجاج أي ليحتجوا عليكم به أي بما فتح الله عليكم، كما جيء بلام التعليل في قوله ﴿**لِيُحَاجُّوكُمْ**﴾ التي أُستعملت مجازا في التعقيب أو ترشيحا لاستعمال الاستفهام في الإنكار أو التقرير مجازا. وقوله (أفلا تعقلون) عطف على "أتحدّثونهم" والفاء لإفادة ترتب عدم عقلهم على تحديثهم، والجملة مؤكّدة لإنكار التحديث وهو من تمام كلام اللائمين[1]، فقد غالط اليهود عند إظهارهم الإيمان بالله ورسله بألسنتهم وإبطانهم حقيقتهم وكفرهم ومعاتبة بعضهم لبعض في خلوتهم وإنكارهم على إخوانهم اقرارهم بالنّبيّ محمّد أمام المسلمين.

الردّ على المغالطة: وقوله ﴿**أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾ تجهيل لهم منه تعالى فيما حكى عنهم، والاستفهام خرج عن أصل استعماله فأفاد الإنكار مع التقريع لأنّ أهل الكتاب كانوا عالمين بإحاطة علمه تعالى والمقصود بيان شناعة فعلهم بأنّهم يفعلون ما ذكر مع علمهم.[2]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجة المغالطية/نفاق اليهود وإظهارهم الإيمان وإبطانهم اليهودية.

↓

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 1/ 569، 570.

[2] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 301/1.

يقتضي/ المقتضى

↓

إذا لقوا المؤمنين قالوا آمنّا وإذا اختلوا ببعضهم عاتبوا بعضهم البعض عمّا أفصحوا به للمسلمين بما جاء في كتبهم عن رسول الله محمّد (ﷺ) كي لا يكون محاجة عليهم. ← إذن← القول المضمر

↓

نفاق اليهود وكذبهم على المسلمين.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91)﴾ [البقرة: 91]

في هذه الآية جانب آخر من حكايات اليهود في تقديمهم لأعذارهم الواهية من أجل الإعراض عن الدّعوة الإسلامية، فكانوا في كلّ مرّة يدعون فيها إلى الإيمان بالقرآن وبأنّه أنزله الله وأن ينظروا في دلائل كونه منزّلا من عند الله إلّا عاندوا وكابروا وأعرضوا عنها، وقالوا نؤمن بما أنزله الله على رسولنا موسى. وفي قوله تعالى **﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ اعتذار** واكتفاء بالإيمان بما أنزل على موسى، وقد استعمل السياق للتعبير عن الحكاية عنهم لفظ الفعل المضارع (نؤمن) أي ندوم بالإيمان بما أنزل علينا. أمّا **التوبيخ والتجهيل** في قوله تعالى **﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾** تصريح بما لوّحوا إليه وردّ عليهم، فهم يرون أنّ الإيمان بغير نبيّهم كفر على أنّ للمضارع (يكفرون) تأثير في معنى التعجب والغرابة، وفي توكيد الحال بالحال **﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾** زيادة في استحضار شؤونهم وهيئاتهم، وفي تعريف (الحقّ) لزيادة التّوبيخ والتّجهيل.[1] والفعل الكلامي **الاعتذاري** في قوله **﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾** يعدّ من الأفعال الكلامية التعبيرية بتعبير (سيرل)، وغرض المتكلّم الإنجازي هو التّعبير عن الحالة النّفسية المتعلّقة بوجدان المتكلّم، وهو فعل كلامي غير ناجح لأنّ هذا الاعتذار كاذب ستر به اليهود حسدهم نزول الوحي على رجل من غيرهم. وعليه فالحمولة الدلالية التي استعملت في كلمات الآية لا تدلّ في أغلبها على محتواها

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 1/ 606، 607.

القضويّ، ممّا يمثّل خرقا لمبدأ الكيف، فاليهود يعلنون إيمانهم بما أنزل عليهم (التّوراة) ويكفرون بغيره من الكتب وهو القرآن، وقد كذّبهم القرآن في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم.

و**نوع المغالطة** هنا هي **مغالطة المنشأ** وفي هذا النّوع من المغالطات يستخدم المتكلّم مصدر اعتقاده كأنّه دليل على صدق هذا الاعتقاد، فيقبل الشّيء أو يرفضه بحسب أصل هذا الشّيء ومصدره، وهو ما فعله اليهود حين اعتذاروا عندما أُمروا بالإيمان بما أنزل الله، باكتفاءهم بما أنزله الله على نبيّهم موسى وهو كتاب التّوراة، فكانوا يرون الإيمان بغيره كفرا به.

ردّ القرآن على المغالطة: هذه الآية حوار وطرفا الحوار الرسول واليهود حيث أراد الرسول إقناعهم بالإيمان بالقرآن الكريم وقوله ﴿**قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ اعتراض قصد به الردّ عليهم فيما قدّموه من أعذار، فلو كان ما قالوه حقا لما قتل أسلافهم الأنبياء الّذين هم من قومهم ودعوهم إلى تأييد التوراة، وقد جيء بالفعل (تقتلون) في المضارع مع أنّ القتل قد مضى لاستحضار الحالة الفظيعة، وقرينة ذلك قوله "**من قبل**"،[1] فالفعل الكلامي التوجيهي في قوله ﴿**قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ تضمّن قوتين إنجازيتين: قوّة إنجازية صريحة: **الأمر**، قصد به الردّ عليهم فيما قدّموه من أعذار كاذبة، وقوّة إنجازية مستلزمة **التبكيت**، فالله سبحانه وتعالى أمر النبيّ (ﷺ) أن يقول لهم ذلك تبكيتا لهم حيث قتلوا الأنبياء مع ادّعاء الإيمان بالتّوراة.[2]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية/إعراض اليهود عن الدّعوة الإسلامية.

↓

يقتضي/ المقتضى

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 608/1.

[2] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 1/ 324.

↓

إيمانهم بما أنزله الله عليهم وهو كتاب (التّوراة)← إذن← القول المضمر

↓

العناد، الإعراض، المكابرة.

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (76) قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (77) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (78)**﴾ [يونس: 76-78]

الذي أثبت المجيء له هنا هو الآيات التي أظهرها موسى إعجازا لهم، فمجيئها حصولُها وظهورها المقصود منه إثبات صدق موسى في رسالته فكان الحق جائيا معها، وقد اعتذروا عن ظهور الآيات بأنّها سحر وهو **اعتذار** المغلوب العديم الحجّة، فقد ادّعى هؤلاء أنّ ما ظهر من دلائل صدق موسى هو سحر ظهر به الباطل في صورة الحق بتخييل السحر. والأدلة المدعمة لهذا الفعل هي تأكيد كلامهم بما دلّ عليه حرف التوكيد ولام الابتداء ﴿**إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ**﴾، وزادوا ذلك ترويجا بأن وصفوا السّحر بكونه مبينا، أي شديد الوضوح. والإشارة بقوله ﴿**إِنَّ هَٰذَا**﴾ إلى ما هو مشاهد بينهم حين إظهار المعجزة مثل انقلاب العصا حيّة، وخروج اليد بيضاء، أي أنّ هذا العمل الّذي تشاهدونه سحر مبين.[1]

ردّ مغالطتهم: جملة ﴿**قَالَ مُوسَىٰ**﴾ جواب عن كلامهم، والاستفهام في قوله "**أتقولون**" إنكاري، واللّام في "**للحق**" للتعليل، وجملة "**أسحر هذا**" مستأنفة للتّوبيخ والإنكار، أنكر عليهم موسى وصفهم الآيات الحق بأنّها سحر، والإشارة تفيد التعريض بجهلهم وفساد قولهم، ثمّ انتقل من نفيه أن تكون آيات الله سحرا إلى إبانة فساد السحر وسوء عاقبة معالجيه تحقيرا لهم، لأنّهم كانوا ينوّهون بشأن السّحر.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 249/11، 250.

وفي قوله ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾ فعل إنجازي طلبي تمثّل في الاستفهام بالهمزة في (**أجئتنا**) والمعنى المستلزم منه هو الإنكار، فقد بنى قوم موسى إنكارهم على تخطئة موسى فيما جاء به، وعلى سوء ظنّهم به، وبهارون، فقد واجهوا موسى بالخطاب لأنّه من باشر الدّعوة وأظهر المعجزة، ثمّ أشركاه مع أخيه في سوء ظنّهم بهما في الغاية من عملهما. ولتعديل القوّة الإنجازية لفعل الاستفهام استعان القرآن ببعض المؤشّرات اللّغويّة منها: أنّه استعمل اللّفظ (تلفتنا) مجازا في التّحويل عن العمل أو الاعتقاد إلى غيره. واختير التعبير بـ(وجدنا) في قوله ﴿**وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾ إشارة إلى أنّهم نشأوا عليها وعقلوها، وأنّها كانت أحوال آبائهم وذلك ما زادهم تعلّقا بها، فهم يرون أنّهم على صواب وحق لأنّهم قد اقتدوا بآبائهم. كما أنّ الإتيان بحرف (على) للدلالة على تمكّن آبائهم من تلك الأحوال وملازمتهم لها. وجملة ﴿**وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ**﴾ اسمية لإفادة الثبات والدوام وقد جاءت عطفا على جملة "**أجئتنا**" أي لما تبيّنا مقصدكما فما نحن لكما بمؤمنين، وقدّم لكما على متعلّقه لأنّ المخاطبين هما الأهمّ من جملة النّفي.[1]

ووجه المغالطة هنا **مغالطة الاحتكام إلى سلطة الآباء**، فاليهود ظنّوا بجوابهم هذا أنّهم أقنعوا موسى عليه السلام باحتكامهم إلى سلطة آبائهم واتّباع ديانتهم اقتداء بهم في ديانتهم ورؤيتهم أنّهم على صواب دون الاستناد إلى دليل وحق، وموسى على خطأ. فقد أرادوا تخطئة موسى، تكذيب دعوته وأخيه هارون –عليهما السّلام–وإنكارهم ما جاءهم به.

– مغالطات النصارى:

ذكر القرآن العديد من مغالطات النّصارى سواء كانت مغالطات انفردوا بها عن غيرهم أو مغالطات اشتركوا فيها مع اليهود أو المشركين أو الفرق الثّلاثة معا كما جاء في هذه الآية:

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 11/ 250، 252.

يقول تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (116)**﴾ [البقرة: 116]

في الآية إخبار عن كفر اليهود والنّصارى ومشركي العرب، والضمير المرفوع بـ(**قالوا**) عائد على الفرق الثّلاثة، حيث يقول اليهود عزيز بن الله ويقول النّصارى المسيح بن الله، ويقول المشركين الملائكة بنات الله.[1] وقد جاء لفظ (اتّخذ) في قوله ﴿**اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾ تعريضا بالاستهزاء بهم، حيث أثبتوا أنّ لله ولدا ومن جهة أخرى يقولون إنّ الله اتّخذه، ومعنى الاتّخاذ هنا الاكتساب، وهو مفهوم يتعارض مع الولدية، حيث يولد الولد دون صنع، ومنشأ هذا الافتراء بالنّسبة للمشركين هو الجهل، أمّا فيما يخصّ أهل الكتابين فإنّ مقالتهم نابعة عن سوء فهمهم للدّين.[2]

الردّ على المغالطة: وفي قوله: ﴿**بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ إضراب عن قولهم لإبطاله، والدّليل على الإبطال الجملة (**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**)، وفي قوله **(كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ)** حجّة أخرى على نفي وجود الولد لأنّ الخضوع من شعار العبيد أمّا الولد فلا يقنت لكنّه يبرّ بالوالد. وقد جيء بـ (قانتون) جمع مذكر سالم للإشارة إلى العقلاء تغليبا لأنّهم أهل القنوت عن إرادة وبصيرة.[3]

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73)**﴾ [المائدة: 73]

في الآية إبطال لمقالة أخرى من مقالات طوائف النّصارى، وفيها **إخبار** عمّا قالته طائفة من النّصارى وزعمهم أنّ الله ثالث ثلاثة: الله وعيسى ومريم، وأنّ كلّ واحد من هؤلاء إله، تعالى الله عن قولهم علوّا كبيرا. ومعنى قولهم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**﴾ أنّ ما يعرفه النّاس أنّ الله هو مجموع ثلاثة أشياء، وأنّ المستحق للاسم هو أحد تلك الثّلاثة أشياء، وهذه الثلاثة قد عبّروا عنها بالأقانيم وهي: أقنوم

[1] الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص42.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 1/ 684.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، 1/ 685.

الوجود وسمّوه الأب، وأقنوم العلم وسمّوه أيضا الابن، وهو الّذي اتّحد بعيسى وصار بذلك عيسى إلها، أقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن، تعالى الله عن قولهم علوّا كبيرا. يقولون: إنّه لما اتّحد بمريم حين حملها بالكلمة تألّهت مريم أيضا، لذلك اختلفوا هل هي أمّ الكلمة أم هي أمّ الله. وقوله ﴿**وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**﴾ عطف على جملة ﴿**لَقَدْ كَفَرَ**﴾ لبيان الحقّ في الاعتقاد بعد ذكر الاعتقاد الباطل. و(من) لتأكيد عموم النّفي، فصار النّفي بها بـ (ما) المقترنة بها مساويا للنّفي بـ(لا) النّافية للجنس في الدّلالة على نفي الجنس نصّا. واستعمل السّياق حرف (من) الدّال بعد النّفي على تحقيق النّفي، لأنّ حرف لا لم يفد نفي الجنس إلّا بتقدير حرف (من) فلمّا قصدت زيادة الاهتمام بالنّفي هنا جيء بحرف (ما) النّافية، كما أفادت أداة الحصر في قوله (إلّا إله واحد) حصر وصف الإلهية في واحد ممّا ينفي التثليث الّذي ادّعوه.[1]

إنّ الحمولة الدلالية التي أستعملت في كلمات الآية لا تدلّ في أغلبها على محتواها القضويّ، ممّا يمثّل خرقا لمبدأ الكيف، فالنّصارى ادّعوا أنّ الله ثالث ثلاثة آلهة، وهم يعلمون أنّ ما زعموه غير صحيح لأنّه تقدّم لهم أنّ المسيح الذي يعتبرونه جزءًا من الثّالوث هو عبد الله ورسوله، ونطق وهو في المهد وكانت أوّل كلمة نطق بها ﴿**إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾ [مريم: 30] إلى أن قال مؤكّدا على أنّ الله واحد، وهو الربّ الوحيد الذي يجب عبادته ﴿**إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾. [آل عمران: 51].

فالنّصارى وقعوا في المغالطة حين وضعوا شركاء لله، حيث نسبوا له ما لا يليق بعظمته وجلاله، وقد وردت هذه المقولات المنحرفة التي وصفوا فيها غير الله تبارك وتعالى بالألوهية في العديد من المواضع في كتابه العزيز. ومنها ما جاء في الآية 30 سورة التوبة حيث ادّعت اليهود أنّ عزير ابن الله، وقالت النّصارى أنّ المسيح ابن الله، وقد ردّ الله تعالى على النّصارى الذّين يزعمون أنّ عيسى ابن الله بأسلوب الأقيسة الإضمارية وهي الأقيسة التي تحذف فيها إحدى المقدّمات مع وجود ما يُنبيء عن المحذوف،

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 282/6، 283.

وسبب زعمهم هذا أنّ عيسى خلق من غير أب في قوله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران: 59-60]

الردّ على المغالطة: جاء الردّ في هذه الآية بأسلوب التّرهيب قال تعالى **متوعّدا** لهم إن لم يكفّوا عن هذه الافتراءات **﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** وقد جيء المضارع لأنّه المناسب للانتهاء ليهر أنّ الانتهاء إنّما يكون عن شيء مستمر، ممّا يعكس استمرارية هذه الافتراءات وعدم توقفها، وأكّد الوعيد بلام القسم في قوله "ليمسنّ" ردّا لاعتقادهم أنّهم لا تمسّهم النّار، لأنّ صلب عيسى كان كفّارة عن خطايا بني آدم.[1]

يوضّح الحجّة المغالطيّة الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية/ادّعاء النّصارى أنّ لله شركاء، وهو ثالث ثلاثة.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

أنّ المسيح وأمّه مريم إلهين مع الله ⟵ إذن ⟵ القول المضمر

↓

الافتراء والكذب على الله.

قال تعالى: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18)﴾** [المائدة: 18]

هذا قول آخر من مقولاتهم المشتركة التي قالوا فيها كلاما لا يليق بعظمته، وفي الآية الكريمة فعل كلامي مباشر تمثّل في **الإخبار** عن ادّعاء آخر من ادّعاءات أهل الكتاب الباطلة، بأنّهم أبناء الله

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 283/6.

وأحباؤه، وفي عطف ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ على ﴿أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أنّهم قصدوا أنّهم أبناء محبوبون إذ قد يكون الابن مغضوبا عليه،[1] وقوله ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ تعريض بأنّ المسيح بشر، وبناله ما ينال البشر. وتابعوا هذا الزعم بقولهم أنّ الله لن يعذّبهم بذنوبهم وإنّهم إذا دخلوا النّار سيبقون فيها أياما معدودة.[2] وقد أمر الله رسوله أن يردّ عليهم ويبطل قولهم بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ وقولهم أنّ نصيبا من العذاب ينالهم بذنوبهم، فلو كانوا أبناء الله وأحباءه لما عذّبهم بذنوبهم، فالمحب أن لا يعذّب حبيبه، والأب لا يعذّب أبناءه.[3]

قال الإمام ابن كثير رواية عن ابن عباس في سبب نزول الآية: "أتى رسول الله (ﷺ) نعمان بن أضاء وبحري بن عمرو وشاس بن عدي، فكلّموه وكلّمهم رسول الله (ﷺ) ودعاهم إلى الله، وحذّرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمّد ! نحن والله أبناء الله وأحباؤه،كقول النّصارى، فأنزل الله فيهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ إلى آخر الآية."[4]

وهذه مغالطة أخرى من المغالطات التي اشترك فيها النّصارى واليهود، حيث ادّعى كلّا منهما دعوى باطلة بلا برهان وقالوا في الله سبحانه وتعالى أقاويل فاسدة لا تليق بعظمته، بأنّهم أبناء الله وأحباؤه لذلك لن ينالهم العذاب دون برهان أو دليل ملموس فهي مجرّد أقوال فاسدة ودعاوي باطلة، فالله تعالى هو الحاكم في جميع عباده وهو العادل الذي لا يجور. وقد نفى الله تعالى ادّعاءات أهل الكتاب الباطلة، وأثبت القرآن أنّ أهل الكتاب سينالهم ما ينال البشر من عذاب. فالبشر سواسية، ولا فضل لعربيّ على أعجميّ إلّا بالتّقوى والعمل الصّالح، فالله سبحانه وتعالى يحاسبنا كلٌّ وما قدّم في حياته ولا يفضّل أحدا على الآخر كما ادّعت اليهود.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 156/6.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن العظيم، 866،867/6.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 156/6.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 530/2.

ردّ القرآن على المغالطة: ردّ القرآن على مغالطة النّصارى ب**أسلوب الهدم**، والهدم في القرآن أسلوب من أساليب الاحتجاج ومعناه أن يأتي الغير بكلام يتضمّن معنى، فتأتي أنت بضدّه، فإنّك تكون قد هدمت ما بناه المتكلّم.[1] فقد ادّعت اليهود في هذه الآية أنّهم أبناء الله وأحباؤه، فردّ الله عليهم بأسلوب الهدم وعلّم الله رسوله أن يبطل قولهم بقوله ﴿**قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ**﴾.

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية/ادّعاء أهل الكتاب أنّهم أبناء الله وأحباؤه.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

أنّهم لن يعذّبوا بذنوبهم ولن يدخلوا النّار إلّا أيام معدودات← إذن← القول المضمر

↓

تضليل النّاس، الافتراء والكذب على الله.

قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (171)**﴾ [النساء: 171]

استئناف ابتدائي بخطاب موجّه إلى النّصارى خاصّة، وقرينة أنّهم المقصودون قوله: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ**﴾ وإنّما سبب مخاطبتهم بأهل الكتاب تعريضا بأنّهم خالفوا كتابهم،[2] وقد ابتدأت الآية موعظتهم **بالنّهي** عن الغلوّ والإطراء في دينهم، في قوله ﴿**لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ وهذا كثير

[1] بدر الدّين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 3 (القاهرة: دار التراث)، 412/3 .

[2] بدر الدّين الزركشي، 412/3،.

في النّصارى، فإنّهم تجاوزوا الحدّ في عيسى حتّى رفعوه إلى مرتبة أعلى ممّا أعطاه الله له، واتّخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. ومن غلوّهم في اتّباعه أن اتّبعوا أناسا زعموا أنّهم على دينه وادّعوا فيهم العصمة واتّبعوهم في كلّ ما قالوه.[1] ولدعم القوّة الإنجازية لهذا الفعل استعمل السّياق القرآني اللّفظ (غلوّ) للزيادة على المطلوب من المعقول، أو المشروع في المعتقدات، وقد نهوا عن الغلوّ لأنّه أصل لكثير من ضلالهم وتكذيبهم للرسل الصّادقين. والنّهي في قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ عطف خاص على عام للاهتمام بالنّهي عن الافتراء الشّنيع، وذلك بأن جعلوا له صاحبا وولدا، تعالى الله عزّ وجلّ عن ذلك علوّا كبيرا. والأداة المدعّمة لهذا الفعل الكلامي: أنّ فعل القول إذا جاء بعده حرف (على) دلّ على أنّ نسبة القائل القول إلى المجرور بـ(على) نسبة كاذبة. وأداة القصر (إنّما) التي أستعملت لقصر موصوف على صفة في قوله: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ جملة مبيّنة للحدّ الذي كان الغلوّ عنده، وأفادت قصر المسيح على ثلاثة صفات: صفة الرّسالة، صفة كونه كلمة الله ألقيت إلى مريم، وصفة كونه روحا من عند الله، والقصد من هذا إبطال ما أحدثه غلوّهم في هذه الصّفات غلوّا أخرجها عن كنهها، ووصف المسيح أنّه كلمة الله وروح منه في قوله: ﴿**وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾ أنّ هذين الوصفين وقعا في كلام الإنجيل، وأريد منه **التّنبيه** على ذلك الخطأ في التأويل، وليس في وصف عيسى بهذين الوصفين ما يؤدّي إلى اعتقاد أنّه ابن الله وأنّه إله.[2] والحمولة الدلالية التي استعملت في كلمات الآية لا تدل في أغلبها على محتواها القضوي، ممّا يمثّل خرقا لمبدأ الكيف، فالنّصارى أخذوا يبالغون في تعظيم عيسى حتّى تجاوزوا الحدود وخالفوا ما جاءهم في كتابهم الإنجيل.

وقد استوفى الفعل الكلامي شروط الملاءمة بتعبير (سيرل)، فشرط المحتوى القضوي في الآية ارتبط بفعل مطلوب في المستقبل من المخاطبين وهم النّصارى بأن يكفّوا عن الغلوّ والإطراء في دينهم،

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 485/2.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 51/6، 52.

أمّا شرطها التمهيدي، فالمخاطبون (النّصارى) قادرون على إنجاز الفعل بمجرّد كفّهم عن هذا الغلوّ، وهذه الأفعال مطلوبة من المخاطبين في المستقبل والمتكلّم على يقين من قدرة المخاطب على إنجاز الفعل، وممّا يؤكّد شرط الإخلاص الفعل الطلبي (لا تغلوا، لا تقولوا)، فالمتكلّم وهو الله تعالى يريد حقا من المخاطبين أن ينجزوا هذا الفعل، وشرطها الأساسي قد تحقّق لأنّ المتكلّم يريد التّأثير في المخاطبين لينجزوا الفعل. واتجاه المطابقة هو المخاطب، فإذا استجاب أولئك النّصارى وانتهوا عن جعل عيسى إلاها فقد حدثت المطابقة.

فقد غالط النّصارى بادّعائهم الألوهية لعيسى –عليه السّلام– وقد أنصف القرآن عيسى ابن مريم وأمّه الطاهرة من افتراءات اليهود، وذكر أنّ عيسى بن مريم رسول من الله تعالى وليس إلها كما يدّعون. وأثبت أنّ الله الواحد الأحد الّذي لم يلد ولم يولد هو وحده من يستحق العبادة.

ردّ القرآن على المغالطة من خلال تبيين الحقائق وتصحيح المفاهيم المغلوطة التي انتشرت بين النّصارى أي صدّقوا بأنّ الله واحد أحد، ليس له ولد له ولا صاحبة، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله، والمخاطَب بالفعل الكلامي التوجيهي (**لا تقولوا**) في قوله تعالى ﴿**وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ**﴾ خصوص النّصارى فالمعنى الصريح مفاده النّهي عن النّطق من مدلول هذه الكلمة التي هي شعار لهم في دينهم ككلمة الشّهادة عند المسلمين، والنّهي هنا كناية بإرادة المعنى ولازمه، أي لا تجعلوا عيسى وأمّه مع الله شريكين، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا، فالنّصارى من جهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حدّ، بل أقوالهم وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقده إلها، ومنهم من يعتقده شريكا، ومنهم من يعتقده ولدا، وهم طوائف كثيرة ولهم آراء مختلفة، والقصر في قوله ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ قصر موصوف على صفة، لأنّ (إنّما) يليها المقصور، وقوله ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ إظهار لغلطهم في أفهامهم، فكلمة (سبحانه) تفيد قوّة التّنزيه لله تعالى على أن يكون له ولد، وجملة ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تعليل لقوله ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ لأنّ الّذي له ما في السّماوات وما في الأرض قد استغنى عن الولد،

وقوله ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ تذييل، والوكيل الحافظ، والمراد هنا حافظ ما في السّماوات وما في الأرض، فتوكّلوا عليه، ولا تتوكّلوا على من تزعمونه ابنا له.[1]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجة المغالطية/ غلوّ النّصارى في دينهم.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

جعلهم عيسا إلها ونقله من حيّز النبوّة إلى الألوهية⟵ إذن⟵ القول المضمر

↓

الافتراء والكذب على الله تعالى بجعلهم شركاء لله والمبالغة.

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(67)﴾ [آل عمران: 65-67]

هذا الخطاب الإلهي موجّه إلى أهل الكتاب من اليهود والنّصارى الّذين تنازعوا في إبراهيم – عليه السّلام– فادّعى كلّ واحد منهم أنّ النّبيّ إبراهيم على دينه وأنّ من خالف دينهم لا يكون على دين إبراهيم، والمعنى المتضمّن في القول هو **إنكار** الله تبارك وتعالى عليهم محاجتهم الباطلة للمسلمين في إبراهيم الخليل عليه السّلام، ويرجع ابن عاشور سبب ادّعاءهم هذا إمّا لأنّ هذا الادّعاء قديم منهم، أو

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 54/6، 59.

لانّهم تفطّنوا إليه من دعوة محمّد (ﷺ)، فراحوا يقلّدونها أو لأنّهم قالوه إفحاما للنبيّ (ﷺ) حين حاجّهم أنّ دينه هو الحق، ولذلك قصدوا من هذه المحاجة إبطال مساواة دين محمّد (ﷺ) بدين إبراهيم.[1]

في الآيات فعل إنجازي طلبي تمثّل في **النّداء** بالأداة (يا) في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ فالخطاب موّجه لهم، وقوله: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ فالهاء للتّنبيه وأصل الكلام هو أنتم حاججتم، ويأتي تركيب (ها) مع (أنتم) في محل التعجيب والنكير والتنبيه ونحو ذلك.[2]

الردّ على المغالطة: تظهر أدلّة التوحيد بصورة جليّة في قصّة إبراهيم عليه السّلام مع أبيه ومع قومه، حيث أظهرت القصتان بطلان عبادة الأوثان، ومع ذلك يزعمون أنّهم على ملّته.

الفعل الإنجازي الّذي ولي **النّداء** مباشرة هو **الاستفهام الإنكاري** في "**لم تحاجون**" والمعنى المستلزم منه **الإنكار** والمقصود منه هو التّنبيه على الغلط. وقوله: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ إبطال لدعواهم أنّهم على دين إبراهيم، وقوله: ﴿**وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ**﴾ دليل على أنّ علمهم في الدّين محصور في التّوراة والإنجيل، وهما نزلا بعد إبراهيم. إنّ الحمولة الدلالية التي استعملت في كلمات الآية لا تدل في أغلبها على محتواها القضويّ، ممّا يمثّل خرقا لمبدأ الكيف، فاليهود والنّصارى يحاجون في دين إبراهيم الخليل بلا علم، وقد تكلّموا فيما لا يعلمون، وفي قوله ﴿**وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ بطلان لقولهم، لأنّ التّوراة والإنجيل أنزلت بعد إبراهيم بفترة طويلة، وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبين موسى وعيسى ألف سنة. ويبيّن قوله: ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ أن النّصرانية واليهودية غير الحنيفية، وقد أفادت الجملة الاستدراك بعد نفي الضّد حصرا لحال إبراهيم فيما يوافق أصول

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 270/3، 271.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، 274/3.

الإسلام، ولذلك بيّن حنيفا بقوله (مسلما)،[1] والحنيف هو المائل عن الأديان كلّها إلى الدّين المستقيم، وهو أسهل الأديان وأحبُّها إلى الله عزّ وجلّ.[2]وقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ينفي عنه موافقته اليهودية أو النّصرانية أو المشركين، ويؤكّد أنّه كان مسلما. وتمّ عطف قوله في هذه الآية بـ(الواو) ليبأس مشركو العرب من أن يكونوا على ملّة إبراهيم، وحتّى لا يتوهّموا أنّ القصر المستفاد من قوله ﴿وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ قصر إضافي بالنّسبة لليهودية والنّصرانية.[3]

فقد غالطت الطوائف الثلاثة (اليهود، والنّصارى، ومشركو العرب) حينما نسبوا لأنفسهم دين إبراهيم، فكل طائفة ادّعت أنّها على دين إبراهيم كذبا وخداعا حتّى يدخلوا الشّك في نفوس المسلمين وفي عقيدتهم، ويحاولوا تضليلهم، وقد أبطل الله تعالى قولهم وأخبرهم أنّ الدّين الحقيقي لإبراهيم هو الإسلام وأنّ التّوراة والإنجيل أنزلت بعد إبراهيم بزمن بعيد فكيف تتدّعون أنّه على دينكم.

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجة المغالطية/ ادّعاء كلّ من اليهود والنّصارى أنّهم على دين إبراهيم عليه السّلام.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

أنّ كلّ من خالف دينهم لا يكون على دين إبراهيم← إذن← القول المضمر

↓

- الكذب والخداع وبث الريب والشّك في نفوس المسلمين.

- تضليل المسلمين عن دينهم وتشكيكهم في عقيدتهم.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 271/3، 275.

[2] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل، ص51.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 276/3.

إنّ كلّ الدّعاوى التي جاء بها أهل الكتاب من اليهود والنّصارى ليست إلّا ادّعاءات باطلة ولا يملكون أيّة دليل أو برهان يثبت صحتها، إنّما قالوها من أجل تضليل المؤمنين وتمويههم، وما لاحظناه أنّ القرآن لم يترك مغالطة وردت من اليهود والنّصارى إلّا وردّ عليها وأفحم قائليها حتّى لا يتأثّر المسلمون باعتقاداتهم.

الفصل الرابع:

المغالطات الحجاجية عند المشركين

الفصل الرابع: المغالطات الحجاجية عند المشركين (خصائصها التداولية، أنواعها، ردّ القرآن عليها):

الشّرك هو أن يصرف العبد شيئا من أنواع العبادة لغير الله تعالى من أصنام أو أوثان أو أشجار أو أحجار أو إنس أو جن أو قبور أو أجرام سماوية أو قوى طبيعية أو غير ذلك.[1] ويُطلق الشّرك على نوعين: الأوّل إثبات شريك لله تعالى وهو الشّرك الأكبر، والثّاني: مراعاة غير الله في بعض الأمور، وهو الشّرك الأصغر.[2]

فقد عبد المشركون دون الله معبودات أخرى اعتبروها آلهة لهم، ورفضوا عبادة آلهة أخرى غير آلهتهم، وكانوا كلّما دُعوا إلى الإسلام يتحجّجون بحجج كاذبة، ويختلقون أعذارا واهية، ومن المغالطات التي ارتكبها المشركون في القرآن الكريم نذكر:

- **الاحتكام إلى سلطة الآباء والتقاليد:**

وقد وردت مغالطة الاحتكام إلى سلطة الآباء والتقاليد في عدّة مواضع في القرآن الكريم فكانت حجّة المشركين في مكابرتهم وتصميمهم على الكفر اتّباعهم ديانة آبائهم وأجدادهم فهم أسوتهم ولا يتقبّلون دينا آخر غير دينهم ونذكر منها – على سبيل المثال لا الحصر–:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (28)﴾ [الأعراف: 28]

[1] حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1986)، ص56.

[2] عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط3 (مكتبة السوادي للتوزيع، 1999)، ص311.

جاءت الآية في سياق **الإخبار** عن واقع الجاهلية العربية، والخطاب موّجه إلى قريش التي ادّعت لنفسها حقوقا خاصّة ليست لسائر العرب الّذين كانوا يأتون لأداء فريضة حجّ بيت الله، فأقامت معتقدات زعمت أنّها من دين الله، ثمّ صاغتها في شرائع، وزعمت أنّها من شرع الله. من بين هذه الحقوق بما يتعلّق بالطواف بالبيت أنّهم هم وحدهم لهم حقّ الطّواف في ثيابهم، بينما كان يتعيّن على بقية العرب استعارة الثّياب من قريش للطواف أو يستجدّوا ثيابا لم يلبسوها من قبل أو أن يطوفوا عرايا.[1]

بنية الفعل الكلامي: يُصنّف الفعل الكلامي المباشر الوارد في هذا السّياق في خانة الإخباريات بتعبير (سيرل) وغرضه نقل الواقعة ووصفها، حيث أخبرت الآية عن واقعة حدثت في زمن الجاهلية العربية، ووصفت فاحشة ارتكبها مشركو العرب وزعموا أنّها من شرعِ الله، ونجد في الآية الكريمة أنّ الأفعال الإخبارية (فعلوا، قالوا، وجدنا، أمرنا) يُراد بها تحقيق فعل كلامي متضمّن في القول هو تفظيع حال دينهم بسبب ارتكابهم للفواحش، واستدلالهم بها بطريقة لا يقبلها أهل العقول، فقد أرادوا أن يُثبتوا أنّ الله أمر آباءهم برسم تلك الرّسوم وتنفيذها للحفاظ على تلك العادات في ذريتهم، والأداة المدعمة للقوّة الإنجازية لهذا الفعل الإخباري هي حرف الشّرط (إذا) الّذي يفيد اليقين بوقوع الشّرط ليُشير إلى أنّ هذا حاصل منهم لا محالة.[2] وقد تنتقل دلالات الأنّماط الخبرية إلى دلالات أخرى تشير إليها السّياقات المحيطة بها، وقد أشار (**السّكاكي**) إلى إنّ الخبر في كثير من الأحيان يتجاوز المعنى الظاهر، فيُراد به الطلب، أو صورة دلالية خبرية أخرى مختلفة عن الصورة الأصلية،[3] وقد خرج الخبر هنا عن أصل استعماله فأفاد أكثر من معنى، ومنها: **نعي** الإسلام عليهم أعمالهم الفاسدة، كما **نعى** الله عليهم

[1] سيد قطب، في ضلال القرآن العظيم، مجلّد 3/ ج8، 1282.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 82/8.

[3] علي محمود حجّي الصرّاف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ط1 (القاهرة، مصر: مكتبة الآداب، 2010)، ص156.

تقليدهم في أعمال بديهية الفساد، والتّقليد في الفساد أشدّ مذمّة من الفساد ذاته، كما تشمل الآية أيضًا معنى **الإنكار والنّهي**، فقد كان نبيّهم يُنكر عليهم الفواحش،[1] وهذه أفعال كلامية غير مباشرة.

نوع المغالطة: ونوع المغالطة في هذه الآية **أخذ ما ليس بعلّة** أو السبب الزائف، فالمشركون يتوهّمون إقناع غيرهم بأنّ ما أقدموا على فعله من فواحش كانت من عادة آباءهم، فاتّخذوها حجّة وسببا زائفا في تعليل أفعالهم الفاسدة بالإضافة إلى افتراءهم على الله سبحانه وتعالى بقولهم أنّه أمرهم بهذه الفاحشة.

ردّ القرآن على المغالطة: احتج المشركون واعتذروا عن كفرهم بأمرين الأوّل تقليد الآباء والثّاني الافتراء على الله تعالى، وقد أعرض الله تعالى عن الردّ على الحجّة الأولى لأنّ فسادها ظاهر، وردّ الله عليهم حجّتهم الثانية أنّ الله أمرهم بها بقوله لرسوله ﴿**قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**﴾ ففي قوله تعالى **نقض** لدعواهم أنّ الله أمرهم بتلك الفواحش، والفعل الكلامي التوجيهي المباشر **الاستفهام** قد خرج عن أصل استعماله في قوله ﴿**أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ فأفاد معنى **التّوبيخ** فقد وبّخهم الله لأنّهم قالوا هذا توهّما منهم دون الاستناد إلى دليل، ويظهر أنّ المشركين لم يعلموا أنّ الله جلّ جلاله لا يأمر بمثل تلك الأفعال الدنيئة. ولدعم القوّة الإنجازية لهذا الأفعال الكلامية استعان السّياق القرآني باللّفظ (**فاحشة**) ليدلّ على أنّ الله لا يأمر به نظرا لكماله الأعلى، واعتذارهم بأنّ الله أمر بذلك نابع عن جهلهم، كما أنّ في تعدية الفعل "**تقولون**" بـ (على) ليتضمّن معنى تكذبون أو تتقوّلون، ولو كان قولهم هذا صحيح النّسبة لكان حقّه أن يُعدّى بـ(عن).[2]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 8/ 83، 84.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، 84/8. 85.

يوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية / تقديم المشركين أعذار كاذبة فيما يقومون به من فواحش.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

أنّهم اتبعوا آباءهم فيما يفعلونه وأنّ الله أمرهم بذلك← إذن← القول المضمر

↓

الكذب والافتراء على الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (104)﴾ [المائدة: 104]

بنية الفعل الكلامي: الخطاب موجّه للمشركين ويتعلّق بتمسّكهم بما كان عليه آباؤهم، وينتمي الفعل الكلامي المباشر الوارد في هذا السّياق إلى صنف الإخباريات بتعبير (سيرل)، وفيه **إخبار** عن إعراضهم عن الهدى وتمسّكهم بالأفكار التي ابتدعوها، والضمير في قوله **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾** يُشير إلى النّاس وقد عدل عن الخطاب إلى الغيبة ليظهر أنّهم ليسوا أهلًا للخطاب بسبب جهلهم وحماقتهم،[1] والأداة المدعمة لهذا الفعل: واو الحال، فالجملة الحالية من قوله ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [المائدة: 103] تُبيّن أنّهم ينسبون إلى الله ما لم يأمر به كذبا. مُظهرة تناقضهم العجيب في تقبّل ادّعاءات آبائهم بأنّ الله أمرهم بما ابتدعوه من الضلالات، ويلي **الإخبار** فعل كلامي توجيهي طلبي، وهو **الأمر (تعالوا)** المستعمل حقيقة ومجازا بمعنى الإقبال والاستجابة، سواء في الاستماع أو حضور مجلس النّبيّ (ﷺ) وعدم الصدّ عنه، والأداة الداعمة لهذا الفعل الكلامي هي إعادة حرف (إلى) في الآية لاختلاف معنيي الإقبال بالنّسبة إلى متعلّقي

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 40/2.

"تعالوا"، فإعادة الحرف قرينة على إرادة معنيي "**تعالوا**" الحقيقي والمجازي.[1] وجوابهم في الآية يُظهر عنادهم واستمرارهم في الضلال ومقاومتهم للدّاعي إلى الحقّ.

نوع المغالطة: ارتكب المشركون في هذه الآية **مغالطة الاحتكام إلى سلطة الآباء والأجداد** كعادتهم، فهم في كلّ مرّة يتحجّجون عن كفرهم بهذا العذر الواهي، الّذي اتّخذوه حجّة لهم. وهو عذر ظاهر الفساد لأنّ التقليد وحده لا يكفي للاقتداء.

ردّ القرآن على المغالطة: هذا الردّ سبق القول على نظيره في الآية (170) من سورة البقرة، فقد ردّ الله على قولهم ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ بفعل كلامي توجيهي **الاستفهام** المقصود منه **الردّ** في قوله:﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ويتضمّن الاستفهام أفعال كلامية غير مباشرة **التعجيب والإنكار**، والأداة المدعمة لهذا الفعل الكلامي هي الهمزة التي جاءت لإنكار مضمون تلك الجملة والتأكيد على أنّهم يتّبعون بلا تمييز وعلم بكونهم محقّين أو مبطلين وهذا هو التقليد المذموم، والمراد بالإنكار الردّ والتخطئة لا الإنكار بمعنى النّفي، فالهمزة مستعملة في **الإنكار** كنايةً وفي **التعجيب** إيماءً،[2] وجاء جواب الشّرط في هذه الآية محذوفا أي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمور الدّين ولا يهتدون إلى الحقّ لكانوا اتّبعوهم دون تمييز، والواو للحال أو العطف، والجملة الشّرطية إمّا حال عن ضمير (قالوا) أو معطوفة عليه.[3]

وتتضّح بنية الفعل الكلامي فيما يلي:

الفعل الكلامي المباشر: هو المعنى الحرفي: هو الاستفهام المستعمل في الردّ والتعجيب.

﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ..﴾

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 75/7.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 106/2.

[3] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 40/2.

الفعل الكلامـــــــــي غير المباشر هو: المعنى الضمني

(المستلزم): الإنكار والتعجيب أي التعجيب من حال هؤلاء المشركين في تقليدهم واتباعهم آبائهم وإن كانوا مخطئين.

قال تعالى: ﴿**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (61) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (62) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ(63)**﴾ [هود: 61-63]

بنية الفعل الكلامي: هذا خطاب النبيّ صالح لقومه ابتدأ فيه بفعل كلامي توجيهي طلبي هو **النّداء** في قوله ﴿يَا قَوْمِ﴾ ويلي النّداء فعل كلامي طلبي **الأمر (اعبدوا)**، وجملة ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْض﴾ في موضع التعليل للأمر بعبادة الله ونفي إلهية غيره، والأمر في (استغفروا، توبوا) حيث أمرهم باستغفاره والتوبة إليه، والإقلاع عمّا لا يرضاه الله من الشّرك والفساد، وحرف (إنّ) في قوله "إنّ ربّي قريب مجيب" للتأكيد تنزيلا لهم في تعظيم جرمهم منزلة من يشك في قبول استغفاره، لأنّهم ظنّوا أنّ جرمهم ممّا يُقبل الاستغفار عنه.[1]

تحتل أفعال التوجيه الطلبي نصيبا كبيرا من الخطاب الدعوي القرآني، وقد اتّخذ الرسل هذا النّوع من الأفعال وسيلة في خطاباتهم لتوجيه المخاطبين من أقوامهم، أو التأثير عليهم وإقناعهم للقيام بفعل معيّن أو الكفّ عنه، ومحور هذه الخطابات هو العقيدة، فسعوا إلى تقويم الانحراف الموجود في معتقداتهم معتمدين أسلوب التّوجيه، ومن أفعال التوجيه في الخطاب الدعوي ما نجده في دعوة النبيّ صالح لقومه

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 109/12.

أنّه اعتمد على فعلين توجيهيين هما، **النّداء** (يا قوم)، **الأمر** (اعبدوا، استغفروه، توبوا)، فقد نادى صالحا قومه يأمرهم بعبادة الله وحده، والإقلاع عن الشّرك.

في الآية الكريمة (62) من سورة هود جواب قوم صالح بعد دعوته لهم لإرشادهم لطريق الهداية، وفيها **إخبار** عن عناد قوم صالح وتماديهم في ضلالهم وتقديسهم عقيدة آباءهم، وقد أُفتتحت الآية بفعل كلامي مباشر تمثّل في **النّداء** في قوله: ﴿**قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا**﴾ ويتضمّن النّداء فعلا كلاميا غير مباشر هو **التّوبيخ** أو **المَلام** و**التنبيه**.[1]

الأنماط المتحوّلة عن النّداء: النّداء من أقسام الإنشاء الطلبي، والغرض منه يكمن في طلب إصغاء المنادَى للمنادي. وقد أشار (سيرل) الذي صنّف النّداء في خانة التوجيهيات الطلبية التي تمثّل محاولة المتكلّم توجيه المتلقي، أو التأثير عليه ليفعل شيئا ما إلى أنّ النّداء قد يتحوّل إلى أداء فعل إنجازي غير مباشر متى خرج عن أصل استعماله المتعلّق بطلب المنادى بحروف النّداء أو باسم المنادى. ويمكن للمتلقي إدراك خروج النّداء إلى دلالة إنجازية جديدة متى لم يوافق أسلوب النّداء المنطوق به أصل استعماله المطبوع في ذهن المتلقي، فيوازي من خلال عناصر السياق المفهوم الدّلالي الجديد غير المباشر للنّداء ذهنيّا حتى يصل للمعنى المقصود،[2] وفي هذه الآية خرج النّداء عن أصل استعماله فأفاد معنى غير مباشر هو التوبيخ، وقرينة التوبيخ التي دلّ عليها السّياق القرآني في هذا المقام قولهم: ﴿**قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا**﴾، وفيها تعريض بخيبة رجائهم في صالح عليه السلام.

ويمكن إيجاز ذلك بما يلي:

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 109/12.

[2] علي محمود حجّي الصرّاف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص190.

-صيغة نداء (المنادي)← (المنادى)← (قياس ذهني) النّداء.

هناك إنجاز غير مباشر متحوّل عن النّداء[1].

والفعل الكلامي التوجيهي الّذي وَلِيَ النّداء **الاستفهام** بالهمزة في قوله: ﴿ **أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾ والمعنى المستلزم منه الإنكار والتّوبيخ، وجملة ﴿**إِنَّنَا لَفِي شَكٍّ**﴾ معطوفة على جملة ﴿**يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا**﴾ فبعد ذكرهم يأسهم من صلاح حاله، ذكروا أنّهم يشكّون في صدق أنّه مرسل إليهم، ولتدعيم القوّة الإنجازية لهذه الأفعال الكلامية استعان السياق القرآني في هذا المقام بمؤشرات لغوية مختلفة منها: (قد) لتأكيد الخبر، وحذف متعلّق (مرجوا) لدلالة فعل الرّجاء على أنّه ترقّب الخير أي مرجوّا للخير، وقد خاطبوه بمثل هذا لأنّه بُعث فيهم وهو شاب، والإشارة في (قبل هذا) إشارة إلى الكلام الذي خاطبهم به حين بعثه الله إليهم، وعبّروا عن أصنامهم بالموصول لما في الصّلة من الدّلالة على استحقاق تلك الأصنام أن يعبدوها في زعمهم اقتداء بآبائهم لأنّهم أسوة لهم، وذلك ممّا يزيد الإنكار اتّجاها في اعتقادهم. وفي قوله: ﴿**وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾ استعمل حرف التأكيد (إنّ) لزيادة التأكيد. كما أنّ إثبات نون (إنّ) مع نون ضمير الجمع لأنّ ذلك زيادة إظهار لحرف التأكيد، والإظهار ضرب من التحقيق.[2] "والتّنوين في (مريبٍ) وفي (شكٍّ) للتفخيم"،[3] ووراء الاستفهام فعل كلامي غير مباشر: **التعجّب** و**الاستنكار** ممّا دعاهم إليه نبيّ الله صالح، فقد خاب رجاؤهم في صالح، بعد أن كان مرجوا فيهم لعلمه ولعقله ولصدقه ولحسن تدبيره، فما كانوا يتوقّعون هذا القول منه.[4]

[1] علي محمود حجّي الصرّاف، ص190.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 110/12.

[3] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، 89/12.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن العظيم، 1907/4.

نوع المغالطة: نوع المغالطة هنا مغالطة **السبب الزائف**، فقوم صالح رفضوا دعوته إلى عبادة الله وحده، والسبب أنّ آباءهم يعبدون آلهة أخرى. وفي هذا الكلام خرق لأحد مبادئ الحوار وهو مبدأ الكيف الذي ينتج عنه بالضرورة استلزام حواري، لأنّ جواب قوم صالح ضعيف الحجّة فهم يفسّرون استحقاق الأصنام للعبادة دون غيرها بسبب التقليد المذموم لآبائهم لأنّهم أسوة لهم. فارتكبوا بذلك مغالطة أخرى هي مغالطة الاحتكام إلى سلطة الأجداد والتقاليد.

ردّ القرآن على المغالطة: إنّ الحوار بالحجّة طريق للإقناع العقلي لما له من أهميّة في الدعوى لأيّ دين، لذلك حفل القرآن الكريم بأسلوب الحوار والحجّة في الكثير من المواضع التي تصدّى فيها لأعدائه تارة بالحوار والمحاجة المباشرة من الله تعالى مع المشركين، أو بأمر الله نبيّه محمد بمحاورتهم، أو على ألسنة الأنبياء وأقوامهم تارة أخرى كما جاء في هذه الآيات، التي هي حوار دار بين صالح عليه السّلام وقومه الذين يعبدون الأصنام حيث دعاهم إلى عبادة الله وحده وأن يخلعوا عبادة الأصنام، ففي حواره دعوة مبنية على الحجّة والإقناع وفي الآية جواب عن كلامهم، وقد ابتدأ جوابه بفعل كلامي طلبي **النّداء** في قوله "**يا قوم**" قصد التنبيه إلى ما سيقوله اهتماما لشأنه، وكان منهج صالح في الدعوة تلطّفه في القول ولين جانبه وذلك ظاهر من جوابه على قولهم ﴿... **يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا..**﴾، وفي تقديم المجرور(**منه**) على (**رحمة**) في قوله "**وآتاني منه رحمة**" لأنّه لما كان المجرور هنا ضمير الجلالة كان الأحسن أن يقع عقب فعل (آتاني) ليكون تقييدُ الإيتاء بأنّه من الله مشير إلى إيتاء خاص ذي عناية بالمؤْتَى إذ لو لا ذلك لكان كونه من الله تحصيلا لما أفيد من إسناد الإيتاء إليه، فتعيّن أن يكون المراد إيتاء خاصا، ولو أوقع (منه) عقب (رحمة) لتوهّم السّامع أنّ ذلك عوض عن الإضافة، أي على أن يقال: وآتاني رحمته. وجملة ﴿**فَمَنْ يَنْصُرُنِي**﴾ جواب الشّرط وهو ﴿**إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ**﴾ والمعنى إلزام وجدل، أي إن كنتم تنكرون نبوءتي وتوبّخونني على دعوتكم فأنا

مؤمن بأنّي على بيّنة من ربّي، والاستفهام إنكاري في قوله ﴿**فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ**﴾ أي فمن يمنعني من عذابه، والفاء لترتيب إنكار النّصر على ما سبق من كونه على بيّنة وفُرع عليه ﴿**فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ**﴾ أي إذ كان ذلك فما دعاؤكم إيّاي إلّا سعي في خسراني.[1]

يوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية / اقتداء قوم صالح بآبائهم في عبادة الأصنام.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

رفض قوم صالح لدعوته ⟵ القول المضمر

↓

الكذب والافتراء على الله تعالى.

قال تعالى: ﴿**وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (84) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (85)**﴾ [هود: 84-85]

هذا خطاب النبيّ شعيب لقومه ابتدأ فيه بفعل كلامي توجيهي طلبي هو **الأمر** (اعبدوا) يأمر فيه قومه بالتّوحيد والعبادة الخالصة لله تعالى وذلك في قوله ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾، ويلي الأمر فعل كلامي توجيهي آخر **النّهي** (لا تبخسوا، لا تفسدوا، لا تقعدوا) حيث نهاهم عن مظلمة كانت متفشية فيهم وهي خيانة المكيال والميزان، كما نهاهم عن الإفساد في الأرض وعن التطفيف،

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 111/12، 112.

وجملة ﴿**إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ**﴾ تعليل للنّهي على نقص المكيال والميزان، فهم في غنى عن هذا التطفيف بما آتاهم الله من نعمة وثروة، ثمّ ارتقى في تعليل النّهي بأنّ يخاف عليهم عذابا يحلّ بهم في قوله ﴿ **وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ**﴾، وقد تضمّن **النّهي** فعلا كلاميا غير مباشر هو **التحذير** من عواقب كفران النّعمة وعصيان واهبها، وفي إعادة النّداء في قوله ﴿ **وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ**﴾ لزيادة الاهتمام بالجملة والتّنبيه لمضمونها، وهو الأمر بإيفاء المكيال والميزان، والمعنى المستلزم من **الأمر** هو **النّهي** عن نقصهما.[1]

تهدف أفعال التوجيه في خطاب شعيب عليه السّلام إلى التأثير في قومه ونقلهم من حالة الشّرك والعصيان إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون سواه، كما سعى إلى إقناعهم بإيفاء الكيل والميزان لأنّ فيه أكل لأموال النّاس بالباطل. فكان ردّهم على دعوته كالآتي:

﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ(87) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ(88)**﴾ [هود: 87-88]

تجاهل المشركون ما جاء به النبيّ شعيب من دعوة لترك عبادة آبائهم واستهزؤوا من صلاته التي هي أخصّ أعماله والتي تنافي عاداتهم، والفعل الكلامي الطلبي **النّداء** في قوله ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾ يتضمّن فعلا كلاميا غير مباشر هو **التهكّم** بنبيّ الله شعيب والسّخرية منه تكذيبا له في ما جاءهم به، والفعل الكلامي التوجيهي الّذي ولي النّداء مباشرة **الاستفهام** بالهمزة في قوله: ﴿**أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾ والمعنى المستلزم منه **الإنكار والتّوبيخ**، ولتدعيم قوّة هذه الأفعال استخدم السّياق القرآني مؤشّرات لغويّة متعدّدة منها: الاسم الموصول (ما) في قوله

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 136/12، 137.

﴿**مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾ فقد جاءت موصولة صادقة على المعبودات، ومعنى تركها ترك عبادتها كما يؤذن به فعل (**يعبد**)، وأدوات التوكيد في قوله ﴿ **إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ إنّك لأنت الحليم الرشيد**﴾ فقد جاءت الجملة مؤكّدة بحرف (إنّ) ولام القسم وبصيغة القصر في جملة ﴿**لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾. واستعان السّياق بلفظ (**الحليم**) زيادة في التهكّم، فالحليم ذو الحلم أي العقل، والرّشيد الحسن التدبير في المال. و(أو) من قوله ﴿**أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ**﴾ لتقسيم ما يأمرهم به، وقوله ﴿**أَنْ نَفْعَلَ**﴾ عطف على ﴿**مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾، أي نترك فِعل ما نشاء في أموالنا فنكون طوع أمرك نفعل ما تأمرنا بفعله ونترك ما تأمرنا بتركه.[1]

نوع المغالطة: نوع المغالطة هنا مغالطة الاحتكام إلى سلطة الآباء، فقوم شعيب وقعوا في المغالطة حين أرجعوا ما داعهم إليه نبي الله شعيب إلى الصلوات، فالأفعال لا تأمر، وادّعاؤهم باطل وغير حقيقي. فهم يرون أنّ اتّباعهم ديانة آباءهم أمر مقدّس، ومن خالف دينهم قد ارتكب معصية كبرى.

الردّ على المغالطة: عبّر النبيّ شعيب عن النبوءة بالرّزق على وجه التّشبيه في قوله ﴿**أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا**﴾ مشاكلة لقولهم: ﴿**أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ**﴾ لأنّ الأموال أرزاق، كما أفادت صيغة القصر بالقلب في قوله ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ**﴾ تأكيد مراده وهو الإصلاح في جميع أوقات استطاعته. ووجه انتقادهم في قوله ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ**﴾ ليبيّن لهم وجه الخطأ ثمّ يعقبه ببيان ما يصلح خطأه، فتعلّق "**إلى ما أنهاكم**" بفعل (أريد) وكذلك ﴿**أَنْ أُخَالِفَكُمْ**﴾ يتعلّق بـ (أريد) على حذف حرف لام الجرّ. والتقدير: ما أريده هو الإخلاص وليس خلافكم، فقصدي هو تحقيق الخير. ولما بيّن لهم حقيقة

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 142/12.

عمله أشار إلى أنّ التوفيق في ذلك يأتي من الله فقال "وما توفيقي إلّا بالله" مؤكّدا أنّ إرادته للإصلاح هي بفضل الله وهديه.[1]

يوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية / اتّهام شعيب بأنّ صلواته تأمره بأن يحملهم على ترك ما يعبد آباؤهم.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

اتّبعاهم عقيدة آباءهم وتكذيب شعيب ⟵ إذن⟵ القول المضمر

↓

العناد والكفر الكذب والافتراء على نبيّ الله شعيب.

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (36) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(37)**﴾ [القصص: 36-37]

في الآية إخبار عن المحاورة التي دارت بين موسى مع فرعون وملئه، وعرضه الآيات الباهرة التي منحها الله له كدليل على رسالته، وعندما أصبحوا على يقين أنّ هذه الآيات من عند الله، تحوّلوا من كفرهم وبغيهم إلى العناد والمباهتة، وقالوا أنّ ما قدّمه موسى سحر مفترى، والإشارة في قوله: ﴿**وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا**﴾ إلى ادعاء الرّسالة من عند الله؛ أي ما سمعنا من يدعوا آباءنا إلى مثل ما تدعو إليه فالكلام على حذف مضاف دلّ عليه حرف الظّرفية، أي في زمن آبائنا.[2]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 145/12.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 119/20.

فالمشركون هنا عمدوا إلى العزوف عمّا دعاهم إليه موسى –عليه السلام– لأنّ آباءهم وأجدادهم لم يُدعوا لهذا، وما دام الأمر هكذا فقد اتّخذوا من انتفاء بلوغ هذه الدعوة لآبائهم الأوّلين التي لم تصل إليهم بواسطتهم دليلا على بطلانها، هذا بدلا عن الإتيان بدليل منطقي يُفسّر إعراضهم عن دعوة نبيّ الله موسى. فراحوا يلفّقون حججا باطلة لأنّهم لم يجدوا لهم حجّة إلا أنّه جديد عليهم، ولم يسمعوا به في آبائهم.

نوع المغالطة: تدخل هذه المغالطة ضمن مغالطة السبب الزائف ومغالطة الاحتكام إلى سلطة الأجداد، فدليلهم سبب زائف في بطلان دعوة موسى. وفي هذا الكلام خرق لأحد مبادئ الحوار وهو مبدأ الكيف الذي ينتج عنه بالضرورة استلزام حواري، لأنّ ردّ قوم موسى غير صحيح، ولا يملكون ما يثبت صحته.

ردّ القرآن على المغالطة: ردّ موسى على قومه كلامهم بمثله حين صرّحوا بتكذيبه واستدلوا على قولهم بأنّ ما جاء به موسى شيء ما علمه آباءهم، فلما تمسّكوا بعلم آبائهم تمسّك موسى بعلم الله تعالى، والأداة المدعمة لجواب موسى، التعبير بالفعل الماضي في جانب الهدى بقوله ﴿**رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ**﴾ وبالفعل المضارع في جانب ﴿**وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ**﴾؛ لأنّ المجيء بالهدى المحقّق والمزعوم أمر قد تحقّق ومضى سواء كان الجائي به موسى أم آباؤهم الأوّلون وعلماؤهم. وأمّا كيان عاقبة الدار لمن فمرجو لما يظهرْ بعدُ، وفي هذه الجملة تعريض بالوعيد بسوء عاقبتهم. وفي قوله ﴿**رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ**﴾ إشهاد لله تعالى، فهو أعلم بتعيين الجائي بالهدى أنحن أم أنتم.[1]

يوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

-الحجّة المغالطية / رفض دعوة موسى

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 120/20.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

أنّ آباؤهم لم يُدعوا لهذا← إذن← القول المضمر

↓

العناد والكفر الكذب والافتراء على نبيّ الله موسى.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(10) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ(11)﴾ [إبراهيم: 10-11]

في الآية فعل كلامي توجيهي استفهام إنكاري في قوله **﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**، وموقع الإنكار هو وقوع الشّك في وجود الله، وعلّق اسم الجلالة بالشّك، حيث يدلّ اسم العلم على الذات. والمقصود إنكار وقوع الشّك في أهمّ الصّفات الإلهية وهي صفة التفرّد بالإلهية أو الوحدانية. وجملة "يدعوكم" حال من اسم الجلالة، أي يدعوكم أن تنبذوا الكفر ليغفر لكم ما أسلفتم من الشّرك وفي ردّهم عل الرّسل قالوا **﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾** أرادوا إفحام الرسل بقطع المجادلة، فنفوا اختصاص الرسل بشيء زائد في صورتهم البشرية يُظهر أنّ الله اصطفاهم دون غيرهم بأن جعلهم رسلا عنه، فطالبوا رسلهم بتقديم حجّة محسوسة تثبت أنّ الله اختارهم للرّسالة عنه، وحسبانهم بذلك التعجيز. وقد عبّروا عن دينهم بالموصولية في قوله ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ لما تؤذن به الصلة من التنويه بدينهم بأنّه متقلَّد آبائهم الذين يحسبونهم معصومين من اتّباع الباطل.[1]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 200/14.

نوع المغالطة هنا مغالطة الاحتكام إلى سلطة الآباء والتقاليد، وهذا عذرهم الواهي الّذي اتخذوه كلّما عجزوا عن الردّ ولم يجدوا حجّة يستدلون بها، فيخبرون أنّهم على دين آبائهم ولن يخالفوهم في ديانتهم.

ردّ القرآن على المغالطة: ردّ الرّسول عليهم بطريقة **مجاراة الخصم فيما يقول، ثمّ التعقيب عليه بما يقلب عليه نتائج قوله،** أو القول بالموجب، حيث سلّم الرسل بالمقدّمة التي بنى عليها الأقوام رفضهم، وليس قولهم ﴿**إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾ تقرير للدليل ولكنّه تمهيد لبيان غلط المستدل في الاستنتاج من دليله، ولكنّهم نقضوا النتيجة بقولهم ﴿**وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾ فكأنّهم قالوا لهم أنتم على حقّ فيما قلتم فنحن بشر، لكن ما تريدون أن تبنوا عليه من إثبات أنّنا لسنا أنبياء باطل، لأنّ الله قد منّ علينا، فهو يمنّ على من يشاء من عباده والأداة المدعمة لقوة الإنجاز هي الاستدراك، فالاستدراك رفع لما توهّموه من كون المماثلة في البشرية مقتضى الاستواء في كلّ خصلة.[1]

– القرآن أساطير الأوّلين:

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(31)**﴾ [الأنفال: 31]

يُخبر الله تعالى في الآية (31) من سورة الأنفال عن كفر المشركين وذكر بهتان آخر من حجاج هؤلاء ومن عجيب بهتانهم أنّ محمد (ﷺ) تحدّاهم بمعارضة سورة من القرآن، فعجزوا عن ذلك وأفحموا، ثمّ اعتذروا بادّعائهم أنّ ما في القرآن أساطير الأوّلين وأنّهم قادرون على الإتيان بمثله، ومعنى ﴿**قَدْ سَمِعْنَا**﴾: قد فهمنا ما تحتوي عليه، لو نشاء لقلنا مثلها، وفي قولهم: ﴿**لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا**﴾ **إيهام** بأنّهم ترفعوا عن معارضته، وأنّهم لو شاءوا لنقلوا من أساطير الأوّلين إلى العربية ما يوازي قصص القرآن، فجاءت المخالفة بين شرط (لو) وجوابها إذ جعل شرطها مضارعا والجزاء ماضيا، والتقدير: لو نشاء أن

[1] محمد أبو زهرة، كتاب المعجزة الكبرى القرآن، د. ط (دار الفكر العربي، د. ت)، ص410.

نقول نقولُ، ولو شئنا القول في الماضي لقلنا فيه، فهم لما قالوا ﴿**لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا**﴾ ادّعوا القدرة على قول مثله في الماضي وفي المستقبل اغراقا في النَفاجة والوقاحة.[1]

نوع المغالطة: ووجه المغالطة هنا هو اتخاذهم عذرا جديدا من معاذيرهم الكاذبة، بعدما تحجّجوا باتّباع آبائهم وأجدادهم، وعذرهم الجديد أنّ القرآن من قصص الأوّلين وليس كلام الله إنّما افتراه محمد. وهذا هو سبب إعراضهم كما يدّعون، ونوع هذه المغالطة هي **مغالطة السبب الزائف**.

ويوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية / اعتذارهم عن كفرهم بأنّ القرآن من قصص الأوّلين، افتراه محمد.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

أنّهم قادرون على الإتيان بمثله⟵ إذن⟵ القول المضمر

↓

تكذيب محمد والافتراء عليه.

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5)**﴾ [الفرقان: 4-5]

بنية الفعل الكلامي: في الآيات **إخبار** عن أحوال المشركين التي تقدّم ذكر بعضها في استكبارهم وإنكارهم الوحدانية، وتقديمهم الأعذار الواهية لإنكار نبوءة محمد (ﷺ)، فهدفهم تضليل النّاس وصدّهم عن الإسلام، واسم الإشارة إلى القرآن في قوله ﴿... **هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ**﴾

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 331/9.

حكاية لقولهم حين يسمعون آيات القرآن، فزعموا أنّه كذب وافتراء، وأعانه على ما يقوله من القرآن قوم آخرون لقّنوه بعض ما يقوله، وأرادوا بهؤلاء القوم الآخرين اليهود، والأداة المدعمة لهذا القول **القصر** المستفاد من قوله ﴿ **إِنْ هُذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ**﴾ وهو قصر قلب، زعموا به رد دعوى أنّ القرآن منزّل من عند الله، أرادوا أنّ هذا القرآن لا يخلو أن يكون افترى بعضه من نفسه، وأعانه قوم على بعضه. وفي الآية (5) من سورة الفرقان الضمير في (**قالوا**) عائد إلى الذين كفروا، وقائل هذه المقالة هو النضر بن الحارث العبدري، كان يقول في القرآن: هو أساطير الأوّلين وقصص من قصص الماضين، وجملة (**اكتتبها**) نعت أو حال لـ ﴿**أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾. وصيغة الافتعال في اكتتاب تدل على التكلّف لحصول الفعل، أي حصوله من فاعل الفعل، فيفيد قوله "**اكتتبها**" أنّه تكلّف أن يكتبها، والمقصود بالتكلّف في الآية أنّه لما كان النبيّ (ﷺ) أميّا سأل من يكتبها له، فكان إسناد الاكتتاب إليه إسنادا مجازيا لأنّه سببه، والقرينة ما هو مقرّر لدى الجميع من أنّه أميّ لا يكتب، ومن قوله ﴿**فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ**﴾ لأنّه لو كتبها بنفسه لكان يقرأها بنفسه، وهذا الكلام للنضر بلفظه أو بمعناه الذي أراد ترويجه لأنّه علم أنّ هذا الزور مكشوف قد لا يُقبل عند النّاس لعلمهم بأنّ النبيّ أميّ فكيف يستمد قرآنه من كتب الأوّلين فهيّأ لقبول ذلك أنّه كتبت له.[1]

نوع المغالطة: المشركون احتجوا في هذه المرّة عن كفرهم بأنّ القرآن من أساطير الأوّلين، وهو من تأليف النبيّ محمد وأعانه عليه ناس آخرون. هذا بدل مواجهته بالحجّة بعد أن تحداهم بالإتيان بمثله، أمام هذا العجز راحوا يختلقون قصصا وخرافات واهية تمويها منهم، وادّعوا أنّهم لو شاءوا لنقلوا من هذه الأساطير وقالوا كما قال محمّد. ووجه المغالطة هنا هي **مغالطة تجاهل المطلوب**، لأنّهم عدلوا عن المطلوب منهم

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 325/18.

وتهرّبوا منه وهو ما تحداهم به الرّسول (ﷺ)، وراحوا يبرهنون على أنّ القرآن من أساطير الأولين، ظنّا منهم أنّهم أجابوا على المطلوب.

ردّ القرآن على المغالطة: لقّن الله رسوله الجواب بأنّه أنزله على رسوله في قوله ﴿**قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [الفرقان: 6] وفي قوله ﴿**إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ ترغيب لهم في الإقلاع عن هذه المكابرة وفي اتّباع دين الحقّ ليغفر لهم ويرحمهم، وذلك تعريض بأنّهم إن لم يقلعوا ويتوبوا حقّ عليهم الغضب والنقمة. ولدعم القوّة الإنجازية لهذا الجواب استعان السياق القرآني بـ: التعبير عن منزّل القرآن بطريق الموصول لما تقتضيه الصلة من استشهاد الرّسول الله على ما في سرّه لأنّ الله يعلم كلّ سرّ في كلّ مكان، وفي جملة الصّلة كناية عن مراقبته الله فيما يبلّغه عنه، وفي ذلك إيقاظ لهم بأن يتدبّروا في هذا الّذي زعموه إفكًا أو أساطير الأوّلين، فيوقنوا أنّ القرآن لا يكون إلّا من إنزاله، وليعلموا براءة الرسول ص من الاستعانة بمن زعموهم يعينونه. والتعريف في (السرّ) تعريف الجنس يستغرق كلّ سر.[1]

والأسلوب الذي اعتمده القرآن في دحض دعوى المشركين الباطلة **الاستدلال بالتّحدّي على صدق الدّعوى:** ومن هذا المسلك معارضة المشركين للرّسول (ﷺ) في القرآن الكريم، وتشكيكهم في نسبته إلى الله تعالى، فأكثروا الخوض فيه، فقالوا إنّ الرّسول (ﷺ) كاذب فيما يدّعيه من أمر الرّسالة والوحي، وأنّ الرسول جمع أخبار الأمم الماضية واكتتبها ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: 5] فهو من وضع البشر وليس من عند الله. فقد تحدّاهم القرآن وأفحم المشركين في التحدّي بإعجاز القرآن العظيم في مواضع كثيرة من كتابه العزيز ومنها قوله: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ**﴾ [الإسراء: 88] نزلت حين

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 326/18.

قال الكفّار﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾ اللّام في قوله لئن موطئة للقسم وجملة ﴿**لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ**﴾ جواب القسم المحذوف، وذكر الانس مع الجنّ لقصد التعميم، أي لو تواردت عقول الانس والجنّ واتحدت آراءهم على أن يأتي كلّ واحد منهم بمثل هذا القرآن لما أتوا بمثله، والمراد بالمماثلة للقرآن من نواحي الإعجاز القرآن اللّفظي والعلمي في مجموع الفصاحة والبلاغة والمعاني والآداب والشّرائع، فقد تحدّى القرآن بلغاء المشركين بالإعجاز.[1] ثمّ تحداهم بعد أن عجزوا عن الإتيان بمثله بأن يأتوا بعشر سور من مثله في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ١٣﴾ [هود: 13] ثمّ تحدّاهم بعد أن عجزوا عن الإتيان بعشر سور مثله بأن يأتوا بسورة من مثله في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ٢٣﴾ [البقرة: 23]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية / إنكار نبوءة محمّد.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

محمد افترى القرآن من عنده أو أعانه عليه قوم آخرون← إذن← القول المضمر

↓

الكذب والافتراء على نبيّ الله محمد.

- **سؤالهم الرّسول أن يأتيهم بالمعجزات:**

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 202/15، 203.

وقوله ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(32)وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)﴾ [الأنفال: 32-33]

عن البيضاوي أنّه لما قال النضر إنّ هذا القرآن ليس إلّا أساطير الأوّلين. قال له النبيّ (ﷺ): "ويلك إنّه كلام الله" فقال ذلك."[1]

بنية الفعل الكلامي: في الآية الكريمة فعل كلامي مباشر **الأمر** (أمطر، آتنا)، والمعنى المستلزم منه **التهكم** وإظهار اليقين والجزم التّام على كونه باطلا،[2] والمعنى إنّ هذا القرآن ليس حقّا من عندك فإن كان حقّا منزّلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على إنكاره، أو ائتنا بعذاب أليم سواه. وقد علّق الشّرط بحرف (إن) لأنّ الأصل فيها عدم اليقين بوقوع الشّرط، فهم غير جازمين بأنّ القرآن حقّ ومنزّل من الله بل هم موقنون بأنّه غير حقّ، وقد استعمل لفظ (أمطر) استعارة أو مجازا لأنزل، وقوله سبحانه (من السّماء) صفة حجارة وذكره للإشارة أنّ المراد بها السّجيل والحجارة المسومة للعذاب، وهذا يقتضي أنّهم جزموا بأنّه ليس بحق وليس الشّرط على ظاهره حتى يفيد تردّدهم في كونه حقا ولكنّه **كناية** عن اليمين وقد كانوا لجهلهم وضلالهم يحسبون أنّ الله يتصدّى لمخاطرتهم، فإذا سألوه أن يمطر عليهم حجارة إن كان القرآن حقا منه أمطر عليهم الحجارة وأرادوا أن يظهروا لقومهم صحة جزمهم بعدم حقية القرآن فأعلنوا الدعاء على أنفسهم بأن يصيبهم عذاب عاجل إن كان القرآن حقا من الله ليستدلوا بعدم نزول العذاب على أنّ القرآن ليس من عند الله. وكلامهم هذا جار مجرى القسم، وذلك أنّهم يقسمون بطريقة الدّعاء على أنفسهم إذا كان ما حصل في الوجود على خلاف ما يحكونه ويعتقدونه، وهم يحسبون أنّ دعوة المرء على نفسه مستجابة، وهذه طريقة شهيرة في كلامهم.[3]

نوع المغالطة: ونوع المغالطة هنا هي **مغالطة المآل** فقد ربط هؤلاء المشركون صدق النّبيّ أو كذبه فيما جاءهم به من كتاب القرآن على نتيجة هي إصابتهم بالعذاب وإلّا لن يؤمنوا بما جاءهم به إن لم يروا العذاب.

[1] البيضاوي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، المجلد2، 18/9.

[2] البيضاوي، المجلّد الثّاني، 9/ 626.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 332.331/9.

ردّ القرآن على المغالطة: اعتمد القرآن **منهج الجدل** في جدال المشركين الذين قالوا عن القرآن أنّه مفترى من دون الله، فأجابهم القرآن بقوله ﴿**وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ [الأنفال: 37] ثمّ قالوا: افتراه محمد من عند نفسه وأعانه عليه قوم آخرون، فكان جواب الله لكلمتهم الشنعاء في هذه الآية قوله ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**﴾ كناية عن استحقاقهم العقاب وفي هذه الآية جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان لما كان الموجب لإمهالهم وعدم إجابة دعائهم، لأنّه جعل وجوده بين ظهراني المشركين مع استحقاقهم العقاب سببا في تأخير العذاب عنهم، أمّا قوله ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ جملة معترضة انتهزت بها فرصة التهديد بتعقيبه بترغيب على عادة القرآن في تعقيب الوعيد بالوعد، وهذا تعريض بأنّه يوشك أن يعذّبهم إن لم يستغفروا، فبعد أن هدّد المشركين بالعذاب ذكّرهم بالتوبة من الشّرك بطلب المغفرة من ربّهم، جملة ﴿**وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ حال مقدّرة، والمعنى وما كان الله معذّبهم لو استغفروا.[1]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية / ادّعاء المشركين أنّ القرآن ليس كلام الله

↓

يقتضي/المقتضى

↓

قولهم إن كان حقا فأنزل علينا العذاب ⟵ إذن⟵ القول المضمر

↓

المكابرة والكفر.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 334/9.

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158)﴾ [الأنعام: 158]

استئناف بياني نشأ عن قوله: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ [الأنعام: 157] وهو يحتمل معنى **الوعيد والتهديد** الناشئ عن جملة: ﴿**سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا**﴾ أي متى يكون جزاؤهم، ويحتمل أيضا معنى **التهكّم** الناشئ عن جملة ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا**﴾ وذلك تهكّم بهم لترقبّهم إلى آيات أخرى فضلا عن الآيات التي جاءتهم. والفعل الكلامي التوجيهي الطلبي **الاستفهام** بالأداة "هل" في قوله: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ**﴾ استفهام إنكاري، ومعنى الحصر في الآية أنّهم ما ينتظرون بعد الآيات الّتي جاءتهم ولم يقتنعوا بها إلّا الآيات الّتي اقترحوها وسألوها وشرطوا أن لا يؤمنوا حتّى يُجاؤوا بها، وإن فرض لهم انتظار فإنّما هو انتظار ما سيحلّ بهم من عذاب الآخرة أو عذاب الدنيا، فيكون الاستثناء تأكيدا للشّيء بما يشبه ضدّه، والمراد أنّهم لا ينتظرون شيئا ولكن سيجيئهم ما لا ينتظرونه، فالفعل المتضمّن في القول هو **تهديد** و**وعيد** للكافرين بالله والمكذّبين بآياته، **التهديد والوعيد** من الأفعال الكلامية الالتزامية بتعبير سيرل وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلّم بفعل شيء ما في المستقبل، والمتكلّم في الآية الله عزّ وجلّ الذي لا يخلف وعده، فقد توعدّهم سبحانه وتعالى بالعذاب جزاء كفرهم وتكذيبهم. وفي قوله ﴿**أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ**﴾ فالإتيان بالنّسبة إلى الملائكة حقيقة والمراد بهم: ملائكة العذاب، وأمّا المسند إلى الربّ فهو مجاز، والمراد به: إتيان عذابه العظيم، وجملة ﴿ **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا**﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا تذكيرا لهم بأنّ الانتظار والتريّث عن الإيمان وخيم العاقبة، فحين ينزّل العذاب لا تبقى فسحة لتدارك ما فات لأنّ الله إذا أنزل عذابه على المكذّبين لم ينفع عنده توبة،[1] وجملة ﴿**لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ**﴾ صفة "نفسا"، وهي صفة مخصّصة لعموم "نفسا"، أي: النفس التي لم تكن آمنت من قبل إتيان بعض الآيات لا ينفعها إيمانها إذا آمنت عند نزول العذاب،

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 184/8، 185، 186.

فصفة ﴿**لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ**﴾ تحذير للمشركين من التريّث عن الإيمان خشية أن يبغتهم يوم ظهور الآيات. وهم المقصود من السّياق.[1]

نوع المغالطة هي **مغالطة المآل**، فهؤلاء المشركين رفضوا تصديقهم لآيات الله التي جاءتهم حتّى تأتيهم الآيات التي اقترحوها تعنّتا منهم وكفرا، فشرطوا إيمانهم بمجيء هذه الآيات.

الردّ على المغالطة: ﴿**قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**﴾ أمر الله رسوله (ﷺ) بأن يهدّدهم ويتوعدّهم على الانتظار، إن كان واقعا منهم، فاشتملت الآية على وعيد ووعد مجملين؛ أي دوموا انتظاركم فنحن منتظرون.[2]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية / تكذيبهم الآيات التي جاء بها الرسل.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

اقتراحهم آيات شرطوا إيمانهم بمجيئها← إذن← القول المضمر

↓

الكفر والعناد.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (8) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (9)﴾ [الأنعام: 7-9]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 187/8، 189.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، 191/8.

الخطاب في الآية (7) موّجه للنّبيّ (ﷺ) لأنّ كلّ ما ينزل من القرآن موّجه إليه لأنّه المبلّغ، سبب نزولها "أنّ مشركي مكّة قالوا: يا محمد، والله لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة، يشهدون أنّه من عند الله، وأنّك رسوله، فنزلت هذه الآية."[1]

الفعل المتضمّن في القول: الإعراض عن آيات الله، والمكابرة والعناد، والإصرار على الرفض والإنكار والتعنّت، وفي هذا خرق لمبدأ الكيف فعلى الرغم من وجود البرهان وهو كتاب منزّل من السّماء على أشرف الخلق سيّدنا محمّد –صّلى الله عيه وسلم– فرأوه بأبصارهم ولمسوه بأيديهم ولم يؤمنوا وادّعوا أنّ هذا الكتاب سحر، وقوله: "**في قرطاس**" صفة لكتابا، والظرفية مجازية من ظرفية اسم الشيء في اسم جزئه. وهو اسم للصحيفة التي يكتب فيها يكون من رقّ ومن بَرْدي ومن كاغد، وقوله "**فلمسوه**" عطف على نزّلنا، وقوله "**بأيديهم**" تأكيد معنى اللّمس لرفع احتمال أن يكون مجازا في التّأمل، وللإفصاح عن منتهى ما اعتيد من مكابرتهم ووقاحتهم في الإنكار والتّكذيب، وللتمهيد لقوله ﴿**لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ لأنّ المظاهر السّحرية تخيّلات لا تلمس. وجيء بالموصول في قوله "**الذين كفروا**" لأنّه يُؤذن بالتّعليل، كما قال "**فلمسوه**" إظهارا في مقام الإضمار لقصد تسجيل أنّ دافعهم إلى هذا التعنّت هو الكفر. ومعنى ﴿**إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ أنّهم يغالطون أنفسهم ويغالطون قومهم لستر مكابرتهم ولدفع ما ظهر من الغلبة عليهم. وهذا شأن المغلوب المحجوج أن يتعلّق بالمعاذير الكاذبة. وقوله ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ**﴾ عطف على قوله ﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا**﴾ وفيه **إخبار** عن عنادهم لاقتراحهم آية يصدّقون بها النبيّ (ﷺ) وهذه الآية أن ينزّل عليهم ملك يشاهدونه ويخبرهم بصدقه، ففي سيرة ابن إسحاق أنّ هذا القول واقع، فمن المشركين من أرسل إلى النبيّ ص: سل ربّك أن يبعث معك ملكا يصدّقك بما تقول ويراجعنا عنك. ولولا للتحضيض بمعنى هلّا، والتحضيض مستعمل في التعجيز على حسب اعتقادهم. والفعل المتضمن في القول هو السخرية والاستهزاء بالرسول ص، وتعجيزه في نفس الوقت.[2]

نوع المغالطة: ونوع المغالطة **مغالطة السخرية**، فقد استهزئ مشركو مكّة من الرّسول (ﷺ)، لأنّهم حين اقترحوا هذه الآية كانوا على يقين أنّ ذلك لا يكون.

[1] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ص426.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، 141/7، 143.

الردّ على المغالطة: إنّ مشركي مكة لما سألوا النبيّ أن يريهم ملكا معه ظنّوا مقترحهم تعجيزا، فأنبأهم الله تعالى بأنّهم اقترحوا أمرا لو أجيبوا إليه لكان سببا في مناجزة هلاكهم الذي أمهلهم إليه فيه رحمة منه، فقال ﴿**وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ**﴾ فقد ردّ الله عليهم **بإبطال ظاهر كلامهم** والمعنى لو أنزلنا ملكا على الصفة التي اقترحوها يكلّمهم لقضي الأمر، أي أمرهم، فاللام عوض عن المضاف إليه بقرينة السياق، أي لقضي أمر عذابهم الّذي يتهدّدهم به. فقد هدّدهم الله بأنّهم سيحيق بهم العذاب وأنّ ذلك سنّة الله في كلّ أمّة استهزأت برسول له وذلك في قوله ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [الأنعام: 10] ولدعم القوة الإنجازية لفعل التهديد استعان السياق القرآني بمؤشرات لغويّة منها: لام القسم، وقد التحقيق وكلاهما يدلّ على تأكيد الخبر.[1]

يوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية /الأصنام تشفع لهم عند الله.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

إنكارهم العذاب وتصميمهم على الكفر ← إذن ← القول المضمر

↓

تضليل النّاس، التصميم على الكفر، الكذب والافتراء على الله.

قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (47) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (48)**﴾ [القصص: 47-48]

بنية الفعل الكلامي: في الآية فعل كلامي مباشر تمثّل في **الإخبار** عن عناد المشركين وتعنّتهم وإنكارهم إعادة خلق النّاس، وتقديمهم أعذارا واهية تغطية لكفرهم وتأجيل عقوبة كفرهم، فكان عذرهم هذه المرّة

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 144/7، 147.

أن يرسل لهم الله رسولا يبلّغهم آياته فيتبعونه. المعنى لولا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربّنا هلّا أرسلت إلينا رسولا يبلّغنا آياتك فنتبّعها ونكون من المصدّقين، فقال تعالى (**ما أرسلناك**) أي إنّما أرسلناك قطعا لِعُذْرِهم وإلزاما للحجّة عليهم. ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ يعني الرّسولَ المصدَّقَ بنوع من المعجزات. ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فلمّا جاءهم الحقّ من عندنا قالوا ﴿وْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾: هذا عذر آخر من معاذيرهم الكاذبة في الإعراض عن الدّعوة مع أنّهم قد أُرسل إليهم رسول بالحقّ، فلما جاءهم الحق لفّقوا المعاذير قالوا: لا نؤمن به حتّى نُؤتى مثل ما أتي موسى من الكتاب جملة واليدِ والعصا وغيرها اقتراحا وتعنّتا. ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ بل أنّ المشركين كانوا يجحدون رسالة الرسل قاطبة، ولتدعيم القوّة الإنجازية استعان السّياق بالاستعارة حيث شبّه الحق بشخص لإثبات المجيء إليه، وشبّه سماعه بمجيء الشّخص. وقوله ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ قالوا ساحران يعني موسى وهارون، أو موسى ومحمّد عليهما الصلاة والسلام، قد تعاونا بإظهار تلك الخوارق، والباء السببية في ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي عقوبة كان سببها ما سبق على أعمالهم السيّئة، والتنوين في (بكلّ) تنوين عوض عن المضاف إليه بحسب الاحتمالين إمّا بكلّ من السّاحرين، وإمّا أن يقدّر بكلّ من ادّعى رسالة.[1]

نوع المغالطة: نوع المغالطة هنا مغالطة **السبب الزائف** فقد اتّخذ هؤلاء المشركين معاذيرهم الكاذبة سببا زائفا يعلّلون به إعراضهم وتولّيهم، ومن هذه الأعذار طلبهم إرسال رسول فيتبعون ما آتاهم من آيات ثمّ طلبوا نزول كتاب من السّماء مثل كتاب موسى، بينما كان السبب الحقيقي في إعراضهم هو التعنّت والعناد والكفر.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 137/20، 138.

ردّ القرآن على المغالطة: اعتمد القرآن في الرّد على مغالطة المشركين بأسلوب **إبطال دعوى الخصم بإظهار تناقضها مع جرى عليه الجنس البشري،** حيث أرشد الله نبيّه أن يردّ على قومه من قريش القائلين له ﴿**لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ**﴾ أو لم يكفر الذين علموا هذه الحجّة من اليهود بما أوتي موسى من قبلك فكأنّ الله يريد أن يقول لهم دعواكم غير صحيحة ولو أوتي مثل ما أوتي موسى ما آمنتم به، والدليل على ذلك أنّ موسى أوتي هذا، ومع ذلك كفر به قومه.

يوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية /اعتذارهم عن كفرهم بأن يرسل الله لهم رسولا يتبعون آياته ويصدقون به.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

اعراضهم عن الدعوة واقتراحهم مجيء آيات مثل التي جاء بها موسى ⟵ إذن⟵ القول المضمر

↓

التعنت والعناد والكفر.

قال تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (28) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (29)**﴾ [العنكبوت: 28-30]

بنية الفعل الكلامي: الآية جاءت في سياق **الإخبار** عن حكايات الرسل مع أقوامهم، وفي هذه المرّة قصّة لوط مع قومه، ومن خطاب لوط لقومه يظهر أنّه قد تفشّى فيه الفساد بكلّ ألوانه، حيث كانوا يميلون جنسيا للذّكور بدل الإناث، ولتعديل القوّة الإنجازية لهذا الفعل استعان السّياق القرآني بمؤشّرات لغويّة منها: توكيد الجملة بـ (إنّ) واللّام في قوله:﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ وذلك لتعلّق النّسبة بالمفعول،

والمقصود تحقيق أنّ الّذي يفعلونه فاحشة، أي عمل قبيح بالغ الغاية في القبح، فاستخدم السياق الفعل الكلامي المباشر **الإخبار** الّذي يراد به تحقيق أفعال كلامية غير مباشرة متضمّنة في القول هي التّوبيخ والتأنيب والتقريع والإنكار عليهم في أنّهم من سنّ هذه الفاحشة السيّئة للنّاس، ويلي الإخبار فعل كلامي مباشر **الاستفهام** في قوله ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ والمعنى المستلزم منه مقاميا **التوبيخ**، ثمّ يليه الإخبار عن منكرات قوم لوط التي يأتونها فهم يقطعون السبيل، فينهبون المال، ويعتدون على الرّجال بالفاحشة كرها، إلى جانب السلب والنهب والإفساد في الأرض...ثمّ يلي الإخبار فعل كلامي مباشر **الأمر**(ائتنا) والمعنى المستلزم منه **التعجيز**، وهذا تبجّح في وجه الإنذار، التّحدّي المصحوب بالتّكذيب، وقد أعذر إليهم رسولهم فلم يبق إلّا أن توّجه إلى ربّه طالبا نصره الأخير.[1]

نوع المغالطة: ونوع المغالطة هنا هي **الحيد عن المسألة** (تجاهل المطلوب) فما قاله قوم لوط بمعناه الحرفي ليس إجابة عن السؤال، لأنّ إجابتهم لم تكن إجابة لم تمّ سؤالهم عنه، فقد سألهم نبيّهم عن المنكرات التي يأتونها فأجابوه بأن يأتيهم بعذاب من الله إن كان صادقا، فجاؤوا بحجة باطلة أن يأتيهم بعذاب من الله إن كان من الصادقين.

الردّ على المغالطة: كان ردّ نوح **﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾** [العنكبوت: 30] وأراد بالنّصر عقاب المكذّبين ليريهم صدق ما أبلغهم من رسالة الله، ووصفهم بـ "المفسدين" لأنّهم يفسدون أنفسهم بشناعات أعمالهم يفسدون النّاس بحملهم على الفواحش وتدريبهم بها، وفي هذا الوصف تمهيد للإجابة بالنّصر لأنّ الله لا يحبّ المفسدين.[2]

يوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية / تكذيب القوم للوط عند سؤالهم عن إتيانهم المنكرات.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 240/20.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، 241/20.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

تحدّيهم له عليه السلام وإجابتهم له أن يأتيهم بعذاب الله إن كان صادقا← إذن← القول المضمر

↓

العناد والمكابرة.

- **إنكار البعث ويوم القيامة:**

قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (10)**﴾ [السجدة: 10]

بنية الفعل الكلامي: في الآية الكريمة فعل كلامي مباشر تمثّل في **الإخبار** عن تعنّت المشركين وإصرارهم على الكفر، والأداة المدعمة لفعل الإخبار واو للحال في قوله تعالى "**وقالوا**" والحال للتعجيب منهم كيف أحالوا إعادة الخلق وهم يعلمون النّشأة الأولى وخاصة بدء خلق آدم عن عدم، فأيّهما أعجب الإعادة أم بدء الخلق، ويلي فعل **الإخبار** فعل كلامي توجيهي، **الاستفهام** في ﴿**أَإِذَا ضَلَلْنَا**﴾ والمعنى المستلزم منه **التعجّب** و**الإحالة**، ولدعم القوّة الإنجازية للأفعال استخدم السياق القرآني مؤشرات لغويّة منها: التّأكيد بحرف (إنّ)، وقد تمّ تأكيد جملة ﴿**أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ لأنّهم حكوا القول الّذي تعجّبوا منه وهو تجديد الخلق. و(بل) من ﴿**بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ**﴾ إضراب عن كلامهم، أي ليس إنكارهم البعث للاستبعاد والاستحالة إنّما الباعث على إنكارهم هو كفرهم بلقاء الله لكنّهم أظهروه في صورة الاستبعاد تشكيكا للمؤمنين وترويجا لكفرهم، كما جيء بالجملة الاسمية لإفادة الدوام على كفرهم والثّبات عليه.[1]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 218/21، 219.

فقد غالط المشركون حين استحالوا البعث وإعادة خلق النّاس مع أنّهم شهدوا بداية الخلق الأولى، وهذا لأنّ كفرهم وتعنّتهم جعلهم ينكرون ذلك من أجل تمويه وتضليل المسلمين وإدخال الشّك في قلوبهم.

ردّ القرآن على المغالطة: جملة (قل) في قوله ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾ [السجدة: 11] في معنى جواب لقولهم ﴿**وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ في الآية فعل كلامي توجيهي الأمر حيث أُمر الرّسول أن يعيد إعلامهم بأنّهم مبعوثون بعد الموت، والفعل المتضمن في القول هو التخويف والوعيد والأداة المدعمة لهذا الفعل الإنجازي إدماج لفظة (ملك الموت) لزيادة التخويف من الموت والتعريض بالوعيد، وفيه إبطال لجهلهم بأنّ الموت بيد الله تعالى، وأنّه كما خلقهم يميتهم وكما يميتهم يحييهم، وأنّ الإماتة والإحياء بإذنه، وإذا كان موتهم بفعل ملك الموت الموكل من الله بقبض أرواحهم ظهر أنّها مردودة إليهم أرواحهم متى شاء الله.[1]

قال تعالى: ﴿**وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (8)**﴾ [هود: 7-8]

بنية الفعل الكلامي: في الآية (7) **إخبار** عن تكذيب المشركين بالبعث فكلّما أخبروا به لا يتردّدون في عدم إمكان حصوله، والقوّة الإنجازية للفعل مدعمة بجملة من المؤشّرات اللّغوية منها: واو الحال في قوله: ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ فالجملة حال من فاعل ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ والتّقدير: فعل ذلك الخلق العجيب والحال أنّهم ينكرون ما هو دون ذلك وهو إعادة خلق النّاس، ووجه جعلها جملة شرطية إفادة تجدّد التكذيب عند كلّ إخبار بالبعث. وفي قوله: ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ تأكيد للجملة باللّام الموطئة للقسم وما يتبعه من نون التّوكيد

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 220/21.

لتنزيل السّامع منزلة المتردّد في صدور هذا القول منهم لغرابة صدوره من العاقل، فاستخدم السّياق الفعل الكلامي المباشر وهو **الإخبار** الذي يراد به تحقيق فعل إنجازي متضمّن في القول هو **التعجيب**، فالتأكيد القويّ والتّنزيل أستعمل في لازم معناه وهو التعجيب من حال الّذين كفروا أن يحيلوا إعادة الخلق وقد شاهدوا آثار بدء الخلق وهو أعظم وأبدع. بالإضافة إلى اسم الإشارة (هذا) إشارة إلى المدلول عليه بـ (قُلتَ) وهو الرّسول (ﷺ) المفهوم من ضمير (قلتَ) أي أنّه يقول كلاما يسحرنا به، واستعمل اسم الفاعل (مبين)، أي بيّن واضح أنّه سحر أو أنّه ساحر، ووجه جعلهم هذا القول سحرا أنّ في معتقداتهم وخرافاتهم أنّ وسائل السحر الأقوال المستحيلة والتكاذيب البهتانية.[1]

نوع المغالطة: ونوع المغالطة هنا هي **مغالطة الشّخصنة** وفيها تمّ الطعن في شخص محمد-صلّى الله عليه وسلّم- وتكذيب رسالته ووصفه بصفات تخدش شخصه، فقد نعتوه بالسّاحر بدل مواجهته بالحجّة.

الردّ على المغالطة: ردّ الله تعالى على كلامهم بقوله: ﴿**أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ وفيه إخبار بأنّ العذاب لا يصرف عنهم لكنّه مؤخّر، ووراء الإخبار فعل كلامي غير مباشر هو التهديد والتّخويف وهو أسلوب مألوف في الردّ على المشركين، وقد استعان السّياق بمؤشّرات لغويّة منها: افتتاح الكلام بحرف تنبيه وذلك للاهتمام بتحقيق الخبر وإدخال الفزع في ضمائرهم، كما أنّ في تقديم الظرف إشارة إلى أنّ العذاب آتٍ ولا شك في ذلك، والباء السببية في (به) تبيّن أنّ العذاب الذي توعدّهم به النّبيّ – ﷺ – كان بسبب استهزائهم، وجيء أيضا بالموصول في

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 8/12، 9.

موضع الضمير إشارة إلى أنّ استهزاءهم كان من أسباب غضب الله عليهم حيث توعّدهم بعذاب لن يجدو منه مفرّا.[1]

يوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

- الحجّة المغالطية / إنكار المشركين يوم البعث.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

أنّ القول بالبعث سحر لأنّه من الأقوال المستحيلة⟵ إذن⟵ القول المضمر

↓

تكذيب الدّعوة الاسلاميّة.

- الاحتجاج بالقدر:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (35)﴾ [النحل: 35]

الكلام موجّه إلى النبيّ (ﷺ)، يخبر فيه تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الإشراك واعتذارهم محتجين بالقدر بقولهم **﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾** ومضمون كلامهم أنّه لو كان تعالى كارها لما فعلنا لأنكره علينا **بالعقوبة**، ولما مكّننا منه.[2]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 12/ 11.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 193/4.

بنية الفعل الكلامي: إنّ في قول المشركين في هذه الآية محاولة **لإفحام** وتكذيب الرّسول (ﷺ)، فظنّوا أنّهم خصموا النبيّ (ﷺ) وحاجّوه بقولهم هذا أنّ لو شاء الله أن لا يعبدوا الأصنام لما أقدرهم على عبادتها ولو شاء أن لا نحرم ما حرمنا من نحو البحيرة والسائبة ولما أقرنا على تحريم ذلك، وقد عبّر عن هذا القول بفعل **الإخبار** بقوله ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ وهو فعل كلامي مباشر حرفي صريح. ووجه المغالطة هنا هي عذر المشركين فيما أدلوا به باحتجاجهم لكفرهم بالقدر، فهم يظنّون أنّ الله سبحانه وتعالى هو من يتولّى تحريك النّاس لأعمالهم، وهذا راجع لجهلهم. ولتعديل القوّة الإنجازية لهذا الفعل الإخباري استعان السّياق القرآني بمؤشّرات لغويّة منها: الإشارة بـ (**كذلك**) إلى الإشراك وتّحريم أشياء من تلقاء أنفسهم، أي كفعل هؤلاء فعل الّذين من قبلهم فكانت عاقبتهم ما علمتم وهم المذكورون بقوله ﴿**كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ**﴾ [النحل: 33] وضمير (**نحن**) تأكيد للضمير المتصّل في (**عبدنا**).[1]

نوع المغالطة: ونوع المغالطة هنا **العلّة الفاسدة أو أخذ ما ليس بعلّة علّة**، فالمشركون اتّخذوا القضاء والقدر علّة فاسدة على شركهم واحتجوا على كفرهم وتحريمهم لبعض الذبائح وبعض الأطعمة على أنفسهم بإرادة الله ومشيئته وأنّه لو شاء –حسب زعمهم–لعبدوه وحده دون سواه هم وآباؤهم من قبلهم، وهذا احتجاج باطل، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان باستعداد للهدى وللضلال، وأرسل رسله ليبلّغونا رسالاته وأوامره بعبادة الله وحده واجتناب من كلّ ما عداه، وجعل مشيئة العبد في اختيار أي الطريقين ومنحنا عقولا نميّز بها بين الحق والباطل. فهم أخطأوا في فهم المشيئة الإلهية.

الردّ على المغالطة: جاء الردّ في هذه الآية بإعادة إعلامهم أنّ الرّسل –عليهم السّلام– ما عليهم إلّا البلاغ ومنهم محمد (ﷺ) فاحذروا أن تكون عاقبتكم عاقبة أقوام الرّسل السّالفين، ويتضمّن الإخبار

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 147/14، 148.

أفعال كلامية غير مباشرة منها: **الإنكار** في قوله: ﴿**فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ فالاستفهام إنكاري بمعنى النّفي، ولذلك جيء بالاستثناء بعده، والقصر المستفاد من النّفي والاستثناء قصر إضافي لقلب اعتقاد المشركين من معاملتهم الرّسول (ﷺ) أنّ للرسول غرضا شخصيا فيما يدعو إليه. وفي كلامهم تعليما و**تسلية** للرّسول (ﷺ)، ويتضمّن **تعريضا** بإبلاغ المشركين.[1]

ويوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

- الحجّة المغالطية / احتجاج المشركين عن كفرهم بالقدر

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

أنّه لو شاء الله ما عبدوا من دونه هم وآباؤهم⟵ إذن⟵ القول المضمر

↓

الكذب.

- **الطعن في نبوءة محمّد:**

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (102)﴾ [النحل: 101-102]

تهيّأ المقام لإبطال اختلاق آخر من اختلاقهم على القرآن اختلاقا مموّها بالشّبهات كاختلاقهم السّابق بأنّ القرآن أساطير الأوّلين، فقد تعمّدوا التّمويه فيما يأتي من آيات القرآن مخالفا لآيات أخرى

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 148/14، 149.

لاختلاف المقتضى والمقام واختلاف الأغراض والأحوال التي يتعلّق بها. والمغايرة باللّين الشّدة، أو بالتّعميم والتّخصيص، فيجعلون ذلك اضطرابا من القول. ويقولون أنّ محمّدا يسخر بأصحابه اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه، وأنّه لا يقول هذه الأشياء إلّا من عند نفسه.[1]

والمراد من التبديل في قوله: "**بدلنا**" مطلق التغاير بين الأغراض والمقامات، أو التغاير في المعاني واختلافها باختلاف المقاصد والمقامات مع وضوح الجمع بين محاملها. وقد استعان السّياق بجملة من المؤشّرات اللّغوية منها: نصب الجملة "**مكانَ أخرى**" على الظّرفية المكانية، بأن تأتي آية في الدّعوة والخطاب في مكان آية أخرى أتت في مثل تلك الدّعوة، والمكان هنا مكان مجازي، وهو حالة الكلام والخطاب، كما يسمّى ذلك مقاما، ويشمل التبديل نسخ الأحكام، وجملة ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ**﴾ معترضة بين شرط (إذا) وجوابها. والمقصود منها تعليم المسلمين الردّ على المشركين، كما أنّ حكاية طعنهم في النّبيّ (ﷺ) بصيغة قصر الموصوف على الصفة، فجعلوه لا صفة له إلّا الافتراء، وهو قصر إضافي، و(بل) للإضراب الإبطالي على كلامهم، وهو من طريقة النقض الإجمالي في علم المناظرة، وضمير (أكثرهم) للذين قالوا إنّما أنت مفتر، أي أنّ أكثر القائلين لا يعلمون ولا يفهمون وضع الكلام مواضعه وحمله محامله، وقد حُكم على أكثرهم بعدم العلم أنّ قليلا منهم يعلمون أنّ ذلك ليس افتراء ولكنّهم يقولون ذلك تلبيسا وبهتانا.[2]

نوع المغالطة: وجه المغالطة هنا هو **الاستهزاء** والسخرية من سيّدنا محمّد والطعن في نبوءته.

ردّ القرآن على المغالطة: بعد أن أبطل الله دعواهم عليه أنّه مفتر **بطريقة النّقض** أمر رسوله أن يبيّن لهم ماهية القرآن في قوله ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾، والباء في "**بالحقّ**" للملابسة، وهي

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 284/14.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، 282/14، 284.

ظرف مستقر في موضع الحال من الضمير المنصوب في نزّله، أي ملابسا للحقّ لا شائبة للباطل فيه، وفي قوله "**بالحقّ**" إيقاظ للنّاس بأن ينظروا في حكمة اختلاف أغراضه وأنّها حقّ. وفي تعلّق الموصول وصلته بفعل التثبيت في قوله ﴿**لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ إيماء إلى أنّ حصول ذلك لهم بسبب إيمانهم، فيفيد **تعريضا** بأنّ غير المؤمنين تقصر مداركهم عن إدراك ذلك الحقّ فيختلط عليهم الفهم ويزدادون كفرا ويضلون ويكونُ نذارة هم.[1]

يوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

- الحجّة المغالطية / القرآن افتراه محمّد من عنده.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

يبدّل الآيات فيأمر اليوم بأمر وينهى عنه غدا ⟵القول المضمر

↓

تكذيب النبيّ.

- **السخرية والاستهزاء بالدّين:**

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (47) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50)**﴾ [يس: 47-50]

بنية الفعل الكلامي: في الآية **إخبار** عن شحّ المشركين على فقراء المسلمين على الرّغم على ما هم عليه من الكرم، فكانوا يمنعونهم البذل تشفّيا منهم، ويلي الإخبار فعل كلامي إنجازي، **الاستفهام** بالهمزة في

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 285/14.

"**أنطعم**" وهو المعنى الحرفي، أمّا المعنى المستلزم مقاميا هو **الإنكار** أي لا نطعم من لو شاء الله لأطعمهم بحسب اعتقادهم أنّ الله هو المطعم،[1] **والمعنى المتضمّن في القول: الاستهزاء والسخرية والتعنّت**، فإذا ما دعي المشركون إلى إنفاق شيء من مالهم لإطعام فقراء المسلمين يشحّون عليهم ويمنعونهم البذل تشفيّا منهم، وقالوا ساخرين متعنتين: أنطعم من لو يشاء الله لأطعمه.[2] وإذا كان هذا رزقناه الله فلماذا لم يرزقكم، فلو شاء لأطعمكم كما أطعمنا، ولدعم القوّة الإنجازية لهذا الفعل أُظهرَ الموصول من قوله: "**قال الّذين كفروا**" في مقام الإضمار لنكتة الإيماء إلى أنّ صدور هذا القول منهم إنّما هو لأجل كفرهم ولأجل إيمان الّذين سئل الإنفاق عليهم. وجملة ﴿**إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ من قول المشركين يخاطبون المؤمنين، جعلوا اعتقادهم أنّ الله متصرّف في أحوالنا ضلالا لجهلهم بصفات الله وجعلوه مبينا لأنّهم يحكمون الظواهر من أسباب اكتساب المال وعدمه، والجملة تعليل للإنكار المستفاد من الاستفهام. وفي قوله ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ فعل كلامي مباشر الاستفهام المستعمل كناية عن التهكم والتكذيب، والأداة المدعّمة لهذا الفعل الكلامي اسم الإشارة للوعد المستعمل في الاستخفاف بوعد العذاب، فهذا استهزاء آخر بالمؤمنين في تهديدهم المشركين بعذاب يحلّ بهم فكانوا يسألونهم هذا الوعد استهزاء بهم بقرينة قوله ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾.[3]

نوع المغالطة: ونوع المغالطة في هذا المقام هي **مغالطة السخرية**، فقد سخر المشركون من المسلمين واستهزءوا بدينهم لما طُلب منهم الإنفاق من مالهم على فقراء المسلمين بعلّة أنّ الله لو شاء لأطعمهم.

ردّ القرآن على المغالطة: ردّ الله تعالى على مغالطتهم بقوله ﴿**مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ**﴾ فأعلمَ رسوله (ﷺ) والمؤمنين بأنّ الوعد واقع لا محالة وأنّهم ما ينتظرون إلّا صيحة

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 32/23.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن العظيم، المجلد 5، 2970/23.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، 32/23، 33.

تأخذهم فلا يفلتون من أخذتها، وفي الآية إعراض عن جوابهم لأنّهم لم يقصدوا حقيقة الاستفهام فأُجيبوا بأنّ ما أعدّ لهم من العذاب هو الأجدر بأن ينتظروه. وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي في قوله ﴿**وَهُمْ يَخِصِّمُونَ**﴾ لإفادة تقوّي الحكم وهو أنّ الصيحة تأخذهم ﴿**فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ**﴾ كناية عن شدّة السرعة بين الصيحة وهلاكهم فلا يتمكّنون من توصية على أهليهم وأموالهم من بعدهم وقوله ﴿**وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ**﴾ عطف على جملة ﴿**لَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾ فيكون ممّا شمله التفريع بالفاء، أي فلا يرجعون إلى أهلهم، أي أنّهم هالكون.[1]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية / منع المشركين النّفقة على فقراء المسلمين.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

قولهم أنّه لو شاء الله لأطعمهم من رزقه⟵ القول المضمر

↓

التهكّم والتكذيب.

- **إنكار العذاب:**

قال تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (18)**﴾ [يونس: 18]

بنية الفعل الكلامي: ومن حكايات كفرهم أنّهم يعبدون الأصنام ويقولون: ﴿**هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**﴾، فهذا **الفعل الإخباري** الصريح يحمل معنى متضمنا في القول وهو **السخرية والاستهزاء** وإيهام

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 36/23.

أنّه العذر لهم في الاسترسال على الكفر، فكانوا كلّما أنذرهم النبيّ (ﷺ) بعذاب الله قالوا: أنّ آلهتهم ستشفع لهم عند الله. وقد آثر السّياق القرآني استخدام اسم الموصول في قوله ﴿**مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ**﴾ لما تؤذن به صلة الموصول من التنبيه على أنّهم مخطئون في عبادة ما لا يضر ولا ينفع، كما فيه تمهيد لعطف ﴿**وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**﴾ لتحقير رأيهم من رجاء الشّفاعة من تلك الأصنام، فهي لا تملك القدرة على الضرّ أو النّفع في الدّنيا أو الآخرة. وقد أُختيرت صيغة المضارع في (يعبدون) و(يقولون) لاستحضار الحالة العجيبة من استمرارهم على عبادتها، وفي قولهم ﴿**هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**﴾ اعتراف بأنّ الله هو الوحيد القادر على الشّ، وفي تقديم ذكر نفي الضرّ على نفي النّفع لأنّ المطلوب من المشركين الإقلاع عن عبادة الأصنام وأريد الابتداء بنفي الضر لإزالة أوهام المشركين في ذلك الصّادّة لكثير منهم عن نبذ عبادة الأصنام.[1]

نوع المغالطة: نوع المغالطة هنا هي **مغالطة السبب الزائف**، فالمشركون اتّخذوا من عذرهم على كفرهم أنّ آلهتهم ستشفع لهم عند الله سببا زائفا في استمرارهم على عبادة الأصنام. فالحمولة الدلالية التي استعملت في كلمات الآية لا تدلّ في أغلبها على محتواها القضويّ، ممّا يمثّل خرقا لمبدأ الكيف، فهم لا يملكون دليلا على ما قالوه، إنّما عبدوا الأصنام واخترعوا صفة الشّفاعة لها من أنفسهم تمويها وتضليلا للنّاس دون بيّنة أو برهان يثبت كلامهم.

ردّ القرآن على المغالطة: ردّ عليهم تعالى بفعل كلامي توجيهي في قوله ﴿**قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ وهو **الأمر** (قل) أمر الله نبيّه محمّد عليه الصّلاة السلام أن يردّ عليهم، وهو المعنى الحرفي أمّا المعنى المستلزم مقاميا هو **التهكّم بهم**، بأنّهم قد أخبروا الله بأنّ لهم شفعاء لهم عنده، وهذا دليل على أنّهم اخترعوا هذا الكلام وهو غير واقع، لأنّ ما لم

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 124/11، 125.

يعلم الله وقوعه فهو منتفٍ. والمقصود من ذكره السّموات والأرض في قوله ﴿**فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ**﴾ تعميم الأمكنة، كما هو استعمال الجمع بين المتقابلات مثل المشرق والمغرب والاستفهام في "**أتنبئون**" للإنكار والتّوبيخ. و(ما) في قوله ﴿**عَمَّا يُشْرِكُون**﴾ مصدرية، أي عن إشراكهم، أي تعالى عن أن يكون ذلك ثابتا له. [1]

يوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

- الحجّة المغالطية /الأصنام تشفع لهم عند الله.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

إنكارهم العذاب وتصميمهم على الكفر← إذن← القول المضمر

↓

- تضليل النّاس، التصميم على الكفر.
- الكذب والافتراء على الله.

- الاحتكام إلى القوّة:

وردت مغالطة العصا أو التخويف في مواضع كثيرة في القرآن الكريم خاصّة في القصص القرآني، لأنّ هذه الوسيلة كثيرا ما يلجأ إليها المشركون لتخويف الرسل وترهيبهم وصدّهم عن دعوتهم، لكنّ محاولاتهم دائما كانت تبوء بالفشل لقوّة إيمان الأنبياء والرسل وزعمهم على إكمال رسالاتهم، ومن بين هذه المغالطات:

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 125/11.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (50) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (51) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (52) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (53) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (54)﴾ [هود: 49-54]

بنية الفعل الكلامي: افتتح هود عليه السّلام خطابه الدّعوي بفعل كلامي توجيهي النّداء ﴿**يَا قَوْمِ**﴾ فنادى قومه لاسترعاء أسماعهم إشارة إلى أهمّية ما سيلقى إليهم، وقد جيء بالجملة الحالية ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾ من ضمير (**اعْبُدُوا**) أو من اسم الجلالة لاستقصاد إبطال شركهم بأنّهم أشركوا غيره في عبادته. وجملة (**إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ**) توبيخ وإنكار، فهي بيان لجملة ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾، وقد أعاد **النّداء** مرّة أخرى في قوله: ﴿**يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ تكريرا للأهمية والمعنى المستلزم منه **تهويل** الأمر واسترعاء السّمع اهتماما بما يستسمعونه، كم عبّر بالموصول دون الاسم العلم (**الَّذِي فَطَرَنِي**) لزيادة تحقيق أنّه لا يسألهم على الارشاد أجرا بأنّه يعلم أنّ الذي خلقه يسوق إليه رزقه، والاستفهام في قوله (**أفلا تعقلون**) استفهام إنكاري عن عدم تعقّلهم. ويلي **الاستفهام** فعل كلامي طلبي (**الأمر**) في(توبوا، استغفروا) في قوله: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا**﴾، فقد طلب منهم الله سبحانه طلب المغفرة بما مضى منهم من الشّرك، وأن يقلعوا ويتوبوا عن الذنوب في المستقبل، كما جعل جزاءهم عن الاستغفار والتوبة إمدادهم بالمطر لأنّ ذلك من أعظم النّعم عليهم في الدنيا.[1]

ومن أفعال التوجيه في الخطاب الدعوي ما نجده في دعوة النبيّ هود لقومه أنّه اعتمد على ثلاثة أفعال توجيهية هي: النّداء (يا قوم)، الأمر (اعبدوا، استغفروه، توبوا)، والنّهي (لا تتولوا) فقد أمر صالح

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 12 /94، 95.

قومه بعبادة الله وحده وترك عقيدة الشّرك، ودعاهم إلى التوبة والاستغفار وحذّرهم من الرجوع إلى الشّرك. فكان ردّهم عليه كالآتي: ﴿**قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِين**﴾. هذه الآية ذكرت جواب قوم هود أثناء محاورتهم له عند دعوته لهم للتوحيد، وافتتحوا كلامهم بفعل كلامي توجيهي **النّداء** الذي استعمل حقيقة ومجازا، وفيه إشارة إلى الاهتمام بما سيقولونه لذلك استعملت أداة النّداء (يا) في قوله: ﴿**قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنة**﴾، كما أرادوا أن يتنبّه لهم لأنّهم نزّلوه منزلة البعيد لغفلته فنادوه وهو المعنى الكنائي الأوّل، أمّا المعنى المستلزم من النّداء هو **توبيخ** هود ولومه. وقولهم: "**ما جئتنا ببيّنة**" بهتان لأنّه آتاهم بمعجزات، لكنّهم أرادوا أنّ البيّنات التي جاءهم بها هود –عليه السّلام– لم تكن طبقا لمقترحاتهم، وجعلوا ذلك عذرا لتصميمهم على عبادة آلهتهم فقالوا: ﴿**وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ**﴾ و(عن) في "**عن قولك**" للمجاوزة، أي لا نتركها تركا صادرا عن قولك[1]، وأورد الألوسي أنّ (عن) هنا للتعليل، أي نحن ما بتاركي عبادتها بسبب قولك المجرّد عن البيّن، وقد تمّ تقديم المسند إليه المفيد للتّقوي دلالة على أنّهم لا يرجى منهم ذلك بوجه من الوجوه، وفي ذلك من الدلالة على الإقناط ما فيه ﴿**إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ**﴾ ومعنى هذا أنّه أفسد عقلك بعض آلهتنا لسبّك إيّاها وصدّك عن عبادتها وحطّك لها عن رتبة الألوهية،[2] والباء للملابسة، أي أصابك بسوء، فجعلوه مجنونا وجعلوا سبب جنونه مسًّا من آلهتهم، ثمّ نفوا عنه تصديقهم له عليه السلام بقولهم ﴿**وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾.[3]

نوع المغالطة: المغالطة هنا **مغالطة العصا** أو التخويف فقد لجأ قوم هود إلى تخويفه وترهيبه من غضب آلهتهم وانتقامها كما يزعمون التي أصابته بالسوء لصدّه عنها.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 97/12.

[2] الألوسي، 12/ 81، 82.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 98/12.

الردّ على المغالطة: الآيات حوار دار بين هود وقومه دعاهم فيه إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام، فلمّا شهد هود رفض ما دعاهم إليه وتصميمهم على عبادة الأصنام أجابهم ﴿**قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾، وجملة "أشهد الله" إنشاء لإشهاد الله بصيغة الإخبار لأنّ كلّ إنشاء لا يظهر أثره في الخلق من شأنه أن يقع بصيغة الخبر لما في الخبر من قصد إعلام السّامع بما يُضمره المتكلّم، وأتى في إشهادهم بصيغة الأمر لأنّه أراد مزاجة إنشاء الإشهاد دون رائحة معنى الإخبار.[1]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

- الحجّة المغالطية / اتهام هود بالجنون والهذيان بسبب مس آلهتهم له.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

إنكار الدليل على نبوءة هود عليه السلام ← إذن← القول المضمر

↓

العناد تكذيب النبيّ هود.

قال تعالى: ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (91) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (92)**﴾ [هود: 91-92]

بنية الفعل الكلامي: في الآية الكريمة **إخبار** عن تكذيب قوم شعيب ما قاله نبيّهم، وقوله تعالى ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ مقدّمة لإدانته واستحقاقه الذّم والعقاب عندهم، وهي معطوفة على قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي لا يصدّنا عن رجمك شيء إلّا مكان رهطك فينا لأنّك أوجبت رجمك بطعنك

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 99/12.

في ديننا. رهطك أي قومك لو لا معزّتهم علينا لرجمناك قيل بالحجارة وقيل لسببناك.[1] والرجم هو القتل بالحجارة رميا، وفيه دلالة على أنّ حكم من يخلع دينه الرّجم في عوائدهم.

وفعل **التهديد** فعل كلامي غير مباشر دلّت عليه الجملة ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ فهذه الجملة فيها تهديد وتخويف لنبيّ الله شعيب، وفي قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ فعل الرؤية هنا للتحقيق، وأكّدوه بـ (إنّ) ولام الابتداء مبالغة في تنزيله منزلة من يجهل أنّهم يعلمون ذلك فيه، أو من ينكر ذلك، وفي هذا التنزيل تعريض بغباوته، وقد تم تعدية "**عزيز**" بحرف (على) في قوله ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ لما فيه من معنى الشدّة والوقع على النّفس، والمعنى أنّك لا يعجزنا قتلك ولا يشتدّ على نفوسنا، لأنّك هيّن علينا، ولا تستطيع غلبتنا، والفعل المتضمّن في هذا القول هو **تحذيره** من الاستمرار على مخالفة رهطه بأنّهم يوشك أن يبيحوا رجمه.[2]

نوع المغالطة: ونوع المغالطة هنا هي **مغالطة العصا** أو التخويف (الاحتكام إلى القوة): فقد أرادوا من الكلام الّذي وجّهوه له تحذيره وترهيبه من الاستمرار على مخالفة دينهم.

الردّ على المغالطة: أجاب النّبيّ هود على قومه في الآية (92) من هذه السّورة بأنّه لم يكن يعتمد على عزّة رهطه ولكنّه متوكّل على الله، وأعاد النّداء للتّنبيه لكلامه وأنّه متبصّر فيه. والاستفهام إنكاري في قوله ﴿أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ وهو كناية عن اعتزازه بالله لا برهطه فلا يريبه عدم عزّة رهطه عليهم، وهذا تهديد لهم بأنّ الله ناصره لأنّه أرسله فعزّته بعزّة مُرسله. وقوله ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ المراد بالظهري الكناية عن النّسيان، فوقع ظهريا حالا مؤكّدة للظرف في قوله (وراءكم) إغراقا في معنى النّسيان لأنّهم اشتغلوا بالأصنام عن معرفة الله أو عن ملاحظة صفاته. وجملة ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3/ 573.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، 150/12.

مُحِيطٌ﴾ تعليل لمفهوم جملة ﴿أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ الذي هو توكلّه عليه واستنصاره به. والمراد إحاطة علمه، وهذا تعريض بالتهديد، وأنّ الله يوشك أن يعاقبهم على ما علمه من أعمالهم.[1]

قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76)سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا(77) ﴾ [الإسراء: 76-77]

جاءت الآية في سياق الإخبار عن تعداد سيّئات أعمال المشركين. وذلك بأن همّوا بأن يخرجوا الرّسول من مكّة بالقوّة إلّا أنّ الله صرفهم عن هذا الهدف، وجعل خروج الرّسول -ﷺ- من مكّة مهاجرا بمشيئته دون إكراه ودون علم منهم لأنّهم قرّروا بعد مرور فترة أن يبقوه بينهم حتّى يقتلوه.[2]

بنية الفعل الكلامي: ينتمي الفعل الكلامي الوارد في هذا السّياق إلى صنف الإخباريات بتعبير (سيرل)، وغرضه نقل المتكلّم واقعة ما، ولتعديل القوة الإنجازية لفعل الإخبار استعان السّياق القرآني ببعض المؤشّرات اللّغوية ففي تعريف (الأرض) تعريف العهد. أي من أرضك وهي مكّة. وفي قوله: "ليخرجوك" يُعتبر استفزازا لقصد الإخراج، والمراد بالإخراج: مفارقة المكان دون عودة، ولهذا جُعل علّة للاستفزاز لأنّ الاستفزاز أعمّ من الإخراج. وتتضمّن الآية فعلا كلاميا غير مباشر هو الوعيد وهو من الأفعال الإلتزامية بتعبير (سيرل)، وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلّم بفعل شيء ما في المستقبل، فالله تعالى توعّد المشركين بفعل حاصل في المستقبل هو أن لا يلبثوا بعد محمد (ﷺ) بسبب إخراجهم إياه من مكّة، وهو ما حدث بالفعل بعد عام ونصف، حيث لقوا حتفهم في وقعة بدر فلم يرجعوا وحقّ عليهم الوعيد،[3] واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، والمسؤول عن تحقيق المطابقة في الوعديات هو المتكلّم.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 152/12.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، 178/15.

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 332/4.

ولتعديل القوّة الإنجازية لهذا الفعل الوعيدي، استعان السّياق بجملة من المؤشّرات اللّغوية منها: استعمال لفظة "خلفك" مجازا في البعدية في جملة: "وإذا لا يلبثون خلفك" التي جاءت عطفا على جملة "وإن كادوا"، أي لا يلبثون بعدك. ومعنى الآية لا يستقرّون في مكّة بعدك بل يخرجون منها فلا يرجعون، وفي الآية إيماء إلى أنّ الرّسول سيخرج من مكّة وأنّ المتسببين في خروجه، لا يلبثون بعده إلّا قليلا،[1] وفي قوله: "سنّة من قد أرسلنا" جملة مستأنفة استئنافا بيانيا لبيان سبب كون لبثهم بعده قليلا، وهو ما وقع فإنّه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعد ما اشتد أذاهم إلّا سنة ونصف، حتّى جمعهم الله وإيّاه ببدر على غير ميعاد فأمكنه منهم، فهكذا توعّد الله الذين كفروا برسلنا وآذوهم بخروج الرّسول من بين أظهرهم يأتيهم العذاب. وقوله "ولا تجد لسنّتنا تحويلا" والمعنى أنّ ذلك كائن لا محالة لأنّنا أجريناه على الأمم السالفة ولأنّ عادتنا لا تتحوّل. والتعبير بـ "لا تجد" مبالغة في الانتفاء.[2]

نوع المغالطة: ونوع المغالطة هنا هي **مغالطة العصا،** فالمشركون عليهم لعائن الله همّوا في إخراج الرّسول من بلده إكراها بدل أن يواجهوه بالحجّة قرروا التخلّص منه.

يوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

- الحجّة المغالطية /محاولة المشركين استفزاز الرّسول من بلده كرها والتخلّص منه.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

القضاء على الرّسول والقضاء على الدّين الإسلامي ⟵ إذن⟵ القول المضمر

↓

الخديعة والتآمر والإعراض عن الدّعوة الاسلاميّة.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 179/15.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 332/4.

- **تكذيب نوح ورفض دعوته:**

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (25) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ(26) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ٢٨﴾ [هود: 25-28]

دعت الآيات المشركين بأخذ الموعظة بما أصاب المكذّبين قبلهم من المصائب، والفعل المتضمّن في القول **تسلية** النبيّ (ﷺ)-بما تعرّض له الرسل- عليهم السّلام- قبله من معاملة مشابهة على يد أقوامهم، والأداة المدعمة لهذه الأفعال لام القسم و(قد) لأنّ المخاطبين لما غفلوا عن الحذر ممّا بقوم نوح مع مماثلة حالهم نزلوا منزلة المنكر لوقوع رسالته، وقد عطف قول الملأ من قومه بالفاء على فعل (أرسلنا) للإشارة إلى أنّهم بادروه بالتكذيب والمجادلة الزائفة لما قال لهم ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ إلى آخره.[1]

في الآية الكريمة (27) من هذه السّورة **إخبار** عن نوح عليه السّلام الّذي كان أوّل رسول أرسله الله لأهل الأرض الّذين يعبدون الأصنام داعيا إيّاهم إلى التّوحيد، فقال له السادة والكبراء من الكافرين بأنّهم لا يرونه ملك وإنّما هو بشر فسألوه كيف أوحى الله إليه دونهم، ثمّ أخبروا بأنّه لم يتبعه الأشراف والرؤساء منهم لكن تبعه النّاس الضعفاء من بينهم الباعة والحاكة وأشباههم ثمّ هؤلاء الذين اتّبعوه أجابوه دون تأمّل بما دعاهم إليه فاتّبعوه ولهذا قالوا ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾.[2]

ولو وضعنا الحجج في السلم تكون بالشّكل الآتي:

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 45/12.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 547/3.

ن: نوح كاذب

ح3 ليس له فضل عليهم

ح2 اتبعه أراذل القوم

ح1 نوح بشر

نلحظ أنّ: ح1/ ح2/ ح3 حجج متدرّجة في القوّة تخدم النّتيجة "ن" والمتمثّلة في تكذيب نوح فالحجّة الأدنى أنّ نوح بشر، والحجّة الأقوى منها أن اتّبعه أراذل القوم، والحجّة الأقوى منها أنّه ليس له فضل عليهم، ليصلوا إلى النّتيجة (ن) أنّ نوح كاذب.

نوع المغالطة: اشترك في هذه الآية أكثر من مغالطة، الأولى **المصادرة على الطلوب**، فالمشركون هنا صادروا على المطلوب حيث جعلوا النّتيجة التي يريدونها في المقدّمات، وهي مقدّمات باطلة والنّتيجة هي عدم استحقاق نوح للملك والنبوءة لعدم توفّر موجبات السيادة التي وضعوها في المقدّمة، فأسباب السؤدد عندهم مادية جسدية، فلما دعاهم نوح فرأوا الأسباب المألوفة بينهم للسُؤدد مفقودة منه، فلم يبرهنوا عليها بل افترضوا وجودها في المقدّمات فأعادوا صياغتها في النّتيجة فجزموا بتكذيبه وأنّه غير حقيق بالسّيادة.

كما نجد نوعا آخر هو مغالطة **الاحتكام إلى السلطة** فقوم نوح عيه السلام اتّخذوا السلطة معيارا للحكم، فهم رفضوا دعوة نوح لهم لأنّ الرؤساء والأسياد ليسوا على دينه، لذا فدعوته باطلة بالنّسبة لهم، فصفات النبيّ لا علاقة لها بالمال أو الجاه أو الاستعلاء، إنّما صفات النبوّة استقامة العقل والدّفاع عن الحق واحتمال الأمانة والصبر على آدائها القدرة على تأديتها...

الردّ على المغالطة: في الآية (28) من سورة هود ردّ نوح –عليه السّلام– على المغالطة التي أثارها قومه، وقد افتتح بالنّداء لطلب إقبال أذهانهم لوعي كلامه، وقد سلك نوح في مجادلتهم مسلك القلب لدحض شبهتهم والردّ على ادّعاءاتهم بأنّهم إن لم يروا فيه وفي أتباعه ما يحمل على التصديق برسالته، فكذلك هو لا يستطيع أن يحملهم على رؤية المعاني الدّالة على صدقه، وهذا تعريض بأنّهم لو تأمّلوا بعيدا عن الكراهية والعداوة لعلموا صدق دعوته. و"أرأيتم" استفهام عن الرؤية بمعنى الاعتقاد، والاستفهام في "أنلزمكموها" إنكاري، أي لا نكرهكم على قبولها، ومعنى "فعميت" فخفيت، وهو استعارة، إذ شبهت الحجّة التي لم يدركها المخاطبون كالعمياء في أنّها لم تصل إلى عقولهم كما أنّ الأعمى لا يهتدي للوصول إلى مقصده فلا يصل إليه. ولدعم القوّة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي استعمل السّياق الطباق في الاستعارة لمقابلة قولهم في مجادلتهم "ما نراك إلّا بشرا – وما نراك اتّبعك – وما نرى لكم علينا من فضل" فقابل نوح –عليه السلام– كلامهم مقابلة بالمعنى واللّفظ إذ جعل عدم رؤيتهم من قبيل العمى وقد عطف "عطفت" بفاء التعقيب إيماء إلى عدم الفترة بين إيتائه البيّنة والرحمة وبين خفائها عليهم. وهو تعريض لهم بأنّهم بادروا بالإنكار قبل التأمّل.[1]

يوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية /رفض المشركين دعوة النّبيّ نوح ونفي السيّادة عنه لذاته ولأتباعه.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

أنّه بشر وأتباعه أراذل النّاس من القوم وليس له فضل عليهم← إذن← القول المضمر

↓

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 50/12، 52.

تكذيب موسى وإبطال دعواه.

- **سؤالهم عن تأخّر العذاب:**

قال تعالى: قال تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (8)**﴾ [هود: 8]

في الآية **إخبار** عن عناد المشركين وإنكارهم ليوم القيامة، فكلّما أُخبروا بالبعث ادّعوا أنّه سحر، وكلّما أُنذروا بعقوبة العذاب على الإشراك استعجلوا، وإذا تأخّر عنهم العذاب لحكمة ربانية استفهموا عن سبب حبسه عنهم، فالفعل الكلامي الطلبي **الاستفهام** المعنى المستلزم منه مقاميا **التهكّم**، ووجه التغليط هنا هو السخرية والاستهزاء بالدّين الإسلامي، فهم يظنّون أنّ تأخّر العذاب عنهم عجز.[1]

ردّ القرآن على المغالطة: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ في الآية جواب عن كلامهم وفيها **تهديد** و**تخويف** بأنّ العذاب لن يُصرف عنهم ولكنّه مؤخّر، وافتتح الكلام بحرف التنبيه للاهتمام بالخبر لتحقيقه وإدخال الروع في ضمائرهم، وتقديم الظرف للإيماء بأنّ إتيان العذاب لا شكّ فيه حتّى أنّه يُوقّت بوقت، وصيغة المضي مستعملة في معنى التحقق، وهذا عذاب القتل يوم بدر، وباء (به) سببية أي بسبب ذكره فإن ذكر العذاب كان سببا لاستهزائهم حين توعدّهم به النّبيّ (ﷺ)، والإتيان بالموصول في موضع الضمير للإيماء إلى أنّ استهزاءهم كان من أسباب غضب الله عليهم. وتقديره أنّ العذاب سيحيط بهم بحيث لا يجدون منه مخلصا.[2]

يوضّح الحجّة المغالطية الرّسم التّخطيطي الآتي:

الحجّة المغالطية / تساؤلهم عن سبب حبس العذاب عنهم.

↓

[1] محمد الطاهر بن عاشور، 10/12.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، 11/12.

يقتضي/ المقتضى

↓

أنّ سبب تأخير العذاب عنهم عجز← إذن← القول المضمر

↓

التهكم بالدّعوة الاسلاميّة.

- **محاولتهم إغراء الرّسول وفتنته:**

قال تعالى: ﴿**وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (73) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75)**﴾ [الإسراء: 73-75]

بنية الفعل الكلامي: في الآية الكريمة **إخبار** عن ذكر حال آخر من حال معارضة المشركين وإعراضهم ومحاولاتهم مع الرّسول ليفتنوه عن بعض ما أوحى الله إليه، ليفتري على الآخرين، وهو الصّادق الأمين في رسالته وأقواله، فقد وصلوا في إعراضهم ومعارضتهم لدرجة طمعهم في أن يستنزلوا النبيّ (ﷺ) لأن يقول قولا فيه حُسن ذكر لآلهتهم ليتنازلوا إلى مصالحته وموافقته إذا وافقهم في بعض ما سألوه. والقوّة الإنجازية للفعل الإخباري مدّعمة بجملة من المؤشرات اللّغوية منها ضمائر الغيبة والتي تحيل إلى كفار قريش أي متولّو تدبير أمورهم. كما جاء حرف (عن) بعد ﴿يَفْتِنُونَكَ﴾ لتضمينه معنى فعلٍ كان الفتن لأجله بمعنى (يصرفونك)، والاسم الموصول (الذي) في قوله: ﴿الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ جاء للعهد لما هو معلوم عند النّبيّ (ﷺ) بحسب ما سأله المشركون من مخالفته. وقوله: ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ متعلّق بـ "يفتنونك" واللّام للعلّة، أي يفعلون ذلك إضمارا منهم وطمعا في أن يفتري علينا غيره، وإثارةً

للشّكوك حول رسالته.[1] وقد جاء في ظلال القرآن لسيّد قطب أنّ محاولات المشركين لإغواء الرّسول كانت متعدّدة الأشكال، منها مساومتم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التّنديد بآلهتهم وما كان عليه آباؤهم. ومنها مساومة بعضهم له أن يجعل أرضهم حراما كالبيت العتيق الّذي حرمه الله....[2]

نوع المغالطة: ونوع المغالطة **مغالطة رجل القش** وهذه المغالطة كما علمنا سابقا تهدف إلى تهوين الرأي الذي تتمّ محاورته، بإعادة بنائه على نحو يصير من اليسير نقضه، فقد كان هدف المشركين تزييف الحقائق وإفحام الرّسول (ﷺ) بشكل مباشر، فسعوا إلى تشويه وجهة نظره حتّى يسهل عليهم مهاجمته، فراحوا يستدرجونه في الحديث حتّى إذا وافقهم في بعض ما سألوه صالحوه واتّخذوه خليلا.

ردّ القرآن على المغالطة: جاء الردّ في الآية (74) من هذه السّورة، ولولا حرف امتناع لوجود، يقتضي امتناع جوابه بسبب وجود شرطه، وعدي التّثبيت إلى ضمير النبيّ الدّال على ذاته. والمراد تثبيت فهمه ورأيه، فلولا تثبيت الله تعالى لرأي لنّبيّ لكان من الممكن أن ينحاز نحوهم ويقترب من أفكارهم ومعتقداتهمّ، وقد نفت الآية ركون النّبيّ إليهم بأربعة أمور، وهي: (لولا) الامتناعية، وفعل المقاربة المقتضي أنّه ما كان يقع الركون ولكن يقع الاقتراب منه، والتحقير المستفاد من (شيئا)، والتقليل المستفاد من (قليلا)، كما أظهرت الآية العقوبة المحتملة لو كان النّبيّ قد ركن إلى المشركين، لكانت عاقبته أن يذوق ضعف الحياة وضعف الممات، وجملة "ثمّ لا تجد لك علينا نصيرا" معطوفة على جملة "لأذقناك" و(ثمّ) للترتيب الرتبي لأنّ عدم الخلاص من العذاب أهمّ من إذاقته، فرتبته في الأهميّة أرقى.[3]

يوضّح الحجّة المغالطية الرسم التّخطيطي الآتي:

- الحجّة المغالطية /محاولة المشركين إغراء الرّسول وفتنته.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 173.171/15.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن العظيم، 2245/4.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 174/15، 177.

↓

يقتضي/ المقتضى

↓

استدراجه في الأسئلة، ومساومته في حال وافقهم فيما سألوه ← إذن← القول المضمر

↓

الخديعة والفتنة والافتراء على النبيّ (ص).

تمحورت مغالطات المشركين حول جعلهم لله أندادا وتحجّجهم عن كفرهم بتقليدهم آبائهم واتّبعاهم مغالطة العصا أو القوّة لصدّ الرسل عن تبليغ رسالاتهم ومنعهم من الدعوة لتوحيد الله، كما فعل قوم هود، وقوم شعيب، وفوم نوح ... كما طعنوا في شخص محمّد ونعتوه بالسّاحر، وكذّبوه وسخروا منه، ... وخلاصة أساليب القرآن في الاحتجاج على المشركين اعتماده أسلوب القياس بما في ذلك قياس العكس لإبطال عبادة الأصنام، وقياس الدلالة لإثبات قدرته على البعث، بالإضافة إلى أسلوب التحدّي، كما تحداهم بالقرآن، وأسلوب المطالبة بالدليل والبرهان...

خـــــــاتمة

خاتمـــــــة

حاولنا في هذه الدّراسة الموسومة بـ "**المغالطات الحجاجية في خطاب المشركين في القرآن الكريم: دراسة تداولية في نماذج مختارة من القرآن الكريم**"، الكشف عن مغالطات المشركين وأهل الكتاب والمنافقين في الخطاب القرآني، من خلال وقوفنا عند نماذج مختارة من القرآن الكريم، ودراسة أبعادها التداولية انطلاقا من الأفعال الكلامية، ومتضمّنات القول، والاستلزام الحواري، والسلالم الحجاجية، ...)، وسعينا من خلالها إلى استخلاص كيفية توضيح وإظهار المقاصد والنوايا السيّئة والأقوال المضمرة في خطابات أهل الكتاب والمشركين والمنافقين، وجهودهم المتواصلة في تضليل النّاس سرّاً وعلانية، ومحاولتهم إبعاد النّاس عن الدّعوة الإسلامية وتكذيب ما جاء به الرّسل. حيث كان هدفهم الرئيسي تضليل المسلمين وردّهم إلى الكفر، وقد أظهرت الدّراسة كيف جادل القرآن الكريم الخصوم، وكشف عن مؤامراتهم، وأظهر تناقض أفعالهم مع أقوالهم، وأقنعهم بالدليل القطعي على صحة ما يدعو إليه، وقد اتّبع القرآن في ردّه على الخصوم أساليب ووسائل متعدّدة في كل مرة كان يتولى الردّ عليهم.

وقد بيّنت الدّراسة كيفية اشتغال المغالطة –تداوليا– في الخطاب القرآني في كشف مغالطات المشركين وما تحمله من عداء لدين الله. وقد أظهرت وجود أعداء الدّين الإسلامي الّذين يسعون إلى تضليل النّاس من خلال ادّعاءات باطلة مثل ادّعائهم أنّ لله أولاد وشركاء في الملك، وادّعائهم أنّ الله فقير وهم أغنياء، وادّعاؤهم أنّ القرآن مجرّد أسطورة افتراها محمد من عنده، وادّعاؤهم أنّ القتال في الغزوات يسرع الموت.

– المغالطات أصناف وأنواع، ولكلّ منها سياقاتها التي استغلّها المشركون لتغليط وتضليل النّاس.

– الخطاب القرآني خطاب حجاجي بامتيازٍ، يجب الاستفادة من أساليبه وآلياته التداولية في المحاججة والإقناع في حواراتنا اليوميّة.

– اعتمد القرآن أساليب متنوّعة في مواجهة المشركين، بما في ذلك الجدل والحوار والمناظرة والترهيب والترغيب، بهدف الردّ على مغالطاتهم.

– اعتمد القرآن أسلوب القياس بما في ذلك قياس العكس لإبطال مغالطات الكفّار، إضافة إلى أسلوب التحدّي، وكذا أسلوب المطالبة بالدّليل والبرهان.

– كما استخدم القرآن الكريم القصص أداةً للإقناع والتأثير، حيث أصبحت القصص القرآنية واحدة من أساليب الاستدلال لإقناع النّاس.

– استخدم القرآن الكريم استراتيجيات خطابية متعدّدة بآلياتها المتنوّعة لدحض هذه المغالطات مثل التركيز على الجانب الحجاجي.

ندعو –في الأخير– الباحثين إلى الغوص أكثر في هذه الظاهرة الخطابية سواءً في كتاب الله المبين الذي مازال يحتوي على الكثير من مغالطات المشركين في حواراتهم مع الأنبياء وكيف حاولوا تضليلهم وصدّ دعوتهم وتكذيبهم بكلّ الطرق، وكذلك تفشّي ظاهرة المغالطة الحجاجية في الخطابات الإقناعية الأخرى سواءً سياسية أو إشهارية ... وغيرها.

والله وليّ التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم مصطفى إبراهيم. الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2000.
2. ابن الأثير، ضياء الدّين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ط2. 2. دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ت.
3. ابن سينا. الشفاء. تحقيق أحمد فؤاد الإهواني. ط2. منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفي، 2012.
4. أبو الحسن حازم القرطاجني. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة. د. ط. بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، د. ت.
5. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. تفسير القرآن العظيم. د.ط. دار الأندلس للطباعة والنشر، د. ت.
6. أبو الفرج جمال الدّين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي. زاد المسير في علم التفسير. ط1. دار ابن حزم للطباعة والنشر والتّوزيع، 2002.
7. أبو الفضل ابن منظور. لسان العرب. ط3. ج10. لبنان: دار إحياء التراث العربي، 1999.
8. أبو الوليد ابن رشد. تلخيص السفسطة. مطبعة دار الكتب. القاهرة، 1973.
9. أبو بكر العزاوي. اللغة والحجاج. ط1. الدار البيضاء، 2006.
10. أبو حامد الغزالي. معيار العلم في المنطق. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 2013.
11. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، د.ت.
12. أحمد دعدوش. المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام. ط1. دار ناشري للنشر الإلكتروني، 2014.

13. أحمد يوسف. البلاغة السوفسطائية وفاتحة الحجاج. في الحجاج مفهومه ومجالاته، ط1. 2. الأردن: عالم الكتب الحديثة، 2010.
14. أفلاطون. السفسطائي. دمشق: شبكة كتب الشيعة، 2014.
15. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين مجلد. ط7. 1. القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي، 1998.
16. الحافظ جلال الدين السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد، د.ت.
17. الحسين بنو هاشم. بلاغة الحجاج الأصول اليونانية. ط1. دار الكتب الجديدة، 2014.
18. الحسين جرنو محمود جلو. أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994.
19. الحميدي، عبد العزيز بن عبد الله. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، المنافقون في القرآن الكريم، ط2. الرياض: دار كنوز اشبيليا للنّشر والتوزيع، 2011.
20. الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. ط1. ليبيا: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.
21. الفارابي. المنطق عند الفارابي. تحقيق رفيق العجم. د. ط. بيروت: دار المشرق، د.ت.
22. الفيروز آبادي. القاموس المحيط. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية، 1995.
23. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد حمد. أسباب نزول القرآن. ط1. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، 1991.
24. إم. كيلي، ستيوارت، نيل براون. توجيه الأسئلة الصحيحة دليل للتفكير الناقد. ط1. مكتبة جرير، 2014.
25. أميرة حلمي مطر. الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها. د. ط. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.
26. أنطوان أرنولد، بيير نيكول. المنطق أو فن توجيه الفكر. ط1. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2007.

27. باتريك شارودو ودومنيك منغنو. معجم تحليل الخطاب. ترجمة المهيري عبد القادر صمود، حماي. تونس: دار سيناترا، 2008.
28. بدر الدّين الزركشي. البرهان في علوم القرآن. 3. القاهرة: دار التراث، د.ت.
29. جميل حمداوي. أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة. ط1. المغرب: مطبعة Rive تطوان، 2020.
30. جميل حمداوي. من الحجاج إلى البلاغة الجديدة. د.ط. المغرب: مكتبة الأدب العربي، 2020.
31. جواد ختام. التداولية أصولها واتجاهاتها. ط1. دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، 2016.
32. حافظ اسماعيل علوي. التواصل والحجاج. في الحجاج مفهومه ومجالاته، ط1. ج2. الأردن، 2010.
33. حافظ اسماعيل علوي، محمد أسيداه. اللسانيات والحجاج (الحجاج المغالط) نحو مقاربة لسانية وظيفية. في الحجاج مفهومه ومجالاته. 3. الأردن: عالم الكتب، 2010.
34. حسان الباهي. المغالطات في الخطاب اليومي. في التداوليات علم استعمال اللغة، ط2. الأردن: عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، 2014
35. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي. منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1987.
36. رشيد الراضي. الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار. ط1. دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010.
37. ———السفسطات في المنطقيات العاصرة. مجلة عالم الفكر، المجلّد 36، العدد 4، 1 أفريل 2008.
38. زمخشري بن حسب الله طيّب، عصام التيجاني محمد إبراهيم. المغالطة ومنهج القرآن في الردّ عليها. مجلّة الإسلام في آسيا، المجلد11، العدد2، ديسمبر2014.
39. سيد قطب. في ظلال القرآن العظيم. ط11. القاهرة: دار الشروق، 1985.
40. شهاب الدّين أبي الثناء محمود بن عبد الله الألوسي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني. ط1. بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

41. عادل مصطفى. المغالطات المنطقية – فصول في المنطق غير الصوري طبيعتنا الثّانية وخبزنا اليوميّ. ط1. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2007.
42. عبد الرحمان بدوي. المنطق الصوري والرياضي. ط4. بيروت، لبنان: دار القلم، 1977.
43. عبد الرحمان بن ناصر السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق عبد الرحمان بن معلا اللويحق. ط1. بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة، 2002.
44. عبد الرحمان حنبكة الميداني. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة. ط4. دمشق: دار القلم، 1993.
45. عبد الرحمن غالب عواجي. السفسطائية وأثرها في نشأة الشك، 2017.
46. عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج. المغرب: أفريقيا الشّرق، 2006.
47. عبد الله صوله. الحجاج أطره ومنطلقاته. في أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود، د.ت.
48. عثمان جمعة ضميرية. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية. ط3. مكتبة السوادي للتوزيع، 1999.
49. عزت قرني. الفلسفة اليونانية حتى افلاطون. د. ط. جامعة الكويت، 1993.
50. علي أصغر خندان. المنطق التطبيقي. ط1. بيروت: الديوان للطباعة والنشر والتوزيع، 2017.
51. علي بن محمد السيّد الشريف الجرجاني. التعريفات. القاهرة: دار الفضيلة، د.ت.
52. علي محمود حجّي الصرّاف. الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي. ط1. القاهرة، مصر: مكتبة الآداب، 2010.
53. فيليب بروتون، جيل جوتييه. تاريخ نظريات الحجاج. ترجمة محمد صالح ناجي الغامدي. ط1. جامعة الملك عبد العزيز: مركز النشر العلمي، 2011.
54. ماجد فخري. تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقلس. ط1. بيروت، لبنان: دار العلم، 1991.

55. مجدي كيلاني. الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون. كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، 2009.
56. مجمع اللّغة العربية. المعجم الوسيط. ط4. مكتبة الشروق الدولية، 2004.
57. محمد أبو زهرة. كتاب المعجزة الكبرى القرآن. د. ط. دار الفكر العربي، د. ت.
58. محمد الطاهر بن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. د. ط. تونس: الدّار التونسي للنّشر، 1984.
59. محمد العمري. دائرة الحوار ومزالق العنف. د.ط. المغرب: أفريقيا الشّرق، 2002.
60. محمد النويري. الأساليب المغالطية مدخل لنقد الحجاج. في أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، م .xxxix تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، د.ت.
61. محمد سالم محمد الأمين طلبة. الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر. ط1. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، د.ت.
62. محمد عقيل بن علي المهدلي، تمهيد لدراسة المنطق الصوري (القديم) – القسم الأول . QuranicThought.com, 1997.
63. محمود أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. د.ط. الاسكندرية، مصر: دار المعرفة الجديدة، 2002.
64. محمود بن عمر الزمخشري. تفسير الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل. ط3. بيروت: دار المعرفة، 2009.
65. مسعود صحراوي. التداولية عند العلماء العرب. ط1. بيروت: دار الطليعة، 2005
66. ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ط1. دمشق، بيروت: دار الرّشيد، 2000.
67. هشام الريفي. الحجاج عند أرسطو. في أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. حمادي صمود. تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، د.ت.
68. وليم كلى رايت. تاريخ الفلسفة الحديثة. ط1. المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

69. يس عمرو صالح. التفكير النقدي مدخل في طبيعة المحاجة وأنواعها. ط1. الشركة العربية للأبحاث والنشر، 2015.
70. يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. د. ط. شركة كلمات عربية للترجمة والنشر، 2012.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الإهداء.....

مقدِّمة: ..... أ

الفصل الأوّل: المغالطات الحجاجيّة 1

1-1 تعريف المغالطة 1

أ- لغة 1

ب- اصطلاحا 3

1 – 2 بين الغلط والمغالطة 6

1 – 3 – تعريف الحجاج المغالط 8

2- المغالطة الحجاجية عند الأمم السابقة 10

2- 1 – المغالطة الحجاجية في المرحلة الأثينية 10

2-2 – الخطابة والسفسطة عند السفسطائيين 13

2-3 – أشهر السفسطائيين وفلسفتهم 14

أ – بروتاجوراس (Protagoras) 15

ب – جورجياس (Gorgias) 16

ج – هيباس (Hippas) 17

3- أساليب المغالطات الحجاجية وأنواعها 19

3-1 - المغالطة اللّغوية 19

3-2 – المغالطات غير اللّغوية 21

3- 3 – التغليط العائد إلى مسالك التدليل 33

4- الحجاج المغالط عند العرب 34

4-1- المغالطة الحجاجية في التراث العربي 34

أ-في الدّرس الفلسفي 34

ب – في الدّرس البلاغيّ 38

فهرس الموضوعـــــات

4-2 – المغالطة الحجاجية في الدّراسات العربية الحديثة والمعاصرة 41

5- الحجاج المغالط عند الغرب 44

5-1 الحجاج المغالط في المنجز اليوناني 44

أ – سقراط 44

ب– أفلاطون 46

ج– أرسطو 47

5 -2 – الحجاج المغالط في الدّرس الغربي الحديث 49

أ– فرنسيس بيكون **F.Bacon**. 51

ب– جون لوك**John Locke** 53

ج– مناطقة بورويال. 54

5 – 3 – الحجاج المغالط في الدّرس الغربيّ المعاصر 56

– الحجاج والتفكير النقدي، والمنطق اللّا صوري 59

الفصل الثاني: المغالطات الحجاجية عند المنافقين 65

1- أبرز مفاهيم التّداولية 66

أ–الفعل الكلامي (**speech acts**) 66

ب– الإشاريات (**deixis**) 69

ج– السلالم الحجاجية (**Orbital stairs**) 69

د–متضمّنات القول (**les implicites**) 70

هـ–الاستلزام الحواري (**Implicature converationnelle**) 71

2- مغالطات المنافقين في القرآن الكريم: (خصائصها التداولية، أنواعها، ردّ القرآن عليها) 74

- **إظهار المنافقين الإيمان وإبطان الكفر:** 74
- **إعطاؤهم العهود الكاذبة:** 80
- **زعمهم أنّ الموت لن يأتيهم إذا لم يقدموا على الذهاب إلى القتال:** 83
- **ادّعاؤهم جهل فنون القتال:** 86
- **التّحاكم إلى الطاغوت:** 88

- إظهار لين القول للرّسول وإبطان الكفر: 92
- تغرير المنافقين بالوعود الكاذبة لأهل الكتاب: 95
- إظهار الإنفاق نفاقا: 97
- زرع الفتنة: 99
- إظهارهم الخوف على بيوتهم من أجل الهروب: 101
- تظاهرهم بإظهار سمعهم للرّسول ﷺ: 103
- ...التظاهر بالمودّة: 104

الفصل الثّالث: المغالطات الحجاجية عند أهل الكتاب (خصائصها التداولية، أنواعها، ردّ القرآن عليها) 108

– مغالطات اليهود: 108

– مغالطات النصارى: 146

الفصل الرابع: المغالطات الحجاجية عند المشركين (خصائصها التداولية، أنواعها، ردّ القرآن عليها): ..159

- الاحتكام إلى سلطة الآباء والتقاليد: 159
- القرآن أساطير الأوّلين: 174
- سؤالهم الرّسول أن يأتيهم بالمعجزات: 178
- إنكار البعث ويوم القيامة: 188
- الاحتجاج بالقدر: 191
- الطعن في نبوءة محمّد: 193
- السخرية والاستهزاء بالدّين: 195
- إنكار العذاب:.. 197
- الاحتكام إلى القوّة: 199
- تكذيب نوح ورفض دعوته: 206
- سؤالهم عن تأخّر العذاب: 209
- محاولتهم إغراء الرّسول وفتنته: 210

خاتمـــــــة 214

قائمة المصادر والمراجع: 218

ملخّص البحث

عالجنا في بحثنا الموسوم بـ (**المغالطات الحجاجية في خطاب المشركين في القرآن الكريم، دراسة تداولية في نماذج مختارة**) ظاهرة المغالطة في الخطاب القرآني، من حيث هي خطاب حجاجي ردّ على خطابات مظلّلة اعتمدت على عقائد فاسدة، وموجّه إلى أصناف متعدّدة من المخاطَبين في عصور مختلفة بهدف الإرشاد، وقد تنوّعت أصناف أصحاب المغالطة في القرآن وتنوّعت أساليبهم، مستثمرين في ذلك جلّ المعطيات السّياقية التي أتاحتها مقامات التّواصل، فمنهم المنافقون والمشركون، ومنهم أهل الكتاب من اليهود والنّصارى.

وحاولنا من خلال هذه الدّراسة رصد الأبعاد التّداولية في الخطاب القرآني، وكيفية اشتغال المغالطة في هذا النّوع من الخطاب من خلال الوقوف على نماذج معيّنة من هذه المغالطات، وتحليلها تحليلا تداوليا للكشف عمّا تحمله من مقاصد تضليلية، ومن ثمّة تبيان مناهج القرآن التي اعتمدها في الردّ على المغالطين ودحض ادّعاءاتهم.

الكلمات المفتاحية: المغالطة، الحجاج، مغالطات المشركين، أهل الكتاب، المنافقون.

Abstract

This study which titled with "Rhetorical Fallacies in the Discourse of Polytheists in the Quran: A Circulative Study in Selected Models," analyses into the phenomenon of fallacies in Quranic discourse. It specifically concentrates on the argumentative discourse that responds to obscure speeches relying on corrupt beliefs, that targeting diverse audiences across different eras with the aim of guidance. The types of fallacy proponents in the Quran are varied, encompassing hypocrites, polytheists, and people of the Book, including Jews and Christians .

The study targets to trace the circulative dimensions in Quranic discourse and examine the way of operating fallacies in this type of discourse. This involves identifying specific types of fallacies and conducting a circulative analysis to unveil their deceptive purposes. its also aims to elucidate the Quranic methodologies adopted to counter fallacious arguments and refute their claims.

Keywords: Fallacy, Argumentation, Polytheists' Fallacies, People of the Book, Hypocrites

Résumé:

Cette étude, intitulée "Les sophismes dans le discours des polythéistes dans le Coran : une étude circulatoire de modèles sélectionnés", examine le phénomène des sophismes dans le discours coranique en tant que discours argumentatif répondant aux discours obscurs basés sur des croyances corrompues. Elle cible diverses catégories de destinataires à travers différentes époques dans le but de les guider. Les types de partisans de sophismes dans le Coran sont variés, englobant les hypocrites, les polythéistes et les gens du Livre, y compris les Juifs et les Chrétiens.

L'étude vise à retracer les dimensions circulatoires dans le discours coranique et à examiner comment les sophismes opèrent dans ce type de discours. Cela implique d'identifier des types spécifiques de sophismes et de mener une analyse circulatoire pour dévoiler leurs intentions trompeuses. L'étude cherche également à élucider les méthodologies coraniques adoptées pour contrer les arguments fallacieux et réfuter leurs revendications.

Mots-clés : Sophisme, Argumentation, Sophismes des polythéistes, Gens du Livre, Hypocrites

République Algérienne Démocratique et Populaire
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université 8 Mai 1945 Guelma

Faculté: Littérature et langues
Département: Langue et littérature arabes
Laboratoire de domiciliation: Etudes linguistiques et littéraires

Domaine : Langue et littérature arabes **Filière : Etudes linguistiques**

Spécialité : linguistique général

Les sophismes dans le discours des polythéistes dans le Coran : une étude circulatoire de modèles sélectionnés

Par :
BOUAMRA NAOUAL

DIRECTEURE DE THESE : **Walid Berkani**

Devant le Jury:

Nom et Prénom	Grade	Etablissement	
Souilah Kachi	M. de conf (a)	Univ.8mai1945-Guelma	président
Walid Berkani	M. de conf (a)	Univ.8mai1945-Guelma	Encadreur
Mokrane Facih	Professeur	Univ.Badji Mokhtar-Annaba	Examinateure
Rachid Halim	Professeur	Univ.Chadli Ben Djedid-Eltaref	Examinateure
Abderrahmane Djoudi	M. de conf (a)	Univ.8mai1945-Guelma	Examinateure
Grini Nabila	M. de conf (a)	Univ.8mai1945-Guelma	Examinateure

Année Universitaire : 2023/2024